

اجاثاكريستي
اللغز المثير



أجاثا كريستي
{1976 - 1890}

-الكاتبة التي ترجمت رواياتها إلى **103** لغات.

- بيع من كتبها أكثر من **900** مليون نسخة باللغة الإنجليزية وحدها.

- كاتبة روايات بوليسية، ولدت في إنجلترا تتميز عن جميع الروائيين البوليسيين، مما نصَّبها ملكة عليهم جميعًا. تميَّزت أيضًا بأنّ أشخاص رواياتها أشخاص عاديون، ولكنّهم تعرضوا في الرواية لظروف أزالت القناع الحضاري عن الوحوش القابعة في أعماق كل إنسان. كذلك لم تلجأ الكاتبة العظيمة إلى عنصر الجنس في رواياتها، على عكس ما اتبعه الآخرون. ولم تهدف إلى الإثارة، ولا تلجأ إليها. ورواياتها تضمَّنت أيضًا أهدافًا إنسانية فحواها أنّ (الجريمة لا تفيد) وأنّ الخير هو المنتصر في النهاية.

اللغز المثير
A Caribbean Mystery

«هل ترغبين في رؤية صورة شخص قاتل؟»

هذا السؤال أثاره على «جين ماربل» شخص كان يقضي إجازته على البحر الكاريبي. ولكن ذلك الشخص ترك «جين» قبل أن تجيب عن سؤاله ... وفي اليوم التالي فوجئت به قتيلا في حجرته واختفت الصورة. فما الذي حدث لتلك الصورة؟ ولماذا ترى صاحبة الفندق كثيرًا من الكوابيس؟ وذلك المليونير المقعد لماذا يخشى خطرًا يهدد حياة «ماربل» الشخصية؟

ثمن الكتاب

البلد	الثمن	البلد	الثمن
لبنان	5000 ل.ل.	قطر	10 ريالات
سوريا	150 ل.س.	عُمان	1.5 ريال
الاردن	2 دينار	مصر	10 جنيهات
السعودية	10 ريالات	المغرب	30 درهما
الكويت	1 دينار	ليبيا	3 دنانير
الإمارات	10 دراهم	تونس	4 دنانير
البحرين	1.5 دينار	العراق	4000 دينار



اللغز المثير

برنارد الأسطه

يقدّم

الرواية المعرّبة

اللغز المثير

(21)

تاليف الكاتبة والأديبة العالمية

أجاثا كريستي

تعريب الأديب

عمر عبد العزيز أمين

الناشر

دار ميوزيك للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م

الإدارة العامة والتوزيع

تليفون 666 212 9 961 00 فاكس 665 212 9 961 00

ص.ب 374 جونيه – لبنان

www.inter-press.org Email:info@inter-press.org

وكلاء التوزيع

المركز الدولي – دار البشير

تاليف

Agatha Christie

الاسم الأصلي للكتاب

A Caribbean Mystery, (1964)

الغلاف بريشة الفنان العالمي

عبد العال

أهم الشخصيات :

الآنسة "**جين ماربل**" : كانت تعمل في إحدى الأبرشيات الريفية، وهي نزيلة جديدة بفندق "النخيل الذهبي" .
العقيد "**بالجريف**" : من رجال الجيش السابقين، يحب رواية القصص وخاصة قصص جرائم القتل.
"**موللي كيندال**" : شابة شقراء لطيفة، تدير مع زوجها "**تيم**" فندق "النخيل الذهبي" بعد الزوجان "**ساندرسن**" .
"**تيم كيندال**" : زوج "**موللي**" ، ويدير مع زوجته فندق "النخيل الذهبي" .
السيد "**رافييل**" : رجل أعمال ثري وأحد نزلاء الفندق.
"**استر والترز**" :سكرتيرة السيد "**رافييل**" .
"**آرثر جاكسون**" : الوصيف الخاص للسيد "**رافييل**" .
الدكتور "**جراهام**" : طبيب شبه متقاعد.
"**كانون بريسكوت**" :قس من نزلاء الفندق.
"**جوان بريسكوت**" : أخت القس "**كانون**"
"**جريجوري دايسون**" "**جريج**" : أحد نزلاء الفندق وهو من علماء النبات ويهتم بالطيور.
"**لاكي دايسون**" : زوجة "**جريجوري**" الثانية وتهتم مثله بالنبات والطيور.
"**إدوارد هيلنجدون**" : أحد نزلاء الفندق وهو من علماء النبات، ويهتم بالطيور وهو صديق "**جريجوري**" .
"**إيفيلين هيلنجدون**" : زوجة "**إدوارد**" ، وهي من علماء النبات أيضًا وتهتم بالطيور.
السنيورا "**دي كاسبيرو**" : إحدى السيدات النزيلات بالفندق.
الدكتور "**روبرتسون**" : طبيب الشرطة.
المفتش "**ويستون**" : مفتش الشرطة.
"**دافنتري**" : صديق الدكتور "**جراهام**"
"**فيكتوريا**" : إحدي الفتيات الوطنيات العاملات بالفندق.
"**جيم إيلليس**" : زوج "**فيكتوريا**"
"**فرناندو**" : رئيس السقاة.

الفصل الأول

واصل العقيد "**بالجريف**" حديثه قائلاً:

– خذي مثلاً البلاد المعروفة باسم "**كينيا**" . . . كثير من الناس يسافرون ويتجولون ولكنهم لا يعرفون شيئًا عنها، أما أنا فقد أمضيت هناك أربعة عشر عامًا من حياتي، ومع ذلك فأنا لا أنكر أنها كانت من أسعد أيام حياتي . . . أومأت الآنسة "**ماربل**" برأسها، ولم تكن تلك الإشارة منها إلا من قبيل المجاملة، بينما استمر العقيد "**بالجريف**" في سرد ذكريات حياته وهو يعتقد أن مستمعته قد استعذبت حديثه. والواقع أن الآنسة "**ماربل**" استغرقت في تتبع أفكارها الخاصة في هدوء. كان ذلك بالنسبة إليها إجراء تلقائيًا تعودته، وكل ما هنالك أن المكان والملابسات تختلف، بينما الموقف في جميع الحالات واحد لا يتغير، فالرجل متى تقدمت به السنون يشعر بالحاجة إلى شخص ينصت إليه وهو يستعيد ذكرى أيام سعيدة خلت، أيام كان لا يزال فيها منتصب القامة، قوي الإبصار حاد السمع. وقد استمعت الآنسة "**ماربل**" إلى كثيرين من هذا الطراز، كان معظمهم من رجال الجيش السابقين، وكان الاختلاف الوحيد فيما بينهم هو تفاوتهم في حسن المنظر، أما العقيد "**بالجريف**" فكان لسوء الحظ من أولئك الذين لا يمكن وصفهم بالوسامة. كان وجهه دائم الاحتقان وإحدى عينيه من زجاج، أما منظره العام فكان يوحي بمنظر الضفدعة المحنطة.

كانت الآنسة "**ماربل**" تضفي على جميع محدثيها من هذا الطراز الدرجة نفسها من العطف. كانت تجلس أمامهم متظاهرة بالاهتمام، تومئ برأسها بين الحين والحين، بينما هي في الواقع مستغرقة في خواطرها الخاصة، مستمتعة بما حولها مما يستوجب الاستمتاع. وفي هذه الحالة كانت تستمتع بمنظر "**البحر الكاريبي**" وهو يمتد أمامها بأفقه الواسع البعيد وزرقته الهادئة. كم كان ذلك جميلاً من ابن أخيها! كانت مشاعرها في تلك اللحظة تختلج عرفانًا بجميله، وإن كانت تعجب في الوقت نفسه من السر في إحاطته لها، وهي العمة العجوز، بكل هذا العطف والحنان،هل هو شعور بالواجب، أم هو الرباط العائلي، أم تراه حقيقة يحبها؟ كانت الآنسة تميل إلى ترجيح الظن الأخير، وإن كان حبه هذا كثيراً ما يثير فيها شعوراً

بالحنق فقد كان يحاول دائمًا أن يجعلها تساير التطور السريع في المجتمع الحديث، فيغمرها بالكتب الجديدة والقصص الحديثة التي كانت تدور كلها حول شخصيات بغيضة تقوم بأعمال غريبة وإن بدا عليهم أنهم يعجبون بها ويحبونها. إن كلمة "الجنس" لم تكن من الكلمات التي كانت الآنسة "**ماربل**" تسمعها في أيام شبابها وإن كان مدلولها في ذلك الوقت لا يقل شيوعًا عنه في أيامنا هذه، وكانت تعتقد أنه على الرغم من أن الصلات الجنسية في تلك الأيام البعيدة كانت تعتبر خطيئة، إلا أنها على كل حال كانت أفضل من مفهومها الحديث الذي لا يتعدى اعتبارها نوعًا من "الواجبات". وهنا استعادت الآنسة "**ماربل**" كلمات ابن أخيها وهو يقول لها: "أي عمتي العزيزة "**جين**".. لماذا تخفين رأسك في الرمال كما تفعل النعامة الجميلة؟! لماذا تقنعين بالعزلة التامة بين تلك المناظر الجميلة في هذه الحياة الريفية التي تحبينها؟! إن المهم هو الحياة الحقيقية، حياة العصر الذي نعيش فيه"...

وكانت الآنسة "**ماربل**" تستمع إلى هذا الكلام من "**ريموند**" وهي تحس بالخجل وتشعر في الوقت نفسه بأنها فعلاً من طراز عتيق. ومع ذلك فإن الحياة الريفية لم تكن بهذا الهدوء الذي حاول "**ريموند**" أن يصفها به. إن الرجال أمثال "**ريموند**" يتسمون بالجهل، ففي خلال عملها الطويل في إحدى الأبرشيات الريفية اكتسبت "**جين ماربل**" قدراً كبيراً من المعرفة بحقائق الحياة في الريف، ولم تكن تلك الحقائق مما يمكن أن يستثيرها للكتابة أو للحديث عنها، فقد كانت مليئة بالجنس، الطبيعي منه وغير الطبيعي، والاغتصاب والزنى والشذوذ بجميع أشكاله، لدرجة أن بعض تلك الكتب والقصص الحديثة التي كان يبعث إليها بها ابن أخيها لم يكن مؤلفوها، حتى وإن كانوا من خريجي "**أكسفورد**" ليتصوروا حدوثها أو قد سمعوا بمثلها. وهنا عادت الآنسة "**ماربل**" بأفكارها إلى "**البحر الكاريبي**" وإلى الحديث الذي كان العقيد "**بالجريف**" لا يزال مستطرداً فيه، فقالت وهي تشجعه:

- إنها لتجربة غير عادية. إنها لمثيرة حقًا! ويجيبها "**العقيد**":

- باستطاعتي أن أروي لك المزيد وإن كانت بعض الحوادث مما لا يليق ترديدها على أسماع السيدات! وكنتيجة لتجاربها الطويلة، أرخت الآنسة "**ماربل**" جفونها واستمر العقيد "**بالجريف**" في وصف عادات القبائل الإفريقية، في حين عادت هي إلى تأملاتها الخاصة في تصرفات ابن أخيها المحب. كان "**ريموند وست**" من كتاب

القصة الناجحين، وكانت قصصه تدر عليه دخلاً كبيرًا؛ ولذا لم يكن ليبخل بأي شيء في سبيل التخفيف عن عمته العجوز. وقد حدث أن أصيبت العمة في الشتاء الماضي بالتهاب رئوي حاد ونصحها الأطباء بضرورة قضاء فترة من الوقت في مكان مشمس، فبادر "**ريموند**" واقترح عليها بطريقة سخية أن تقوم برحلة إلى إحدى جزر "**الهند**" الغربية. وقد شعرت الآنسة "**ماربل**" بتردد شديد في قبول هذا العرض وهي تعلم ما ستتكلفه مثل هذه الرحلة من نفقات، وما يكتنفها من متاعب السفر والانتقال فضلاً على مغادرتها لمنزلها الخاص في "**سانت ماري ميد**"، ولكن "**ريموند**" كان قد قام بكافة الترتيبات، وقال لها:

"إن لي صديقًا يود أن يؤلف كتابًا وهو يبحث عن مكان هادئ في أحضان الريف. وإنني واثق بأنه سيكون شديد العناية بمنزلك في أثناء غيابك، خصوصًا وهو من ذلك النوع الذي يحب البيت. إنه شخص شاذ الطباع، أعني..." وقد توقف "**ريموند**" عند هذه العبارة مستدركًا وإن كان واثقًا بأن العمة "**جين**" لابد أنها سمعت بمثل هؤلاء المؤلفين ذوي الطباع الشاذة، ولكنه استطرد شارحًا لها تفاصيل الترتيبات التي اتخذها لتوفير الراحة لها، فأخبرها بأن السفر في هذه الأيام أصبح يسيرًا وأن انتقالها سيكون بالطائرة، وأن ثمة صديقة له "**ديانا هاروكس**" ستصحبها في الطائرة حتى "**ترينداد**"، وعند وصولها إلى "**سانت أونوريه**" ستنزل في فندق "النخيل الذهبي" الذي يديره الزوجان "**ساندرسن**" وهما من أظرف مخلوقات الله، وهو واثق بأنهما سيعنيان بها عناية فائقة وسيكتب لهما فورًا، لكن تصادف أن الزوجين "**ساندرسن**" كانا قد غادرا "**الوزجان**" عائدين إلى "**إنجلترا**" وخلفهما في إدارة الفندق الزوجان "**كيندال**". وقد ردا عليه يؤكدان له أن لا وجه للقلق مطلقًا على عمته، وأن الجزيرة بها طبيب ماهر إذا احتاج إليه الأمر في حالة الطوارئ، وأنهما سيشرفان شخصيًا على راحة العمة والعناية بها.

وقد كان آل "**كيندال**" عند وعدهما.. كانت "**موللي كيندال**" شابة شقراء لطيفة لا يتجاوز عمرها العشرين، ينطق وجهها دائمًا بالسعادة والنشاط، وقد استقبلت السيدة العجوز بحرارة وبذلت كل ما في وسعها لراحتها، أما زوجها "**تيم كيندال**" فكان في حوالي الثلاثين من عمره، نحيلا أسود الشعر، ولم يكن ليقل عن زوجته عطفًا واهتمامًا بالنزيلة الجديدة. وهكذا وجدت الآنسة "**ماربل**"

نفسها في كبينة جميلة خاصة بها بعيداً عن تقلبات جو الريف الإنجليزي، تخطر أمامها فتيات الجزر السمراوات والابتسامة لا تفارق شفاههن، يلبين طلباتها ويسهرن على خدمتها، في حين كان يقترب منها "**تيم كيندال**" كلما دخلت قاعة الطعام بالفندق ليلقي إليها ببعض النكات الظريفة، ويسألها عن رأيها في قائمة الطعام. وكان يمتد أمام الكبينة طريق ممهد جميل يؤدي إلى شاطئ البحر مباشرة حيث تستطيع أن تسترخي في مقعد مريح، وتراقب باقي النزلاء وهم يستحمون ويسبحون. فضلاً على ذلك فقد كان بين النزلاء بعض كبار السن، الأمر الذي يهيئ لها رفقة لطيفة، وكان من بين هؤلاء السيد "**رافييل**" والدكتور "**جراهام**" والقس "**كانون بريسكوت**" وشقيقته، وهذا بخلاف رفيقها الحالي العقيد "**بالجريف**". فهل هناك ما هو أكثر من ذلك مما يمكن أن تصبو إليه نفس سيدة عجوز؟

ومع ذلك فقد اضطرت الآنسة "**ماربل**" إلى أن تعترف في قرارة نفسها بأنها لم تكن راضية تمام الرضاء... حقيقة كان الجو رائعًا ودافئًا - وسيفيدها ذلك كثيراً في التخفيف من آلامها الروماتزمية - والمناظر جميلة وخلابة وإن كانت على شيء من الرتابة... كانت أشجار النخيل الكثيرة وكل ما يحيط بها ويتخللها من مناظر هي المنظر نفسه الذي يتكرر يوميًا... لا شيء يحدث في هذه البقعة! بعكس "**سانت ماري ميد**" حيث كانت الحوادث تترى دوامًا. وعلى الرغم من أن "**ريموند**" كان يشبّه لها حياة الريف بالريم الذي يكسو سطح البركة الراكدة، فإنها كانت تقول له بثقة إنه لو وضع جزءاً من هذا الريم تحت المجهر لهاله ما سيشاهده فيه من أحداث. والحقيقة أن ثمة أشياء وأشياء تحدث باستمرار في "**سانت ماري ميد**"...

وقد مرت ذكرى بعض تلك الحوادث الواحدة بعد الأخرى في مخيلة الآنسة "**ماربل**"... كان أول ما تذكرته ذلك الخطأ الذي وقع فيه صيدلي القرية عند تركيبه لدواء السعال للسيدة "**لينيت**"، ثم ذلك التصرف الغريب من الشاب "**بولجيت**" عندما جاءت لزيارته أم "**جريجوري ورد**" (ولكن هل كانت أمه حقيقة؟) ثم السبب الحقيقي في الخلاف الذي دب بين "**جو آردن**" وزوجته... إلى غير ذلك من المشكلات الإنسانية المثيرة التي كانت الآنسة "**ماربل**" تجد متعة لا تضاهيها متعة في متابعتها وتحليلها، الأمر الذي كان يستغرق من

وقتها الساعات الطوال. أما هنا، فلا شيء يحدث... أو على الأقل لا شيء يستطيع أن يثير انتباهها. وهنا بوغتت الآنسة "**ماربل**" عندما أدركت أن العقيد "**بالجريف**" قد ترك موضوع "**كينيا**" وانتقل بالحديث إلى الحدود الشمالية الغربية، وبدأ يروي الأحداث التي واجهته وهو بعد برتبة "**الملازم**". وكان الذي قطع عليها حبل أفكارها أنه سألها بحماس واضح قائلاً:

– ألست ترين هذا الرأي؟ ومرة ثانية كانت خبرة الآنسة "**ماربل**" الطويلة كفيلة بإنقاذها من الحرج، فأجابته فوراً:

– الواقع أنني لا أجد في نفسي الخبرة الكافية لإبداء الرأي. أخشى أن معظم حياتي في شبه عزلة كاملة. فأجاب "**العقيد**" بإعجاب:

– بالتأكيد يا سيدتي العزيزة، بالتأكيد. واستطردت الآنسة "**ماربل**" محاولة أن تعوضه عمًّا أبدته من عدم اهتمام سابق بحديثه:

– أما أنت فقد كانت حياتك مليئة بالأحداث. فقال "**العقيد**" مزهواً بنفسه:

– لست آسفًا على ذلك. كلا... ثم تلفَّت حوله بإعجاب، وقال:

– مكان جميل!

– إنه لكذلك حقًّا! ولكنني أعجب.. ألا يحدث هنا شيء أبدًا؟ حملق إليها "**العقيد**" مدهوشًا، وقال:

– من قال هذا؟ إن الفضائح هنا لا حصر لها... بل إنني أستطيع أن أروي لك. ولكن الآنسة "**ماربل**" لم تكن لتبحث عن الفضائح... إن فضائح هذه الأيام لم تعد مما يثير، فهي لا تعدو مجرد عملية تبادل بين الأزواج والزوجات دونما خجل أو محاولة لإحاطتها بستار من الكتمان. واستطرد "**العقيد**":

– بل لقد وقعت هنا جريمة قتل منذ بضع سنوات. لعلك تذكرين "**هاري وسترن**"... لقد أثارت جريمته ضجيجًا كبيرًا في الصحف. وأومأت الآنسة "**ماربل**" برأسها بغير حماس. لم تكن تلك الجريمة من الطراز الذي يعجبها، وكان السبب الوحيد في تلك الضجة التي أحدثتها أن جميع الأطراف المعنية فيها كانوا من كبار الأغنياء ولم يكن من المستغرب أن يقدم "**هاري وسترن**" على إطلاق النار على عشيق زوجته الكونت "**دي فراري**"، كما لم يكن من المستبعد أن يكون دليل النفي الذي قدمه الزوج قد كلفه ثروة كبيرة... وكان يبدو أن الجميع كانوا

في حالة سُكر بيّن، وأن عدداً كبيراً ممن كانت لهم علاقة بالقضية كانوا من مدمني المخدرات... إن مثل هؤلاء الناس لا يثيرون الاهتمام على الرغم مما كانوا يتمتعون به في المجتمع من مكانة وحسن مظهر... وليس هذا بالتأكيد هو ماتصبو إليه نفس الآنسة "ماربل". واستمر العقيد "بالجريف" قائلاً وهو يغمز لها بعينه:

– وأنت إذا سألتني لأجبتك أن تلك الجريمة لم تكن هي الوحيدة التي وقعت في ذلك الوقت. لقد كان لديّ شكوكي الخاصة. وهنا أسقطت الآنسة "ماربل" لفة الصوف التي كانت تنسج منها فانحنى "العقيد" والتقطها ثم قدمها إليها وهو يقول:

– وما دمنا بصدد الحديث عن جرائم القتل، فلا أقل من أن أخبرك بأنني واجهت حادثة عجيبة، لا أقصد أنني واجهتها شخصيًّا... فابتسمت الآنسة "ماربل" مشجعة ثم استطرد:

– في ذات يوم كان بعض الأصدقاء يتبادلون الحديث في النادي، ثم أخذ أحدهم، وهو طبيب، يروي الحادث الذي عرض له شخصيًّا كطبيب. لقد جاءه شاب في منتصف الليل وأخبره بأن زوجته قد شنقت نفسها، ولما كان منزلهما خاليًا من التليفون فقد بادر الشاب بقطع الحبل الذي كانت تتدلى منه، وحاول إسعافها بقدر طاقته، ثم بادر بإخراج سيارته من الجراج، وانطلق بها كالمجنون بحثًا عن طبيب. لم تكن الزوجة قد فارقت الحياة ولكنها كانت في حالة غيبوبة تامة مما ساعد على إسعافها. وقد شعر الطبيب بأن الزوج كان شديد الحب والإخلاص لزوجته عندما رآه يبكي كالطفل الصغير، وكان مما ذكره الزوج للطبيب أنه لاحظ أن تصرفات زوجته في الفترة الأخيرة كانت غير طبيعية وأنه كانت تنتابها نوبات من الانقباض الشديد. وقصارى القول إن الحادث مر بسلام، وبدا أن كل شيء عاد إلى مجراه الطبيعي، غير أن الواقع كان بخلاف ذلك؛ إذ لم تمض بضعة أسابيع على ذلك حتى تناولت الزوجة كمية كبيرة من الحبوب المنومة قضت عليها. كانت مأساة. وهنا توقف "العقيد" قليلاً وهو يهز رأسه عدة مرات. ولما شعرت الآنسة "ماربل" بأن القصة لم تنته بعد لزمت الصمت. ثم أردف:

– ستقولين إن هذا هو ما قضى به القدر... امرأة انهارت أعصابها... ولا شيء غير ذلك... أمر لا يخرج عن المألوف، لكن بعد أقل من عام كان ذلك الطبيب

يتبادل الحديث مع زميل له فأخبره هذا الأخير بقصة امرأة حاولت إغراق نفسها، ولكن زوجها بادر إلى انتشالها من الماء وأسرع باستدعاء الطبيب وبذلك تمكنا من إنقاذها، لكن لم تمض بضعة أسابيع حتى قضت تلك المرأة نحبها. ومرة أخرى ستقولين بالتأكيد إنها مجرد مصادفة... أليس كذلك؟ ولكن الطبيب أراد أن يدلي بنصيبه في رواية القصص فأخبر زميله بأن حادثًا مشابهًا تمامًا لذلك قد وقع له، وكان اسم الرجل في هذا الحادث "جونز" (وإن لم يكن الطبيب واثقا بصحة هذا الاسم) وأن الزوجة توفيت بعد تناولها جرعة كبيرة من الحبوب المنومة، ثم سأل زميله عن اسم بطل قصته فأخبره بأنه لا يذكره وربما كان "روبرتس"، وعلى كل حال فهو واثق بأن اسمه لم يكن "جونز".

وهنا نظر الصديقان كل منهما إلى الآخر واتفقا على أن الأمر إذا كان مصادفة فعلاً فهي مصادفة عجيبة حقًا. ثم مد الطبيب يده إلى جيبه وهو يقول: "هذا هو الرجل... لقد حدث أن توجهت في اليوم التالي للحادث إلى منزله للاستفسار عن حالة المريضة، وعندما اقتربت من المنزل شاهدت حول مدخله مجموعة من الزهور الغريبة لم يكن قد سبق لي أن رأيت مثلها في تلك المناطق، وقد تصادف أن آلة التصوير كانت معي في السيارة فأسرعت بالتقاط صورة لها، وفي اللحظة التي كانت فيها آلة التصوير مفتوحة على المنظر كان الرجل يخرج من باب المنزل فاحتوته الصورة. لا أظن أنه لاحظ ذلك، وأنا شخصيًا لم أنتبه للإضافة التي جدّت على الصورة إلا عند تحميضها فيما بعد، وقد أخذت أسأل الرجل عن اسم الزهور مبديًا إعجابي بجمالها وغرابتها، ولكنه لم يستطع أن يذكر لي اسمها". وهنا كانت عينا زميل الطبيب قد وقعت على الصورة، فما لبث أن صاح: "إنها مهزوزة قليلاً ولكني واثق، بل أستطيع أن أقسم أنه الرجل نفسه". وأنا لا أدري ما إذا كان الرجلان قد واليا الموضوع بحثا، ولكنهما إذا كانا قالا فعلاً ذلك فهما لم يصلا إلى نتيجة، وأعتقد أن الرجل، سواء كان اسمه "جونز" أو "روبرتس"، قد أخفى آثاره بمهارة. وعلى كل حال فهي قصة غريبة، ألا ترينها كذلك؟ إنني لا أعتقد أن مثل هذه الحوادث يمكن أن تقع. فأجابت الآنسة "ماربل" بهدوء:

– بل هي تحدث فعلاً، وربما كانت تحدث كل يوم.

– لا أظنك جادة فيما تقولين، إنه شيء يصعب تصديقه.

– كلا البتة. إن من عادة المجرم إذا وجد أن الطريقة التي اتبعها قد نجحت أن يواظب على استخدامها.

– على كل حال، فإن الطبيب قد سمح لي بالاحتفاظ بالصورة على سبيل التذكار. وهنا كان العقيد "**بالجريف**" قد أخرج من جيبه محفظة متضخمة بمحتوياتها وأخذ ينقب فيها وهو يحدث نفسه: "ما أكثر الأوراق التي في هذه المحفظة... إنني لا أدري لماذا أحتفظ بكل هذه الأشياء!". أما الآنسة "**ماربل**" فكانت تظن أنها تدري... إن محتويات المحفظة كانت ذخيرة "**العقيد**"، وهي عبارة عن المستندات التي ترمز إلى حصيلته من القصص، وإن كانت تشك في أن القصة التي فرغ حالاً من سردها قد حدثت فعلاً بالتفاصيل التي رواها؛ إذ لابد أن تكرار السرد قد أدخل عليها العديد من التعديلات. ظل "**العقيد**" مستمراً في بحثه بين مجموعات الأوراق والصور التي اكتظت بها محفظته وهو يتمتم:

– لقد كدت أنسى كل شيء عن هذا الحادث، أيه... لقد كانت امرأة جميلة وما كان أحد ليشك... لكن أين؟ إن مثل هذه الصورة تنقل إليّ ذكريات الماضي... ما كان أبدعها أنياب تلك الفيلة، لابد أن أطلعك على..." توقف "**العقيد**" فجأة وهو يسحب صورة فوتوغرافية من محفظته وأخذ يتأملها ثم قال:

– والآن هل تحبين أن تشاهدي صورة قاتل طليق؟ وبينما هو على وشك أن يمد يده بالصورة، توقفت حركته فجأة، وتراءت صورته في تلك اللحظة أقرب شبهاً من ذي قبل بالضفدعة المحنطة. لقد خيل إليها أن العقيد "**بالجريف**" كان يحملق في ثبات من فوق كتفها اليمنى، وفي الوقت نفسه سمعت أصوات أقدام تقترب من هذا الاتجاه في حين أسرع "**العقيد**" بإعادة الصورة إلى المحفظة ودسها في جيبه وهو يقول:

– لعنة الله عليّ، أقصد... ازداد احتقان وجه "**العقيد**" فأصبح لونه أحمر قانياً وارتفع صوته الأجشّ عالياً وهو يستطرد:

– كما كنت أقول لك.. كان بودي أن أريك صور أنياب تلك الفيلة، وهي أضخم ما تمكنت من صيده... آه... مرحباً!" صاح "**العقيد**" بتلك العبارة الأخيرة وقد اكتسى صوته رنة ترحيب زائفة، ثم قال:

– انظري من القادم... إنهم الأربعة العظام... هيه... كيف كان حظكم اليوم؟

كان القادمون أربعة من نزلاء الفندق سبق للآنسة "**ماربل**" أن شاهدتهم، وهم يكوّنون مجموعتين من الأزواج. وعلى الرغم من أنها لم تكن قد عرفت بعد أسماءهم بالكامل إلا أنها كانت تعرف أن الرجل الضخم ذا الشعر الكثيف يدعى "**جريج**" وأن السيدة الشقراء كانت زوجته وتعرف باسم "**لاكي**". أما الزوجان الآخران فكانا مكوّنين من رجل طويل القامة بادي النحول وزوجته التي لفحت بشرتها أشعة الشمس وهما "**إدوارد**" و"**إيفيلين**". وكان الأربعة من علماء النبات كما كانوا يهتمون بالطيور. قال "**جريج**" مجيباً عن سؤال "**العقيد**":

– لم نصادف حظًا البتة، أو على الأقل لم نتمكن من العثور على ما كنا نبحث عنه. فقال "**العقيد**" وهو يقدمهم:

– ترى هل تعرفون الآنسة "**ماربل**"؟ "**هيلنجدون**" وزوجته "**إيفيلين**" و"**جريج**" وزوجته "**لاكي دايسون**". حيا الجميع الآنسة "**ماربل**" بابتهاج، ثم صاحت "**لاكي**" بصوت مرتفع قائلة إنها ستموت إن لم تحصل على شراب في الحال. أخذ "**جريج**" ينادي على "**تيم كيندال**" الذي كان يجلس مع زوجته إلى إحدى الموائد القريبة منهمكين في مراجعة دفاتر حسابات الفندق:

– هيه، "**تيم**"! إلينا ببعض الشراب. ثم التفت إلى الباقين متسائلاً:

– كوكتيل بالسكر؟ وافق الجميع ثم التفت "**جريج**" نحو الآنسة "**ماربل**" وسألها:

– هل تشاركيننا الشراب نفسه؟ ولكن الآنسة "**ماربل**" شكرته وقالت إنها تفضل عصير الليمون الهندي. فقال "**تيم كيندال**" الذي قد وصل في تلك اللحظة:

– حسنًا، عصير ليمون هندي طازج وأربعة كوكتيل بالسكر. فسألته "**لاكي**":

– هل لك في كأس معنا يا "**تيم**"؟

– كنت أتمنى لو استطعت، لكن يجب أن أنتهي من تلك الحسابات اللعينة، ولا يجدر بي بالتأكيد أن ألقي بالحمل كله على عاتق "**موللي**". وعلى فكرة، عندي لكم نبأ ستسرون له... إن الفرقة النحاسية ستعزف لنا في هذا المساء. فهللت "**لاكي**":

– يا إلهي! إن الأشواك تكسو جسمي كله. لقد تعمد "**إدوارد**" أن يدفعني داخل أحد الأدغال المليئة بالشوك. فقال "**جريج**" مدافعًا:

– كانت زهورًا قرمزية جميلة.

– وأشواكًا طويلة جميلة! إنه وحش سادي... ألست كذلك يا "**إدوارد**"؟ هيًا اعترف. ولكن "**جريج**" سبقه بالإجابة مداعبًا، وقال:

– على النقيض مني، فأنا مثال الشفقة الإنسانية المجسمة! وهنا جلست "**إيفيلين هيلنجدون**" بجوار الآنسة "**ماربل**" وأخذت تتحدث إليها بلطف وسلاسة. فوضعت الآنسة "**ماربل**" كيس غزلها في حجرها، وبقدر ما سمحت لها تلك الآلام الروماتزمية التي كانت تشكو منها في رقبتها حاولت أن تلتفت خلف كتفها اليمنى. كانت هناك وعلى مسافة قريبة الكبينة الفاخرة التي يشغلها السيد "**رافييل**"، ولكن الآنسة "**ماربل**" لم تشاهد فيها أثرًا لحركة، فأخذت ترد على ملاحظات "**إيفيلين**" وهي تشعر بمدى ما يظهره الناس عامة نحوها من عطف، وإن ظلت تجوب بعينيها متنقلة بين الرجلين. كان "**إدوارد هيلنجدون**" يبدو رجلاً لطيفًا، هادئًا، ولكنه كان شديد الجاذبية، أما "**جريج**"، بجسمه الضخم وصوته الجهوري وعينيه اللتين تشع منهما السعادة والرضا، فقد قدرت الآنسة "**ماربل**" أنه وزوجته إما من "**كندا**" أو من "**الولايات المتحدة الأمريكية**". ثم انتقلت ببصرها إلى العقيد "**بالجريف**" الذي كان لا يزال يتظاهر بالطيبة والمجاملة إلى أقصى حد... لقد بدأت الآنسة "**ماربل**" تشعر بالإثارة.

الفصل الثاني

كان جو فندق "النخيل الذهبي" في ذلك المساء مليئًا بالمرح. وكانت الآنسة "**ماربل**" تجلس إلى مائدتها الصغيرة في أحد أركان القاعة تتأمل ما يحيط بها باهتمام. كانت قاعة الطعام فسيحة وتنفتح من ثلاث جهات على جو الجزر اللطيف الدافئ المشبع بعبير الزهور، وكانت الموائد مزدانة بمصابيح صغيرة ذات ألوان هادئة، وكان معظم السيدات يرتدين ملابس السهرة وأغلبها من الأقمشة القطنية الخفيفة تبرز أكتافًا وأذرعًا لفحتها أشعة الشمس، أما الآنسة "**ماربل**"

نفسها فقد تمكنت "جوان" زوجة ابن أخيها من إقناعها بلباقة وإغراء بأن تتقبل منها مبلغًا صغيراً، وعلى حد قولها: "إنك يا عمتي "جين" سوف تجدين الجو هناك أقرب إلى الحرارة ولا أعتقد أن عندك شيئًا من الملابس الخفيفة". وقد شكرتها الآنسة "ماربل" وهي تتقبل منها المبلغ. إن العصر الذي نشأت فيه "جين" كان يقضي على الكبار أن يعاونوا الشباب ويتكفلوا بنفقاتهم، ولكنه في الوقت نفسه كان يقضي على متوسطي العمر بأن يهتموا بأمر كبارهم... ومع ذلك لم تستطع "جين" أن تقنع نفسها بضرورة شراء أي ملابس خفيفة جداً... إن من كان في مثل سنها يفضل الشعور بلذة الدفء ولو في أشد الأجواء حرارة، أما الجو في "سانت أونوريه" فلم يكن جواً استوائيًا بمعنى الكلمة. وفي ذلك المساء كانت ترتدي أفضل الأزياء التقليدية المعروفة لدى كبار سيدات الأقاليم في "إنجلترا"، وهو ثوب من الدانتيلا الرمادي اللون.. إن هذا لا يعني أنها كانت السيدة الوحيدة المتقدمة في السن في قاعة الطعام، فقد كان المكان يضم جميع الأعمار. كان هناك عدد من المخضرمين كل منهم برفقة الزوجة الثالثة أو الرابعة والتي كان عمرها في بعض الأحيان أقل من نصف عمر الزوج، كما كان هناك عدد من الأزواج المتوسطي العمر من شمال "إنجلترا". وثمة أسرة مرحة من "أمريكا اللاتينية" يعلو ضجيج أفرادها وهم يتحدثون بالإسبانية، أو لعلها البرتغالية، وكان هناك أيضا رجلان تبدو عليهما بوضوح سمات التربية الدينية الإنجليزية، أحدهما طبيب والآخر قاض، وحتى "الصين" كانت ممثلة بتلك الأسرة الكبيرة الهادئة.

كان أغلب القائمين بالخدمة في قاعة الطعام من الفتيات الوطنيات ذوات القوام الممشوق الجميل، وكن يرتدين زيًا موحداً ناصع البياض، وكان معهن رئيس سقاة إيطالي تبدو عليه الحنكة وطول المران، ومساعد له فرنسي الجنسية. وفوق كل ذلك كانت عينا "تيم كيندال" الساهرتان تراقبان كل كبيرة وصغيرة وهو يتنقل من مائدة إلى أخرى يلقي بالتحية أحيانًا وبنكتة لطيفة أحيانًا أخرى، في حين كانت زوجته تقوم بنصيبها من الخدمة بمهارة فائقة. كانت "موللي" ذات جمال ملحوظ وكان شعرها الأشقر الذهبي طبيعيًا لا دخل للصبغات في لونه، أما شفتاها فكانتا دائمتي الانفراج عن ابتسامة السعادة والطمأنينة. كان من النادر أن تفقد "موللي" أعصابها، وكان جميع عمال الفندق يخلصون لها ويتفانون في تنفيذ تعليماتها.

أما هي فكانت تكيف تصرفاتها بحيث تناسب جميع النزلاء على اختلاف ميولهم ونزواتهم، فكانت تضحك وتتخابث مع الرجال من كبار السن، وتطري النساء على حسن أذواقهن في اختيار ملابسهن. وما إن اكتمل عدد النزلاء في القاعة حتى تقدمت "**موللي**" من السيدة "**دايسون**" وقالت لها ضاحكة:

– أوه... ما أجمل هذا الثوب يا سيدة "**دايسون**"! إنني أشعر بالحسد لدرجة أنني أود لو انتزعته من فوق ظهرك... هذا مع أن "**موللي**" نفسها لم تكن أقل منها أناقة، أو هكذا كانت الآنسة "**ماربل**" تظن. كان ثوبها يتكون من قطعة واحدة ناصعة البياض، وقد غطت كتفيها بشال جميل مطرز بالبرودريه ذي لون أخضر باهت. وقد مدت "**لاكي**" يدها تتحسس هذا الشال بأصابعها وهي تقول:

– ما أجمل هذا اللون! كم أود أن يكون عندي واحد مثله! فأجابتها "**موللي**":

– تستطيعين شراء مثله من متجر الجزيرة. ولكن "**موللي**" لم تقترب من مائدة الآنسة "**ماربل**"؛ إذ كانت العادة أن تترك أمر العناية بالنزيلات المتقدمات في السن لرعاية زوجها "**تيم**"، وفي ذلك كانت تقول:

"إن أولئك العجائز العزيزات يفضلن الرجال دائمًا". وما هي إلا لحظات حتى وصل "**تيم كيندال**" إلى مائدة الآنسة "**ماربل**" وانحنى لها برشاقة يحييها، وقال:

– هل ترغبين في شيء خاص الليلة؟ ما عليكِ إلا أن تطلبي وأنا أتعهد بإعداده لك خاصة. أعتقد أن طعام الفنادق، وخصوصًا ما كان منها في المناطق الحارة، لا يناسبك. ابتسمت الآنسة "**ماربل**"، وقالت:

– بل إن هذا هو إحدى المتع التي تحصل عليها من السياحة.

– يسرني أن أسمع ذلك، ولكني أكرر... إذا كانت لك أية رغبة في أي شيء...

– مثل ماذا؟ تردد "**تيم**" قليلاً، ثم قال:

– بودنج بالخبز والزبد مثلاً؟ ابتسمت الآنسة "**ماربل**" ثانية، وقالت إنها تعتقد أن باستطاعتها الاستغناء في الوقت الحاضر عن بودنج الخبز والزبد، ثم تناولت ملعقتها وأخذت تتذوق من طبق الفاكهة المطبوخة الذي أمامها وهي تبدي تلذذها بمذاقها. وهنا بدأت فرقة الموسيقى النحاسية تعزف... كانت تلك الفرقة إحدى المعالم السياحية في الجزيرة وإن كانت الآنسة "**ماربل**"، والحق يقال، تفضل لو أنها عزفت

في مكان آخر بعيداً عن الفندق.. كانت الأصوات التي تصدر عنها تكاد تصم الآذان، ومع ذلك فقط كان معظم النزلاء يبدون إعجابهم بها ويعبرون عن استحسانهم لها، واضطرت الآنسة "ماربل"، تمشيا مع مبادئها التي حافظت عليها منذ شبابها، إلى أن ترضخ للواقع وتتماشي معه وهي على كل حال لم تكن لتستطيع أن تطلب من "تيم كيندال" مثلاً أن يستخدم وسيلة سحرية لكي يسمعها "لحن الدانوب الأزرق" مثلاً... الا ما أبدع رقصة "الفالس"! إن الطريقة التي يرقص بها القوم هذه الأيام لتدعو إلى العجب، وهم في حركاتهم الالتوائية المختلفة يكاد الناظر إليهم يحسب أن بهم مسًّا. ومهما يكن من أمر فإن للشباب الحق في أن ينعم كما يحلو له. وهنا توقفت رحلة الآنسة "ماربل" في عالم التأملات ونظرت إلى ما حولها، فإذا بعنصر الشباب غير موجودٍ، وهي التي كانت تفكر في أن الرقص والأضواء والموسيقى – حتى ولو كانت صادرة عن فرقة نحاسية –كل ذلك من مستلزمات الشباب. لكن أين الشباب؟ لعلهم يدرسون في الجامعات أو يشغلون وظائف لا تسمح لهم بأكثر من أسبوعين إجازة كل عام، ومكان كهذا يبعد عن العمران فضلاً على تكاليفه الباهظة. أما المتعة هنا فهي لمتوسطي العمر ولكبار السن الذين يحاولون إرضاء زوجاتهم الشابات... وتنهدت الآنسة "ماربل" بحسرة وهي تشعر بالأسف لهذه الأوضاع.. وعلى كل حال فهناك السيدة "كيندال"! إن سنها لا تتجاوز الثانية والعشرين أو الثالثة والعشرين، ويبدو أنها سعيدة بوقتها، ومع ذلك فهي تؤدي وظيفة ليس إلا...

وعلى مائدة قريبة منها كان يجلس "كانون بريسكوت" وشقيقته، وقد لوحا للآنسة "ماربل" يدعونها لمشاركتهما احتساء القهوة. وقد قبلت الآنسة "ماربل" دعوتهما وانتقلت إلى مائدتهما. كانت الآنسة "بريسكوت" امرأة نحيفة قاسية الملامح في حين كان شقيقها ممتلئ الجسم يشع المرح والدعة من جوانبه. وبعد أن انتهى الجميع من احتساء القهوة وتباعدت المقاعد عن المنضدة، أخرجت الآنسة "بريسكوت" من حقيبتها غطاء للمائدة وأخذت تستأنف ثني حوافه وهي تقص على الآنسة "ماربل" حوادث اليوم. لقد قامت هي وأخوها في الصباح بزيارة مدرسة جديدة للبنات، وبعد أن استراحا فترة قصيرة بعد الغداء أخذا يتجولان في بعض حقول القصب، ثم تناولا الشاي في "بنسيون" كان ينزل به بعض

أصدقائهما. ولما كان "**كانون بريسكوت**" وشقيقته قد مضى عليهما في الفندق فترة أطول فقد حصلت منهما الآنسة "**ماربل**" على كثير من المعلومات عن بعض النزلاء. فذلك الرجل العجوز، السيد "**رافييل**"، ياتي إلى هذا الفندق كل عام، وهو ثري جداً، يمتلك عدداً ضخماً من المتاجر الحديثة في شمال "**إنجلترا**"، أما السيدة الشابة التي تجلس معه فهي سكرتيرته "**استر والترز**"، وهي أرملة، وبالتأكيد لا غبار عليها، فالرجل يبلغ الثمانين من عمره... وقد قبلت الآنسة "**ماربل**" هذا التعليق عن الصلة التي تربط الرجل العجوز بسكرتيرته الشابة بهز الرأس دليلاً على الفهم، في حين استطردت الآنسة "**بريسكوت**":

– إنها شابة في منتهى اللطف، وأمها هي الأخرى أرملة وتعيش في "**شيشستر**". وللسيد "**رافييل**" وصيف خاص يأتي به معه، وهو في الواقع يقوم بعمل الممرض فضلاً على أنه مدلك محترف، وأعتقد أن اسمه هو "**جاكسون**"، أما السيد "**رافييل**" المسكين فيكاد يكون مشلولاً. اليس هذا مما يدعو إلى الحسرة وهو الذي يملك كل هذه الثروة؟ وهنا تدخل "**كانون بريسكوت**" معلقاً:

– إنه رجل سمح كريم. كانت الحركة قد أخذت تشتد في القاعة وأخذ النزلاء يغيرون مواضعهم، فالبعض يبتعدون عن الفرقة الموسيقية والبعض الآخر يقتربون منها في حين انضم العقيد "**باجريف**" إلى مائدة الزوجين "**هيلنجدون**" و"**دايسون**". إلا أن الآنسة "**بريسكوت**" خفضت من صوتها، وإن لم يكن هناك داع إلى ذلك إزاء الضجيج الذي كانت تحدثه الفرقة النحاسية، وقالت:

– أما تلك المجموعة... فاستحثتها الآنسة "**ماربل**" قائلة:

– نعم... كنت على وشك أن أسألك عنهم.

– كانوا هنا في العام الماضي، وهم يقضون ثلاثة أشهر كل عام متنقلين من جزيرة إلى أخرى. والرجل الطويل النحيل هو العقيد "**هيلنجدون**"، والمرأة ذات الشعر الأسود زوجته، وهما إخصائيان في علم النبات، أما الآخران، السيد "**جريجوري دايسون**" وزوجته فهما أمريكيان، والزوج يكتب عن الفراشات على ما أعتقد وكلهم يشتركون في الاهتمام بالطيور. فعاد "**كانون بريسكوت**" للتدخل في الحديث قائلاً:

– إنه لجميل أن يكون للإنسان هواية تستدعي وجوده في الهواء الطلق. فأجابته شقيقته:

– لا أظن أنهم سيسرون إذا سمعوك تسمي ذلك هواية... إنهم يكتبون مقالات جادة تنشرها لهم المجلة الجغرافية وجريدة فلاحة البساتين الملكية، وهم يزاولون هذا العمل بجدية. وهنا تعالت الضحكات الصاخبة من المائدة التي كان شاغلوها موضوع هذا الحديث، وكان صوت ضحكاتهم يطغى على رنين الآلات الموسيقية... كان "**جريجوري دايسون**" مائلاً إلى الخلف بمقعده وهو يدق المائدة بكلتا يديه، أما زوجته فكانت تعترض وتحتج في حين أخذ العقيد "**بالجريف**" يرتشف كاسه وهو بادي الانشراح. ولم يدل منظرهم في تلك اللحظة على أنهما يزاولون أي عمل جاد. وقالت الآنسة "**بريسكوت**" بلهجة مريرة:

– يجب على العقيد "**بالجريف**" أن يقلل الشراب، إنه يشكو من ارتفاع ضغط دمه. وهنا كان الساقي قد أحضر كمية أخرى من كؤوس الكوكتيل، فقالت الآنسة "**ماربل**":

– إنه لجميل أن يدرس الإنسان أخلاق الآخرين من تصرفاتهم... إنني عندما قابلتهم أول مرة بعد ظهر اليوم لم أكن واثقة بأي المرأتين زوجة لأي الرجلين. ساد الصمت فترة قصيرة ثم سعلت الآنسة "**بريسكوت**" بافتعال، وقالت:

– أما عن هذا... فقاطعها شقيقها بصوت عاتب:

– أعتقد أنه من الأفضل ألا تخوضي في هذا الموضوع.

– حقًا يا "**كانون**"... إنني لم أكن لأنوي أن أقول شيئًا... كل ما هنالك أنه في العام الماضي، لسبب لا أستطيع تحديده، كنا نظن أن السيدة "**دايسون**" هي السيدة "**هيلنجدون**"، إلى أن علمنا عن طريق بعض النزلاء الآخرين بخطإ هذا الظن. فقالت الآنسة "**ماربل**" وهي تتظاهر بالبراءة:

– إن الطريقة التي تتكون بها الانطباعات لعجيبة، أليس كذلك؟ وتلاقت عيناها بعيني الآنسة "**بريسكوت**" لحظة خاطفة، ولكنها كانت كافية لكي تتبادل المرأتان نوعًا من التفاهم النسائي. ولو أن "**كانون**" كان شخصًا آخر أكثر حساسية لشعر فورًا بأن وجوده معهما غير مرغوب فيه، ولكنه ظل جالسًا يتظاهر بالاستماع لأصوات الموسيقى في حين تبادلت المرأتان إشارة أخرى كانت كافية لتفهم كل منهما أنه من الأفضل لهما أن يؤجلا ذلك الحديث إلى فرصة أخرى. وسألتها الآنسة "**ماربل**":

– إن السيد "**دايسون**" ينادي زوجته باسم "**لاكي**"، فهل هذا هو اسمها الحقيقي أم هو للتدليل؟

– لا أعتقد أنه اسمها الحقيقي. وقال "**كانون**":

– الواقع أنني سألته عن ذلك، وكان رده أنه يناديها بهذا الاسم؛ لأنه يتفاءل بها لدرجة أنه لو فقدها، على حد تعبيره، لفقد حظه... لقد كان جميلاً منه أن يقول ذلك. وقالت الآنسة "**بريسكوت**":

– إنه جد مغرم بها. فنظر "**كانون**" إلى شقيقته بشك في حين ارتفع صوت الموسيقى فجأة بنغمات مضطربة تجمع على أثرها عدد من النزلاء في حلبة الرقص. أدارت الآنسة "**ماربل**" هي وزميلاها مقاعدهم لمشاهدة الرقص، وكانت الآنسة "**ماربل**" تفضل منظر الراقصين والراقصات وهم يتمايلون ويتحركون في توافق بديع على صوت هذه الموسيقى الصاخبة، فهي ترى أن الرقص عمل واقعي وله تأثير قوي في المشاهدين. لأول مرة في تلك الليلة شعرت الآنسة "**ماربل**" بأنها ليست غريبة في هذا المكان... لقد أدركت أن أهم ما كان ينقصها هو تحديد أوجه التشابه بين الأشخاص الذين تراهم أول مرة والأشخاص الذين تعرفهم شخصيًا من قبل، وهو أمر كان من السهل جدًا على الآنسة "**ماربل**" أن تحققه، وقد شعرت في تلك اللحظة بأنها تستطيع أن تعقد بعض المقارنات الطريفة. فـ "**موللي كيندال**" تشبه تلك الفتاة اللطيفة، وإن كانت الآنسة "**ماربل**" قد نسيت اسمها، التي تعمل كمسارية في حافلات "**سانت ماري ميد**"؛ ذلك لأنها كانت تعني بالركاب عناية فائقة، ولم تكن تطلق صفارتها ليتحرك السائق قبل أن تتأكد من أن جميع الركاب الراغبين في النزول قد وصلوا إلى الأرض سالمين... أما "**تيم كيندال**" فكان يشبه رئيس السقاة في فندق "**رويال جورج**" في "**مدشستر**": كان واضح الثقة بنفسه ومع ذلك فقد كان دائمًا بادي القلق، وهنا تذكرت الآنسة "**ماربل**" أنه كان يشكو من قرحة في معدته. والعقيد "**بالجريف**" لم يكن يفرقه شيء عن اللواء "**ليروي**" أو النقيب "**فليمنج**" أو أمير البحر "**ويكلو**" أو غيرهم من الضباط المتقاعدين. ثم انتقلت الآنسة "**ماربل**" إلى شخصية أخرى أكثر إثارة: "**جريج**" مثلاً. إن مقارنة "**جريج**" لم تكن سهلة لأنه كان أمريكيًا... ربما كان يشبه السير "**جورج ترولوب**"، فقد كان حاضر النكتة في اجتماعات الدفاع المدني، أو لعله يشبه

السيد "**مردوخ**" القصاب. لم تكن سمعة السيد "**مردوخ**"، في الواقع فوق الشبهات وإن كان بعض أهالي القرية يقولون إن ما يقال عنه ما هو إلا مجرد إشاعات وإن "**مردوخ**" نفسه يحب أن يشجع الإشاعات. و"**لاكي**"؟ إن المقارنة هنا سهلة، فهي تشبه "**مارلين**" التي تعمل في حانة التيجان الثلاثة... و"**إيفيلين هيلنجدون**"؟ لا، إنها لا تستطيع أن تقارنها بأحد ممن تعرفهم مقارنة دقيقة. إنها في مظهرها العام تعتبر امرأة عادية، فهي طويلة ونحيفة لوحت الشمس بشرتها، وهو طراز كثير الشيوع بين الإنجليزيات... ترى هل هي تشبه الليدي "**كارولين وولف**" زوجة "**بيتر وولف**" الأولى التي أقدمت على الانتحار؟ أو "**ليزلي جيمس**"، تلك المرأة الوديعة التي يندر أن تظهر مشاعرها والتي باعت منزلها وغادرت القرية دون أن تخبر أحداً بمقصدها؟ والعقيد "**هيلنجدون**"؟ لم تجد الآنسة "**ماربل**" ما يساعدها في إيجاد شبيه لـ "**العقيد**"، ورأت أنه لابد لها أن تعرف المزيد عنه، فهو من ذلك النوع الهادئ اللطيف الذي تحار في معرفة كنه أفكاره... أوه.. إن ذلك يذكرها بالعقيد "**هاربر**"... كان من هذا النوع من الرجال، وذات صباح وبكل هدوء قطع شريانه بالموسى ولم يعرف أحد مطلقاً السبب الذي دفعه إلى ذلك، وإن كانت الآنسة "**ماربل**" لديها بعض الشكوك عن حقيقة ذلك السبب.

اتجهت الآنسة "**ماربل**" بأنظارها بعد ذلك نحو مائدة السيد "**رافييل**".. كان أهم ما يعرفه الجميع عنه هو الثراء، وأنه يأتي إلى جزر "**الهند**" الغربية كل عام، كما أنه شبه مشلول ويشبه في منظره أحد الجوارح التي بلغت أقصى حدود العمر، فقد كانت ملابسه تتهدل فوق هيكله العظمي الذي لا يكاد يكسوه سوى طبقات رقيقة من الجلد المليء بالتجاعيد، أما عمره فربما كان السبعين أو الثمانين أو حتى التسعين. كانت عيناه نفاذتين وتصرفاته يغلب عليها طابع الفظاظة، وإن لم يكن أحد ليهتم بذلك، أولاً لأنه على هذا القدر من الثراء، وثانياً لشخصيته المسيطرة التي توحي إليك بشعور خفي بأن السيد "**رافييل**" يستطيع أن يكون فظًا إذا شاء ومتى شاء.

كانت تجلس معه إلى المائدة سكرتيرته السيدة "**والترز**" التي كان شعرها الأشقر ذا لون أبيض يشوبه الاصفرار، في حين كانت معالم وجهها تنم عن الطيبة والرقة.

وكان السيد "**رافييل**" كثيراً ما يبدي نحوها أشد صنوف الغلظة، ومع ذلك فقلما كان يبدو عليها شيء من التأثر، وكان ذلك منها على سبيل عدم الاهتمام وليس ولاء لمخدومها، وكان تصرفها هذا أشبه ما يكون بتصرف الممرضة الممتازة، ولم تستبعد الآنسة "**ماربل**" احتمال أنها فعلاً كانت تعمل ممرضة. وها قد اقترب من مائدة السيد "**رافييل**" شاب طويل القامة وسيم المظهر يرتدي سترة ناصعة البياض، ووقف بجوار مقعد الرجل العجوز الذي نظر إليه بهدوء ثم أشار إليه أن يجلس، فجلس الشاب منصاعًا للأمر. وقد خمنت الآنسة "**ماربل**" أن هذا الشاب لابد أن يكون هو السيد "**جاكسون**" وصيف السيد "**رافييل**". وأخذت الآنسة "**ماربل**" تتأمل الشاب بمزيد من الاهتمام... أما في بار الفندق فقد وقفت "**موللي كيندال**" تصلب ظهرها ثم خلعت حذاءها ذا الكعب العالي، وعند ذلك لحق بها "**تيم كيندال**" قادمًا من الشرفة، ولما وجدها بمفردها قال:

– هل انت تعبة يا حبيبتي؟

– قليلاً.. الظاهر أنني أجهدت قدمي كثيراً الليلة.. فنظر إليها "**تيم**" بقلق وقال:

– الا ترين أنك ترهقين نفسك أكثر من اللازم؟ إنني أدرك تمامًا ما في عملنا هذا من مشقة. فضحكت "**موللي**" وأجابت:

– لا تكن سخيفًا يا "**تيم**"... إنني أحب المكان هنا. إنه رائع... أليس هو ذلك الحلم الذي كنت أراه دائمًا وإذا به يتحقق؟

– إنه لشيء رائع فعلاً.. أن يكون الإنسان نزيلاً هنا... ولكن إدارة العمل نفسه، فهذا ما أسميه عملاً شاقًا. فقالت "**موللي**" متفلسفة:

– إنك لا تستطيع أن تحصل على شيء دون ثمن، أليس كذلك؟ فقطب "**تيم**" جبينه وقال:

– هل تظنين أن كل شيء يسير الآن على ما يرام؟ هل تعتقدين أننا نجحنا؟

– بالتأكيد نجحنا.

– ... وقدامى النزلاء؟ ألا تظنين أنهم يقولون: "إنه لم يعد كما كان في عهد الزوجين "**ساندرسن**"؟

– لابد أن يقول بعضهم مثل هذا الكلام، فهم يفعلون ذلك دائمًا. ولكن الذين

يقولون ذلك ليسوا إلا عدداً قليلاً من العجائز الذين يغرمون بالثرثرة. أنا واثقة بأننا أفضل من آل "ساندرسن"، فنحن على الأقل أكثر شباباً وأجمل منظراً. إنك لتفتن تلك القطط الهرمة وتحاول الظهور كما لو كنت تريد مطارحة الغرام لمن بلغت الأربعين أو جاوزتها. أما أنا فلا أنفك أغمز بطرف عيني لكبار السن من الرجال وأثير فيهم كوامن غرائزهم، وألعب معهم دور الابنة الحلوة الصغيرة التي يفضلها العاطفيون منهم. الواقع أننا بدأنا بداية طيبة للغاية. وهنا زال التقطيب عن وجه "تيم" وقال:

– إذا كان هذا هو شعورك... أما أنا فأشعر بالوجل. لقد قامرنا بكل ما نملك لإنجاح هذا المشروع، استقلت من وظيفتي... فقاطعته "موللي":

– خيراً فعلت. لقد كانت وظيفة مثبطة للهمم. فضحك "تيم" وقبلها فوق أرنبة أنفها في حين أردفت "موللي":

– كما قلت لك، لقد بدأنا بداية طيبة للغاية، فلماذا هذا القلق المستمر؟

– أعتقد أن هذه هي طبيعتي. إن ما يجول بخاطري دائماً هو: "لنفترض أن شيئاً ما حدث".

– وماذا يمكن أن يكون هذا الشيء؟

– لا أدري. قد يغرق أحد النزلاء مثلاً...

– لا أظن أن ذلك يمكن أن يحدث... إن هذا الشاطئ من أكثر الشواطئ أمناً، ولدينا هنا ذلك الحارس السويدي البليد الذي لا يني عن مراقبة المستحمين.

– إنك تجعلينني أشعر بالغباء. توقف "تيم" قليلاً ثم استطرد بتردد:

– ألم تعاودك تلك الأحلام ثانية؟ ولكن "موللي" ضحكت وأجابت:

– لقد كانت مجرد خزعبلات.

الفصل الثالث

كانت الآنسة "ماربل" تتناول إفطارها في حجرتها عادة، وكان يتكون غالبًا من الشاي وبيضة مسلوقة وشريحة من الفاكهة المحلية. فرغت الآنسة "ماربل" من تناول إفطارها كما فرغت في نفس الوقت من اتخاذ قرارها فيما يختص ببرنامج

اليوم. لم يكن الأمر في الواقع يحتاج إلى اتخاذ قرارات، فهي ستغادر فراشها وقتما تشاء، وتتمهل في حركاتها لاسيما والجو أقرب إلى الحرارة، كما أن مفاصلها لم تعد كسابق عهدها من الليونة وسلاسة الحركة، وبعد أن تستريح لبضع دقائق ستأخذ أدوات غزلها وتسير متمهلة قاصدة مبنى الفندق، وهناك تقرر أين تتخذ مجلسها لتبدأ تسليتها اليومية: هل تجلس في الشرفة المطلة على البحر أم تستأنف سيرها إلى الشاطئ وهناك تستطيع مراقبة المستحمين والأطفال؟ كانت في العادة تفضل الاختيار الأخير. أما بعد الظهر فسوف تستقل إحدى سيارات السياحة لتتجول في القرية، وإن كانت في الواقع لا تهتم بذلك كثيراً. وأخيراً لوحت بيدها بيأس وقالت لنفسها: "إن اليوم مع كل ذلك سوف يمر كباقي الأيام".

ولكن هذا التصور من الآنسة "**ماربل**" كان أبعد ما يكون عن الواقع القريب. بدأت الآنسة "**ماربل**" في تنفيذ برنامجها كما خططت له، وبينما هي في طريقها إلى الفندق قابلت "**موللي كيندال**". وللمرة الأولى لاحظت الآنسة "**ماربل**" أن تلك الشابة المشرقة لم تكن لتبتسم كعادتها، بل إن ما بدا عليها من وجوم جعل الآنسة "**ماربل**" تبادرها قائلة:

– أيتها العزيزة، هل حدث شيء؟ أومأت "**موللي**" برأسها وترددت لحظة، ثم قالت:

– إنك ستعرفين إن عاجلاً أو آجلاً. إن الجميع سيعرفون، إنه العقيد "**بالجريف**"... لقد مات. فصاحت الآنسة "**ماربل**" مستنكرة:

– أتقولين إنه مات؟

– نعم، مات في أثناء الليل.

– يا إلهي! لكم أنا آسفة.

– أجل، إنه لفظيع أن تحدث وفاة هنا... إن ذلك يجلب الحزن والغم للجميع، ولو أن "**العقيد**" بالتأكيد كان متقدمًا في السن. لم ترتح الآنسة "**ماربل**" لهذه العبارة الأخيرة، فهي لم تكن لتؤمن بأن كل من تقدمت به السن يصبح عرضة للموت في أي لحظة، فقالت:

– لقد كان بالأمس يبدو مرحًا وفي أتم صحة.

– كان يشكو من ارتفاع ضغط دمه.

– ومع ذلك فإن علاج ارتفاع ضغط الدم لم يعد مستعصيًا على الطب، وهناك العديد من العقاقير والأقراص. إن العلم يتقدم بخطوات واسعة.

– الحق معك، ولكن ربما يكون "**العقيد**" قد نسي تناول أقراصه أو لعله تناول منها أكثر مما يجب، كما يحدث أحيانًا مع الأنسولين مثلاً. ولكن الآنسة "**ماربل**" لم تجد وجها للمقارنة بين ارتفاع ضغط الدم ومرض السكر، فقالت:

– وماذا قال الطبيب؟

– لقد استدعينا الدكتور "**جراهام**"، وهو طبيب شبه متقاعد ويقيم الآن في الفندق، وقد ألقى نظرة على "**العقيد**"، كما جاء الطبيب المحلي بعد ذلك ليحرر شهادة الوفاة. إن كل شيء يبدو طبيعيًّا، ومثل هذه الوفيات محتملة الحدوث عندما يكون ضغط الدم مرتفعًا ولاسيما إذا أفرط المريض في تناول الشراب، و"**العقيد**" كما تعلمين كان بعيدًا عن الاعتدال في هذه الناحية.. خذي الليلة البارحة مثلاً...

– أجل لقد لاحظت ذلك.

– ويحتمل أن يكون قد نسي تناول الأقراص... كان ذلك من سوء حظ الرجل العجوز، وعلى كل حال فالإنسان لا يمكن أن يعمر إلى الأبد.. أليس كذلك؟ غير أن الحادث يسبب لنا قلقًا بالغًا – أقصد لـ"**تيم**" ولي – فقد يظن البعض أن للطعام الذي نقدمه للنزلاء دخلا فيما حدث.

– ولكن لا شك في أن أعراض التسمم من الأكل تختلف تمامًا عن أعراض ارتفاع ضغط الدم.

– هذا صحيح، ولكن الناس يتكلمون، وإذا ما صمموا على أن الطعام كان رديئًا وغادروا الفندق ثم أخبروا أصدقاءهم... فقالت الآنسة "**ماربل**" مواسية:

– لا أعتقد أن هناك ما يستحق أن يشغل بالك. وكما ذكرت الآن فإن رجلاً عجوزًا مثل العقيد "**بالجريف**" – ولابد أنه جاوز السبعين – معرض للوفاة في أي وقت.. إن الجميع سيعتبرون الحادث أمرًا عاديًّا وإن كان يدعو إلى الأسف.

– لو أن الحادث لم يكن بهذه المفاجأة! حقيقة كان كل شيء مفاجئًا... كان هذا هو رأي الآنسة "**ماربل**" بعد أن افترقت عن "**موللي**" وواصلت طريقها وهي تتخيل العقيد "**بالجريف**" في الليلة الماضية وهو يضحك ويثرثر بمرح زائد مع

الزوجين "**هيلنجدون**" و"**دايسون**". وعندما خطرت ببالها هذه الأسماء تباطأت في سيرها ثم توقفت فجأة.. لقد قررت عدم مواصلة السير إلى الشاطئ واختارت ركنًا ظليلاً في شرفة الفندق وجلست فيه، ثم أخرجت خيوط غزلها وأخذت الإبرتان تتحركان بين يديها في حركة سريعة كأنما كانتا تودان اللحاق بسرعة أفكارها... إن الآنسة "**ماربل**" ليست راضية عن طبيعة الحوادث... كلا، إنها ليست راضية أبدًا، فقد حدث كل شيء بسرعة غير طبيعية. أخذت الآنسة "**ماربل**" تستعرض حوادث الأمس: العقيد "**بالجريف**" وقصصه... إليها. وربما كان من الأفضل لو أنها أصغت إليها بمزيد من الاهتمام. كان "**العقيد**" قد بدأ بالحديث عن "**كينيا**" ثم انتقل إلى "**الهند**" ومنها إلى الحدود الشمالية الغربية وتطرق الحديث بعد ذلك لسبب ما إلى حوادث القتل، وهنا لم تكن الآنسة "**ماربل**" مصغية. لقد تحدث عن قضية شهيرة حدثت في الجزيرة وتحدثت عنها الصحف.. أخذ بعد ذلك - عندما سقطت منها كرة خيوط الغزل وانحنى ليلتقطها لها -يتحدث عن صورة... صورة قاتل... أو هكذا قال. وهنا أغمضت الآنسة "**ماربل**" عينيها وأخذت تحاول أن تتذكر كيف تسلسلت القصة... الواقع أنها كانت قصة مضطربة، سمعها "**العقيد**" في ناديه أو في أحد الأندية الأخرى رواها له طبيب، وكان الطبيب قد سمعها بدوره من طبيب آخر، وقام أحدهما بالتقاط صورة لشخص كان قاتلاً... أجل... تلك هي القصة.. لقد بدأت تفاصيلها تعود إلى ذاكرة الآنسة "**ماربل**".

الفصل الرابع

كان الدكتور "**جراهام**" رجلاً لطيفًا متقدمًا في السن، بلغ حوالي الخامسة والستين. وكان قد زاول مهنة الطب في جزر "**الهند**" الغربية سنوات طويلة، ولكنه أصبح الآن في شبه تقاعد بعد أن ترك معظم مرضاه لزميل له من أهالي الجزر. وقد بادر الدكتور "**جراهام**" بالحضور إلى حجرة الآنسة "**ماربل**" وحياها برقة وسألها عمَّا تشكو منه، ولحسن الحظ فإن من كان في مثل سن الآنسة "**ماربل**" كفيل بأن يجد سببًا أو آخر للشكوى، مما يمكن مناقشته بسهولة مع الطبيب، علاوة على

بعض المبالغات من جانب المريض. وقد ترددت الآنسة "**ماربل**" بين أن تختار لشكواها كتفها أو ركبتها، وأخيراً فضلت الركبة. أبدى الدكتور "**جراهام**" تلطفاً زائداً مع الآنسة "**ماربل**" وإن أحجم عن إخبارها بأن من كان في مثل سنها يكون دائماً عرضة لمثل هذه الاضطرابات، ثم كتب لها بعض الأقراص التي لا تخلو منها روشتة طبيب. ومن جهة أخرى فقد كانت خبرة الدكتور "**جراهام**" السابقة تجعله يدرك أن كثيراً من كبار السن يشعرون بالوحدة عند قدومهم إلى "**سانت أونوريه**"؛ ولذلك فقد آثر أن يبقى بعض الوقت في صحبة الآنسة "**ماربل**" يتبادل معها الحديث لعله بذلك يستطيع أن يرفه عنها بعض الشيء. وقد شعرت الآنسة "**ماربل**" بالخجل لاضطرارها إلى الكذب على مثل هذا الرجل الطيب، وإن أدركت أنه لم يكن أمامها أي وسيلة أخرى. نشأت الآنسة "**ماربل**" على تقديس الحق، وكانت في الواقع امرأة صادقة. ولكن عندما كان أداؤها لواجبها في بعض الظروف يفرض عليها فرضاً الالتجاء إلى بعض الأكاذيب، كانت مهارتها في التظاهر تجعل من الصعب التفرقة بين تلك الأكاذيب والحقيقة. سعلت الآنسة "**ماربل**" بافتعال واعتذرت للطبيب عن ذلك، وقالت بصوت حاولت أن تكسبه رقة وأنوثة:

– هناك شيء يا دكتور "**جراهام**" أود أن أسالك عنه، والواقع أنني لم أكن لأرغب في ذكره، ولكنني في الحقيقة لا أدري ماذا أفعل، فهو أمر مهم، بالنسبة إليّ، وأرجو أن تستطيع تقدير موقفي وألا تجد فيما سأطلبه منك باعثاً على المضايقة أو الاجتراء. أجاب الدكتور "**جراهام**" على هذه المقدمة الطويلة بقوله:

– هل هناك ما يشغل بالك يا آنسة "**ماربل**"؟ أرجو أن تسمحي لي بمساعدتك!

– إن الأمر يتعلق بالعقيد "**بالجريف**". أليس من المحزن أن يموت هكذا فجأة؟ لقد كانت صدمة شديدة لي عندما علمت بالنبإ هذا الصباح.

– نعم، كانت وفاته مفاجأة.. كان يبدو في أحسن حالاته ليلة الأمس. كان الدكتور "**جراهام**" يتكلم برقة ولكن بتحفظ. وكان من الواضح أن وفاة العقيد "**بالجريف**" بالنسبة إليه لم تكن حدثاً خارجاً عن المألوف، مما أدخل الشك في نفس الآنسة "**ماربل**" في أنها قد تكون مبالغة في تصوراتها، وأن طبيعتها المتشككة هي التي تقودها إلى تخيل الحوادث مما جعلها تفقد الثقة بأحكامها... ولكن هل هي أصدرت حكماً بالفعل أم أنها مجرد شكوك؟ ومهما يكن من أمر

فقد سبق السيف العَذَل، وها هي قد خطت الخطوة الأولى ولم يعد أمامها سبيل للتراجع، فقالت:

– كنت أتبادل معه أطراف الحديث بعد ظهر أمس، وكان يروي لي بعض ما صادفه في حياته من طرائف ومغامرات... لقد زار بعضاً من أغرب بقاع الأرض. فأجابها الدكتور، وهو الذي سبق أن واجه الكثير من ذكريات "**العقيد**" التي كانت تبعث في نفسه الملل:

– فعلاً.

– ثم أخذ يتحدث عن أسرته وعن طفولته، كما حدثته عن أبناء وبنات إخوتي، وكان يصغي إليَّ باهتمام واضح. ثم أطلعته على صورة كانت معي لأحد أبناء إخوتي، وهو صبي في غاية الظرف، وإن لم يعد صبيا، ولكنه بالنسبة إليَّ سيظل دائما ذلك الصبي الظريف. فعلق الدكتور متأدبًا وهو يعجب متى تبدأ تلك العجوز في طرق الموضوع:

– فعلاً.

– وقد ناولته الصورة وما إن أخذ يتأملها حتى قدم علينا ذلك الرباعي الظريف – أقصد أولئك الهواة بجمع الزهور الغريبة والفراشات – العقيد "**هيلنجدون**" وزوجته، على ما أظن.

– أجل... الزوجان "**هيلنجدون**" والزوجان "**دايسون**".

– تمامًا.. لقد انضموا إلينا فجأة وهم يضحكون ويتصايحون وطلبوا شرابًا وأخذنا جميعًا نتجاذب أطراف الحديث، وفي خلال ذلك أخرج "**العقيد**" محفظته ودون وعي منه وضع فيها الصورة وأعادها إلى جيبه... لم يستلفت الأمر انتباهي في ذلك الوقت ولم أتذكر موضوع الصورة إلا بعد أن افترقنا، فقلت لنفسي: "يجب ألا أنسى أن أطلب من "**العقيد**" أن يعيد لي صورة "**دينزل**" العزيز"، ثم تذكرتها فعلاً ليلة الأمس بينما كانت الموسيقى تعزف والجميع يرقصون، ولكني لاحظت أن "**العقيد**" كان في حالة مرح وانشراح فلم أشأ أن أزعجه وقررت أن أرجئ مطالبته بالصورة إلى الصباح. وهنا توقفت الآنسة "**ماربل**" وهي تلهث، في حين حاول الدكتور "**جراهام**" مساعدتها فقال:

– لقد فهمت تمامًا ما ترمين إليه... وهو أمر طبيعي أن ترغبي في استعادة الصورة، أليس هذا هو ما تريدين؟ أومأت الآنسة "**ماربل**" برأسها بشوق وقالت:

– أجل... أجل... هو هذا. إن تلك الصورة هي الوحيدة التي عندي وأنا لا أملك السلبية ولا أستطيع أن أتصور فقدها.. إن "**دينزل**" المسكين توفي منذ خمس أو ست سنوات وكان أحب أبناء إخوتي إليّ، والصورة هي الأثر الوحيد الذي يذكرني به، وهذا هو السبب الذي جعلني أفكر في أن ألجأ إليك، لعلك تستطيع مساعدتي على استرجاعها، فأنا أخشى أن ألجأ إلى غيرك فيتهمونني بالسخافة، وقد يتهكمون عليّ... لا أعتقد أنه يوجد غيرك من يستطيع أن يفهمني. فقال الدكتور:

– بالتأكيد، بالتأكيد. إني أقدر موقفك تمامًا.. إن شعورك هذا شعور طبيعي جدًّا، والواقع أنني سأقابل المسؤولين من رجال الأمن المحليين بعد قليل؛ لأن الجنازة كما تعلمين ستكون باكرًا، واليوم سيحضر مندوب من الإدارة المحلية للاطلاع على أوراق "**العقيد**" وحصر مخلفاته توطئة للاتصال بأقرب أقاربه... إنك تدركين بالتأكيد مثل هذه الإجراءات المعتادة، فإذا أمكنك أن تصفي لي الصورة.

– كان المنظر يمثل واجهة منزل وأحواض الزهور التي أمامه ويشمل منظرًا لشخص أقصد "**دينزل**" – خارجًا من الباب الأمامي للمنزل... كان أحد أبناء إخوتي الآخرين، وهو من هواة الزهور هو الذي التقط الصورة، وكان هدفه هو تصوير بعض فصائل الزهور النادرة التي كانت تنمو أمام المنزل، وعندما فتح "**دينزل**" الباب وهم بالخروج شملته الصورة، وعلى الرغم من أنها كانت مهزوزة إلا أنها كانت جميلة جدًّا وكنت أعتز بها غاية الاعتزاز وأحملها معي دائمًا. فأجاب الدكتور وهو يشعر بأنه قد آن الأوان لإنهاء هذا الحديث:

– حسنًا.. إن كل شيء واضح لي الآن، وأعتقد أنني لن أجد صعوبة ما في استعادة الصورة وإحضارها لك. ثم نهض الدكتور "**جراهام**" من مقعده في حين ابتسمت الآنسة "**ماربل**" وقالت:

– إن هذا الكرم زائد منك يا دكتور... إنك في غاية اللطف... إنك بالتأكيد تفهم وتقدر موقفي، أليس كذلك؟

– بالتأكيد، بالتأكيد. قال ذلك وهو يمد يده، محييًا ويستطرد قائلاً:

– أما بخصوص ركبتك فلا يقلقك أمرها.. عليك بتمرينها يوميًّا برفق، أما الأقراص فسأرسلها إليك فورًا... تناولي منها قرصًا ثلاث مرات في اليوم.

الفصل الخامس

أقيمت الصلاة على جثمان العقيد "**بالجريف**" في اليوم التالي، وقد حضرتها الآنسة "**ماربل**" برفقة الآنسة "**بريسكوت**" في حين قام شقيقها بإجراءات القداس، وما إن تم ذلك حتى عادت الحياة في الجزيرة إلى طبيعتها اليومية. وبعد ظهر ذلك اليوم جلست الآنسة "**ماربل**" في ركنها المعتاد منهمكة في غزلها، وإذا بالدكتور "**جراهام**" يقبل نحوها ويجلس على المقعد المجاور لها. وأزاحت الآنسة "**ماربل**" خيوط غزلها جانبًا وردت على تحية الدكتور الذي بدأ حديثه فوراً وبلهجة يشوبها الاعتذار قائلاً:

- أخشى يا آنسة "**ماربل**" أنني أحمل إليك أخباراً غير سارة.

- حقًّا أهي بشأن.....

- نعم.. إننا لم نعثر على صورتك الثمينة، وأخشى أن يكون ذلك مبعث مضايقة شديدة لك.

- أجل.. إنه لكذلك فعلاً.. ومع ذلك فإن أردت الحق فإني لا أظن أن الأمر يستحق كل هذا الاهتمام... إنها كما ترى مسألة عاطفية بحتة، وقد أدركت ذلك الآن... تقول إنها لم تكن في محفظة العقيد "**بالجريف**"؟

- كلا، ولا في أي مكان آخر بين مخلفاته... كانت هناك بعض الخطابات وقصاصات الصحف وبعض الصور القديمة ولكن لم يكن من بينها صورة بالوصف الذي ذكرته لي.

- هذا غريب... وعلى كل حال لا يسعني إلا شكرك يا دكتور "**جراهام**"، مع أسفي لما سببته لك من إزعاج.

- لم يكن في الأمر أي إزعاج، وأنا شخصيًا أعرف من واقع تجاربي الماضية مدى أهمية الذكريات العائلية ولاسيما عندما يتقدم بنا العمر. لقد خيل إلى الدكتور "**جراهام**" أن الآنسة العجوز قد تلقت الصدمة بشجاعة فائقة، كما خيل إليه أنه من المستحيل أن يكون العقيد "**بالجريف**" بعد أن عاد إلى حجرته أخذ يعبث بمحتويات محفظته فعثر على الصورة ولكنه كان قد نسي كل شيء عنها ولم يستطع أن يفسر الطريقة التي وصلت بها إلى محفظته فمزقها

باعتبارها شيئًا عديم الأهمية. ولكن الواقع أنها كانت ذات أهمية عظيمة بالنسبة إلى هذه السيدة العجوز الطيبة، ولحسن الحظ أنها واجهت الأمر بانشراح وتقبل. كان هذا هو تفكير الدكتور "**جراهام**"، أما الآنسة "**ماربل**" فإنها كانت أبعد من أن تتلقى الأمر بأي انشراح أو تقبل.. لقد شعرت الآن بأنها محتاجة إلى بعض الوقت لكي تستطيع ترتيب أفكارها، وإن كانت قد صممت على ألا تترك فرصة وجود الدكتور "**جراهام**" دون أن تستغلها إلى لأقصى حد. وسرعان ما وصلت معه حبل الحديث بحماس لم تحاول أن تخفيه، في حين ظن الرجل الطيب أن هذا الحماس يرجع إلى ما تشعر به العجوز الطيبة من وحدة، وكمحاولة منها للتغلب على ماأحدثه في نفسها فقدان الصورة العزيزة لديها، فاستجاب لمحاولتها وأخذ يحدثها عن الحياة في "**سانت أونوريه**" وعن الأماكن العديدة التي قد ترغب الآنسة "**ماربل**" في زيارتها. ولكن سرعان ما عاد الحديث ليحوم حول العقيد "**بالجريف**" عندما قالت الآنسة "**ماربل**":

– إنه لمن المؤسف أن يموت الإنسان هكذا بعيداً عن وطنه وأهله، وإن كان العقيد "**بالجريف**" كما أخبرني بنفسه ليس له من الأهل من هو قريب الصلة به، والظاهر أنه كان يعيش بمفرده في "**لندن**". فأجابها الدكتور "**جراهام**":

– إنه كان كثير الترحال، وبصفة خاصة في الشتاء... إنه لم يكن يحب جو "**إنجلترا**"، وأنا شخصيًا لا ألومه على ذلك.

– الحق معك، وربما كانت لديه أسباب صحية تضطره إلى قضاء الشتاء خارج "**إنجلترا**"، كأمراض الرئة مثلاً.

– كلا... لا أظن "**العقيد**" يشكو من رئتيه.

– ولكنه كان يشكو من ارتفاع ضغط الدم.. إن الجميع يتحدثون عن ذلك.

– هل حدثك بنفسه في هذا الشأن؟

– كلا، كلا... إن هذا المرض لم يرد على لسانه مطلقًا.. لقد سمعت به من الآخرين.

– أحقًا؟

– أعتقد أن الوفاة تكون متوقعة في مثل هذه الحالة؟

– ليس بالضرورة. توجد الآن وسائل عديدة للتحكم في ارتفاع ضغط الدم.

– لقد كانت وفاته فجائية، وأظن أنك لم تدهش لها.

– الواقع أنني لم أدهش كثيراً بالنسبة إلى رجل في مثل سن "**العقيد**"، ولكنني قطعاً لم أكن أتوقعها، وأصارحك القول إنه كان يبدو دائماً في أحسن حال، وإن كنت لم أفحصه طبياً ولم يسبق لي أن قمت بقياس ضغط دمه أو شيء من هذا القبيل. فسألته الآنسة "**ماربل**" ببراءة ظاهرة:

– هل يستطيع الإنسان – أقصد الطبيب – أن يعرف ما إذا كان الشخص يشكو من ارتفاع ضغط الدم بمجرد النظر إليه؟

– كلا... ليس بمجرد النظر إليه، بل لابد من إجراء بعض الفحوص.

– أوه.. أليس هو ذلك الحزام الذي تلفونه حول الذراع وتنفخون فيه؟ لكم أمقته. وعلى كل حال فإن طبيبي الخاص أكد لي أن ضغط دمي معتدل جداً بالنسبة إلى سني.

– يسرني أن أسمع منك ذلك.

– ولكن العقيد "**بالجريف**" كان شديد الولع بالشراب.

– نعم وهو ما لا يجدر بمن يشكون من ارتفاع ضغط الدم أن يفعلوه.

– ألا يتعاطى المريض أقراصاً معينة لهذا المرض؟

– بلى وتوجد عدة أنواع من هذه الأقراص، وقد كانت هناك زجاجة منها في حجرة "**العقيد**"، أقراص "السيرينايت". ما أروع التقدم العلمي في هذه الأيام! لقد أصبح في استطاعة الطب أن يأتي بالمعجزات. ومع ذلك فهناك منافس واحد للطب، وهو الطبيعة وكثيراً ما تنجح بعض طرق العلاج المنزلية من وقت إلى آخر.

– كطريقة وضع نسيج العنكبوت على الجرح.. كانوا يفعلون ذلك دائماً عندما كنت طفلة.

– إنها طريقة معقولة.

– وكذلك لبخة بذر الكتان على الصدر، والتدليك بزيت الكافور في حالات السعال.

– يبدو أنك تعرفين الكثير من وسائل العلاج الطبيعي وعلى فكرة كيف حال ركبتك؟ ألم تسبب لك متاعب جديدة؟

– كلا إنها أحسن حالاً بكثير.

– هذا جميل، وإن كنت لا أستطيع أن أحدد ما إذا كان هذا التحسن يرجع إلى الأقراص أو إلى الطبيعة... أكرر أسفي لأني لم أستطع مساعدتك بشأن الصورة..

– يكفيني ما أظهرت من كرم ولطف بالغين. إنني في الواقع أشعر بالخجل لما أخذته من وقتك. هل قلت إنه لم تكن هناك أي صور في محفظة "**العقيد**"؟

– بل كانت هناك صورة لـ "**العقيد**" نفسه وهو في شبابه ممتطيًا صهوة جواد، وصورة أخرى لفهد قتيل و"**العقيد**" يقف إلى جواره وقد وضع إحدى قدميه فوقه. وكان هناك أيضًا بعض صور تذكارية من هذا القبيل. ولكن وبكل تأكيد لم تكن هناك صورة كالتي وصفتها لي.

– إني ما قصدت أن أتشكك في قولك، فأنا واثقة بأنك لم تقصر في البحث عنها ولكنك تعلم مدى اهتمامنا بمثل هذه السفاسف. فأمن الدكتور "**جراهام**" على كلامها وهو يبتسم وقال:

– كنوز الماضي.. هيه؟ ثم حياها وانصرف. ظلت الآنسة "**ماربل**" في مكانها تنظر إلى أشجار النخيل وإلى البحر الهادئ بتأمل وتفكير. والغريب أنها لم تفكر في إخراج خيوط غزلها من كيسها.. إنها الآن تملك حقيقة واحدة على الأقل ويجب عليها أن تحلل هذه الحقيقة وتكشف عن معناها: ذلك أن الصورة التي كان "**العقيد**" قد أخرجها من محفظته ثم أعادها إليها بسرعة لم تعد موجودة في المحفظة بعد وفاته، ولم تكن تلك الصورة من النوع الذي يمكن القول إن "**العقيد**" قد يمزقه أو يلقي به جانبًا. ولقد رأته بعينيها وهو يعيدها إلى المحفظة، وكان يجب أن تكون موجودة بها بعد وفاته. لو أنها كانت نقودًا لأمكن القول إنها سرقت، ولكن من ذا الذي يفكر في سرقة صورة؟ إلا إذا كان هناك سبب خاص يدعو إلى ذلك... وهنا اكتسى وجه الآنسة "**ماربل**" بمسحة من الجدية وكان عليها أن تتخذ قرارًا: هل ستترك العقيد "**بالجريف**" يرقد هادئًا في قبره أم أنها ستثير المتاعب؟ أليس من الأفضل أن تترك الأمور تجري في أعنتها؟ إن "**العقيد**" قد رحل إلى العالم الآخر ولم يعد هناك ما يمكن أن يضره ولكن هل كانت مجرد مصادفة أن يرحل عن هذا العالم في تلك الليلة بالذات؟ أم أن هناك احتمالاً في أنها ليست مصادفة بأي حال من الأحوال؟ إن الأطباء يتقبلون وفاة كبار السن بسهولة وبصفة خاصة في حالة العقيد "**بالجريف**" الذي وجدوا في حجرته زجاجة من الأقراص التي يجب أن

يتناولها يوميًا كل مريض بارتفاع ضغط الدم. ولكن إذا كان هناك من سرق الصورة من المحفظة فإن هذا السارق كان بإمكانه أن يضع زجاجة الأقراص في حجرة "**العقيد**"، وهي شخصيًا لم يسبق لها أن شاهدت "**العقيد**" يتناول أي نوع من الأقراص، كما أنه لم يتحدث إليها مطلقًا عن ارتفاع ضغط دمه. إن كل ما ذكره "**العقيد**" خاصًا بصحته لم يكن يتعدى تلك العبارة التي كان يرددها دائمًا: "لم أعد شابًا كما كنت"، كما أنها لاحظت أحيانًا أن تنفسه يضيق، ولابد أنه كان يشكو من ربو خفيف، ولا أكثر من ذلك. غير أن هناك من ذكر أن العقيد "**باجريف**" كان يشكو من ارتفاع ضغط الدم... أكانت "**موللي**"؟ أم الآنسة "**بريسكوت**"؟ للأسف إنها لا تتذكر. وهنا زفرت الآنسة "**ماربل**" وأخذت تخاطب نفسها: "والآن يا "**جين**"... ماذا تقترحين أو ماذا ترين؟ الا يحتمل أن تكوني قد خلقت لنفسك أوهامًا لا أساس لها من الصحة؟ ماذا لديك لتبني عليه كل هذه الوساوس؟" وللمرة الثانية أخذت تستعيد لنفسها، خطوة خطوة، تفاصيل الحديث الذي دار بينها وبين "**العقيد**" حول القتلة وحوادث القتل. وعادت الآنسة "**ماربل**" تخاطب نفسها: "وحتى لو أن.. يا إلهي.. إنني لا أدري كيف أتصرف". ولكنها كانت تعلم تمامًا أنها كانت تنوي أن تحاول التصرف.

الفصل السادس

استيقظت الآنسة "**ماربل**" مبكرة، وكعادة كثير من كبار السن كان نومها خفيفًا تتخلله فترات من اليقظة كانت تقضيها في التخطيط لبعض الأعمال التي تنوي القيام بها في اليوم أو الأيام التالية، وكانت تلك الأعمال في العادة ذات طابع شخصي أو عائلي، ولم تكن تهم أحدًا غيرها. ولكن في هذا الصباح ظلت الآنسة "**ماربل**" تفكر بعمق وبتمعن في "جريمة قتل"، وفيما يجب أن تفعله لو تبين أن شكوكها تحققت... لن يكون الأمر سهلاً ولم يكن لديها سوى سلاح واحد لا غير يمكنها استخدامه، ذلك هو التحدث مع الآخرين. إن من عادة العجائز من النساء أن يثرثرن، وإذا كان معظم الناس يتضايقون من مثل هذه الثرثرة إلا أن أحدًا ما كان ليشك في أن وراءها أغراضًا خاصة، وستراعي الآنسة "**ماربل**" بالتأكيد الا تسأل

أسئلة مباشرة (والواقع أنها هي نفسها لم تكن تعرف بعد ما هي الأسئلة التي تريد أن تسألها). ومع كل فإن ما تحتاج إليه أولاً هو معرفة المزيد عن بعض الشخصيات، ولذا فقد أخذت تستعرضهم في مخيلتها. يجب أولاً أن تعرف المزيد عن العقيد "**باجريف**" وإن كانت تشك في أن هذه المعرفة ستفيدها؛ لأنه إذا كان "**العقيد**" قد قتل فمن المؤكد أن الدافع إلى قتله لا يرجع إلى وجود أسرار في حياته الخاصة، أو إلى وجود أموال تثير طمع من سيرثها، وليس هو بالتأكيد من أجل الانتقام. والواقع أنه على الرغم من أن "**العقيد**" كان هو الضحية فإن الوضع هنا يعتبر من الحالات النادرة التي لا تساعد فيها زيادة المعرفة بأحوال القتيل على الاستدلال على القاتل. إن النقطة الوحيدة الظاهرة في هذا الوضع كما خيل إليها، هي أن "**العقيد**" كان يتكلم أكثر مما يجب. لقد وقفت الآنسة "**ماربل**" على حقيقة مهمة من الدكتور "**جراهام**". ذلك أن "**العقيد**" كان يحتفظ في محفظته بعدة صور، إحداها له وهو على صهوة جواد والثانية مع فهد ميت، وبعض الصور الأخرى التي من هذا النوع. إذن فلماذا كان "**العقيد**" يحتفظ بمثل هذه الصور؟

إن خبرة الآنسة "**ماربل**" الطويلة نتيجة اختلاطها بكثير من رجال الجيش المتقاعدين توحي إليها بأن احتفاظ "**العقيد**" بتلك الصور يرجع إلى أنه كان يدخر في ذاكرته قصصاً عنها وكان يجد متعة خاصة في روايتها. فإذا ما بدأ يروي قصة عن الفهد الشرس الذي تمكن من اصطياده في أثناء خدمته في "**الهند**"، ومتى وصل إلى النقطة المثيرة في القصة أخرج محفظته وأخرج منها صورته مع الفهد ليريها لمستمعيه؛ ولذا فإن قصته عن القاتل المشتبه فيه سوف تحتاج في الوقت المناسب إلى إبراز صورته من المحفظة ليعزز بها روايته. كان "**العقيد**" يستخدم هذا النمط من العرض في حديثه معها. وعندما تطرق الحديث بينهما إلى حوادث القتل ولكي يركز الاهتمام في قصته فإنه فعل ما كان يفعله دائماً في مثل هذه الأحوال فأخرج الصورة وهو ينوي أن يعرضها ويعلق عليها بقوله مثلاً: "والآن هل يخطر ببالك أن مثل هذا الشخص قاتل؟" الواضح الآن أن هذه الطريقة كانت عادة لديه، كانت قصة القاتل واحدة من بين مجموعة القصص التي يختزنها في ذاكرته ويحتفظ لكل منها بالصورة المؤيدة لها. وفي هذه الحالة، كما تبادر لذهن الآنسة "**ماربل**"، لابد أنه روى قصته لشخص آخر غيرها في الجزيرة، أو ربما لأكثر من

شخص واحد. فإذا كان الأمر كذلك فإنها تستطيع بدورها أن تقف من هذا الشخص على تفاصيل القصة، وربما أيضا على أوصاف الشخص الذي كان في الصورة. وهنا هزت الآنسة "**ماربل**" رأسها وقد شعرت بالارتياح لهذه النتيجة التي توصلت إليها في تفكيرها وهي تقول: "سوف أبدأ من هنا". من جهة أخرى فهناك أيضًا الأربعة الذين اعتبرتهم موضع الشك، وإن كان الواقع أن عددهم يجب أن يكون اثنين فقط طالما كان العقيد "**بالجريف**" يتحدث عن رجل، وهذان الاثنان هما العقيد "**هيلنجدون**" والسيد "**دايسون**" وكلاهما لا يبدو عليهما أي مظهر من مظاهر الإجرام. ومع ذلك فإن القاتل عادة لا يبدو عليه ما يدل على أنه مجرم. وفي هذه الحالة، هل يحتمل أن يكون هناك غيرهما؟ إنها عندما أدارت رأسها لتلتفت خلفها لم تشاهد أحداً. بالتأكيد كانت هناك كبينة السيد "**رافييل**"، فهل كان من الممكن أن يكون شخص ما قد خرج منها ثم عاد فدخلها ثانية قبل أن تتمكن الآنسة "**ماربل**" من التلفت خلفها؟ وإذا كان ذلك ممكنًا فليس هناك من يمكنه أن يفعل ذلك سوى وصيف السيد "**رافييل**"، وماذا كان اسمه؟ أجل، "**جاكسون**".

فهل يمكن أن يكون "**جاكسون**" هو الذي ظهر في الصورة خارجًا من باب المنزل في اللحظة التي التقطت فيها الصورة؟ من الجائز أن "**العقيد**" لم يكن قد دقق النظر في الصورة جيداً أو أنه لم يكن قد تأمل "**جاكسون**" جيداً، وهذا محتمل؛ لأن "**جاكسون**" لا يعدو أن يكون وصيفًا ولذا فهو ليس من الشخصيات التي تسترعي اهتمام باقي النزلاء. ولذا فما كاد "**العقيد**" يخرج الصورة من محفظته وينظر إليها حتى وقعت عيناه فجأة على "**جاكسون**" وهو خارج من باب الكبينة فحدثت المعرفة في الحال. تقلبت الآنسة "**ماربل**" في فراشها وقد استقر رأيها على برنامج اليوم وهو لا يعدو الحصول على المزيد من المعلومات عن كل من الزوجين "**هيلنجدون**" والزوجين "**دايسون**" والوصيف "**آرثر جاكسون**". كان الدكتور "**جراهام**" هو الآخر من الذين استيقظوا مبكرين هذا الصباح. كان من عادته إذا مااستيقظ في أثناء الليل أو قبل طلوع النهار أن يتقلب في فراشه بعض الوقت ثم يعاود النوم. ولكنه في هذا الصباح كان يحس بالقلق، وكان عجزه عن العودة للنوم شيئًا غير عادي لم يسبق أن حدث له منذ زمن طويل. ترى ما سبب هذا القلق؟

الواقع أنه لم يستطع أن يجد له تعليلاً، ومع ذلك فقد ظل يفكر... لابد من أنه شيء ما يتعلق بالعقيد "**بالجريف**"... وبوفاته... ومع ذلك فلم يتمكن من تحديد هذا الشيء، أو الربط بينه وبين الأرق الذي حل به. أم تراه شيئًا مما كانت تثرثر به تلك المرأة العجوز؟ إنه يأسف لضياع الصورة، وفي الوقت نفسه فهو يشعر نحوها بالإعجاب لتقبلها الصدمة بصدر رحب. ولكن ترى ما تلك الكلمة العابرة التي قالتها والتي سببت له هذا القلق، إذا كانت قد قالت فعلاً تلك الكلمة؟ إن وفاة العقيد "**بالجريف**" كانت طبيعية لاشك في ذلك، أو على الأقل هذا هو مايعتقده، فلم القلق إذن؟ لقد كان من الواضح أنه في مثل حالة "**العقيد**" الصحية. وهنا توقف الدكتور "**جراهام**" في تفكيره وهو يعجب... هل هو حقًا يعرف شيئًا عن حالة "**العقيد**" الصحية؟ إن الجميع يقولون إنه كان يشكو من ارتفاع ضغط الدم، ولكن الدكتور "**جراهام**" نفسه لم يسبق له أن تحدث مع "**العقيد**" في هذا الشأن، وليس ذلك بالمستغرب، فهو لم يتحدث كثيراً مع "**العقيد**". لقد كان "**العقيد**" رجلاً ثقيل الظل، وهو يتحاشى دائما الأشخاص الذين من هذا الطراز. لماذا إذن هذا الشعور الخفي بأن هناك شيئا غير طبيعي؟ إن كل شيء ليس على ما يرام؟ هل هو حديث تلك المرأة العجوز؟ ومع ذلك فهي لم تقل شيئا. ومهما يكن من أمر فلماذا يشغل نفسه بهذا الموضوع وهو لا صلة له به؛ إذ إن السلطات المحلية ومعها طبيب الشرطة مقتنعون تمام الاقتناع، فقد عثروا على زجاجة أقراص "السيرينايت" في حجرة "**العقيد**" وعلموا أنه تحدث أمام بعض النزلاء عن ارتفاع ضغط دمه. وأخيراً تمكن الدكتور "**جراهام**" من أن يسترخي ويعود إلى النوم... وفيما وراء منطقة الفندق حيث توجد مجموعة من الأكواخ على حافة أحد الخلجان الصغيرة نهضت الفتاة "**فيكتوريا جونسو**" جالسة في فراشها... كانت إحدى فتيات "**سانت أونوريه**" الوطنيات اللاتي يعملن في الفندق. كانت ذات قوام شاب ممشوق أشبه ما يكون بالرخام الأسود يتمنى أي مثال أن ينحت مثله.. تخللت الفتاة شعرها الطويل بأصابعها ثم زغدت بمرفقها رفيق فراشها في ضلوعه وهي تقول له:

– استيقظ يا رجل. فأجابها الرجل بصوت لا يزال يغلب عليه النعاس:

– ماذا تريدين؟ إن النهار لم يطلع بعد..

– قم يا رجل... إنني أريد أن أتحدث إليك. جلس الرجل في الفراش وهو يشد أطرافه ويتثاءب عن أسنان ناصعة البياض ثم قال:

– ماذا يقلقك يا مرأة؟

– إنه ذلك "**العقيد**" الذي مات الليلة الماضية، هناك شيء لا يعجبني، شيء لا يبدو طبيعيًا.

– وما الذي يدعوك إلى القلق؟ كان عجوزاً ومات..

– أصغ إليَّ. إن الموضوع يتعلق بتلك الأقراص التي سألني عنها الطبيب.

– وماذا بشأنها؟ ربما يكون قد تناول منها أكثر مما يجب.

– كلا... ليس هذا هو لب الموضوع. استمع إليَّ.. قالت ذلك وهي تميل نحوه في حين أدار لها ظهره وعاد للرقاد وهو يتمتم:

– لا أجد أي غرابة في الأمر... إن ما تقولينه ليس إلا محض هراء...

– على كل حال سأتحدث في الأمر مع السيدة "**كيندال**" بمجرد أن يبزغ الصباح... إنني أعتقد أن هناك خطأ ما. فقال الرجل دون اهتمام وإن كان صوته يحمل معنى الأمر للمرأة التي يعتبر نفسه زوجها الحالي:

– يجدر بك أن تتناسي الموضوع ولا تجري علينا المتاعب. ثم تثاءب ثانية وراح في سبات عميق.

الفصل السابع

كان الوقت ضحى على الشاطئ المواجه للفندق. خرجت "**إيفيلين هيلنجدون**" من الماء واستلقت على الرمال الذهبية الدافئة، ثم خلعت قلنسوتها وأخذت تنثر الماء عن شعرها بشدة. لم يكن الشاطئ كبيراً، وكان من عادة النزلاء أن يتجمعوا هناك كل صباح في حوالي الحادية عشرة والنصف، فكان هذا التجمع اليومي بمثابة اجتماع عام. وإلى يسار "**إيفيلين**" كانت السنيورا "**دي كاسبيرو**" – وهي إحدى سيدات "**فنزويلا**" الجميلات – تجلس في أحد المقاعد المستوردة خصوصًا للشاطئ، وإلى جوارها كان يجلس السيد "**رافييل**" العجوز الذي أصبح يعتبر بمثابة عمدة فندق "النخيل الذهبي" ويحتل المكانة التي لا يمكن لسوى رجل عجوز

مريض واسع الثراء أن يحتلها، وكانت "استر والترز" إلى جواره تسهر على راحته وقد تعودت أن تجعل دائماً في متناول يدها دفتراً وقلماً استعداداً لكتابة أية برقيات قد يطرأ على بال السيد "رافييل" أن يمليها عليها. كان هذا الرجل العجوز وهو في لباس البحر أشبه ما يكون بالهيكل العظمي وقد اكتسى بطبقة متهدلة من الجلد الجاف المليء بالتجاعيد. وعلى الرغم من أنه كان يبدو للناظر إليه كأنما هو موشك على الموت، فإن أهل الجزيرة يقولون إن منظره هذا لم يتغير طيلة الثماني السنوات الأخيرة... كانت عيناه الزرقاوان الحادتان أبرز ما فيه وهما تطلان فوق خديه المجعدين، في حين كانت أقصى متعة له أن يعارض كل ما يمكن أن يقوله الآخرون.
وكانت الآنسة "ماربل" هي الأخرى تجلس على الشاطئ، وكعادتها كانت أصابعها منهمكة في الغزل وهي تصغي إلى كل ما يقال حولها وتشترك في الحديث من وقت إلى آخر. وعندما كانت تفعل ذلك كان كل من حولها يبدي دهشته؛ لأنهم كانوا ينسون وجودها بينهم. وقد نظرت إليها "إيفيلين هلينجدون" بتودد وعطف وهي ترى فيها امرأة عجوزاً لطيفة. أما السنيورا "دي كاسبيرو" فقد وضعت كمية أخرى من زيت الشمس فوق ساقيها وهي تترنم بلحن إسباني جميل.. كانت من ذلك الطراز النادر من النساء اللاتي لا يكثرن من الكلام، وقد نظرت إلى زجاجة الزيت باشمئزاز وهي تقول:

– هذا الزيت ليس بجودة "الفرانجبيانو"، وهو غير موجود بهذه الجزيرة. أليس هذا مما يؤسف له! وقالت "استر والترز" تخاطب مخدومها:

– هل تنوي الاستحمام الآن يا سيد "رافييل"؟ فأجابها العجوز:

– سأستحم عندما أكون مستعداً.

– ولكن الساعة الآن تعدت الحادية عشرة!

– وماذا في ذلك؟ هل تظنينني من أولئك الرجال الذين يتقيدون بحركة الساعة؟ أفعل هذا الساعة، أفعل ذلك بعد عشرين دقيقة... أوه. كانت السيدة "والترز" قد أمضت في خدمة السيد "رافييل" مدة كافية لكي تعرف كيف تتصرف معه. كانت تعرف أنه يحتاج إلى فترة طويلة من الوقت بعد الحمام ليستعيد قواه؛ ولذلك فقد ذكرته بموعد الاستحمام قبل موعده المعتاد بحوالي عشر دقائق وهي تعلم أنها الفترة المناسبة لكي يعارضها ثم يعود للاستجابة لها دون أن

يبدو عليه أنه رضخ لها. رفع السيد "**رافييل**" إحدى قدميه ونظر إلى الزحافات التي كان يلبسها وقال:

– إنني لا أحب هذه الزحافات... لقد أخبرت ذلك الغبي "**جاكسون**" بذلك.. إنه لا يهتم بأية كلمة أقولها. فقالت السيدة "**والترز**":

– سأحضر لك غيرها... هل تود ذلك يا سيد "**رافييل**"؟

– كلا، لن تفعلي... اجلسي مكانك والزمي الهدوء. وفي تلك اللحظة غيرت "**إيفيلين**" من وضعها فوق الرمال وبسطت ذراعيها فوق رأسها، أما الآنسة "**ماربل**" فكانت منهمكة في غزلها، أو هكذا كان يبدو، ثم مدت قدمها قليلاً فإذا هي تلمس يد "**إيفيلين**" الممدودة، ولكنها أسرعت بالاعتذار إليها قائلة:

– كم أنا آسفة يا سيدة "**هيلنجدون**"... لم أقصد أن المسك بقدمي.

– لا بأس عليك... إن الشاطئ بدأ يزدحم. وعندما همت السيدة "**هيلنجدون**" بأن تغير موضعها على الرمال قالت الآنسة "**ماربل**":

– أرجوك لا تغيري مكانك... سأحرك مقعدي إلى الخلف قليلاً حتى لا تتكرر مني هذه المضايقة. وبعد أن عدلت الآنسة "**ماربل**" من مقعدها أخذت تتحدث بطريقة صبيانية مثرثرة:

– إنه لمدهش أن يكون الإنسان في هذا المكان.. هذه أول مرة أشاهد فيها جزر "**الهند**" الغربية وكنت أظن أنها من الأمكنة التي لا يصح لي أن أذهب إليها، ومع ذلك فهأنذي هنا... كل ذلك بفضل ابن أخي.. أعتقد أنك تعرفين هذا الجزء من العالم معرفة جيدة يا سيدة "**هيلنجدون**"؟

– لقد حضرت إلى هذه الجزيرة مرة أو مرتين قبل ذلك وبالتأكيد زرت باقي الجزر.

– بالتأكيد للبحث عن الفراشات والزهور البرية أليس كذلك؟ أنت وأصدقاؤك.. أم لعلهم أقرباؤك؟

– مجرد أصدقاء لا أكثر..

– وأنتم بالتأكيد تتنقلون معًا مادامت هوايتكم واحدة.

– أجل.. لقد سافرنا معًا لعدة سنوات خلت.

– أعتقد أنكم واجهتم بعض المغامرات المثيرة؟ فأجابت السيدة "**هيلنجدون**"

وقد اكتسى صوتها برنة الشعور بالملل:

– لا أظن.. ويبدو أن المغامرات لا تحدث إلا للآخرين.

– ألم تقابلكم أفاع مثلاً أو حيوانات مفترسة أو بعض الوطنيين الثائرين؟ وهنا أضافت الآنسة "ماربل" تحدث نفسها: "كم أبدو سخيفة!". ولكن السيدة "هيلنجدون" أجابتها قائلة:

– لا أكثر من لدغات الحشرات.

– إن العقيد "بالجريف" المسكين لدغته أفعى في إحدى رحلاته.

– أحقًا؟

– ألم يحدثك بذلك؟

– ربما، ولكني لا أتذكر.

– أعتقد أنك كنت تعرفينه جيداً، أليس كذلك؟

– العقيد "بالجريف"؟ كلا، لم أكد أعرفه.

– إنه كان لا يفتأ يروي القصص المثيرة. فتدخل السيد "رافييل" في الحديث قائلاً:

– كانت شخصيته تبعث على الملل، وفضلاً على ذلك فقد كان رجلاً سخيفًا. ولو أنه اهتم بأمر صحته كما يجب لما مات. وهنا حاولت السيدة "والترز" أن تذكره مرة ثانية بموعد استحمامه وتستحثه عليه ولكنه لم يعرها التفاتًا واستطرد قائلاً:

– أنا أعرف ما أقول.. لو أن كل إنسان عني بصحته لما واجهته أي متاعب في أي مكان.. انظروا إليّ... لقد يئس الأطباء مني منذ عدة سنوات ولكني تحديتهم وخططت لنفسي قواعد صحية خاصة سأظل محافظًا عليها، وهاأنذا كما ترونني. ثم أخذ السيد "رافييل" يتلفت حوله معجبًا بنفسه، وقد خيل إلى الآنسة "ماربل" أن وجود هذا الرجل في مثل هذا المكان يبدو خطأ جسيمًا، في حين شاركت السيدة "والترز" في الحديث قائلة:

– إن العقيد "بالجريف" المسكين كان يشكو من ارتفاع ضغط دمه. فقال السيد "رافييل":

– هراء. ولكن "إيفيلين هيلنجدون" اعترضت قائلة بلهجة الواثق بما يقول:

– ولكن ذلك حقيقي.
– من قال ذلك؟ هل هو الذي أخبرك؟
– إن البعض يؤكد ذلك. فقالت الآنسة "**ماربل**" محاولة وصل الحديث:
– إن وجهه كان دائم الاحتقان. ولكن السيد "**رافييل**" اعترض على ذلك قائلاً:
– إن احتقان الوجه لا يعني بالضرورة ارتفاعًا في ضغط الدم. ومهما يكن من أمر فهو لم يكن يشكو من ارتفاع ضغط دمه لأنه قال لي ذلك. فسألته السيدة "**والترز**":
– ماذا تعني بقولك إنه قال لك ذلك؟ أقصد أن الإنسان لا يستطيع أن يقول عن نفسه إنه لا يشكو من ارتفاع ضغطه.
– بل يستطيع... لقد نصحته ذات مرة – عندما رأيته يفرط في الشراب والطعام– بأنه يجب عليه أن يتجنب مثل هذا الإفراط وأن يحذر ارتفاع ضغط الدم ولاسيما لمن كان في مثل سنه، وقد أجابني أنه لا يخشى شيئًا من تلك الناحية؛ لأن ضغط دمه عادي جدًا بالنسبة إلى سنه. فتساءلت الآنسة "**ماربل**":
– ولكنه كان يتناول دواء لضغط الدم، أقراصًا اسمها على ما أذكر "سيرينايت"! فقالت "**إيفيلين هيلنجدون**":
– إذا سألتني رأيي لقلت لك إنه لم يكن ليحب أن يعترف بأنه مريض. وأعتقد أنه كان من أولئك الذين يخشون المرض ولذلك ينكرون أنهم مرضى. كانت تلك أطول عبارة نطقت بها السيدة "**هيلنجدون**"، وقد نظرت إليها الآنسة "**ماربل**" متأملة في حين قال السيد "**رافييل**" بصوت متسلط:
– إن المشكلة هي أن كل واحد منا يهتم دائمًا بمعرفة ما يشكو منه الآخرون، ويعتقد أن كل شخص تعدى الخمسين لابد أن تكون وفاته ناجمة عن ارتفاع ضغط الدم أو انسداد الشريان التاجي أو ما شابه ذلك. وفي رأيي، إن الإنسان إذا قال إنه لا يشكو مرضًا فلابد من أن يكون قوله هذا صحيحًا، إذ المفروض أن يدرك كل إنسان حقيقة حالته الصحية. كم الساعة الآن؟ الثانية إلا ربعًا؟ كان يجب أن أستحم منذ أكثر من نصف ساعة. لماذا لا تذكرينني بمثل هذه المواعيد يا "**استر**"؟ ولكن السيدة "**والترز**" لم تجب هذا التنبيه بل نهضت واقفة وساعدت السيد "**رافييل**" بمهارة على أن يقف هو الآخر، ثم قصدا معًا إلى حافة الماء وهي تسنده

بعناية ثم نزلا إلى الماء. هذا في حين فتحت السنيورا "**دي كاسبيرو**" عينيها وغمغمت:

– ما أقبح الرجال العجائز! في رأيي، إنه يجب إعدام كل من تجاوز الأربعين، وقد يكون من الأفضل بعد سن الخامسة والثلاثين. أليس كذلك؟ وقبل أن يفكر أحد الحاضرين في الإجابة عن هذا السؤال حضر كل من "**إدوارد هيلنجدون**" و"**جريجوري دايسون**" وهما يعدوان وقال "**جريج**" مخاطباً "**إيفيلين**":

– كيف حال الماء اليوم يا "**إيفيلين**"؟

– كحالته كل يوم.

– ألا يتغير أبداً! أين "**لاكي**"؟

– لست أدري. ومرة ثانية أخذت الآنسة "**ماربل**" تنظر إلى الشعر الأسود المستلقي أمامها، في حين استطرد "**جريج**":

– حسناً. سأقوم الآن بتقليد الحوت. قال ذلك وهو يخلع قميصه المشجر المتعدد الألوان وينطلق نحو الماء فيلقي بنفسه فيه وهو يزحف سابحاً. أما "**إدوارد هيلنجدون**" فقد جلس على الرمال بجوار زوجته وهو يقول لها:

– هل ستنزلين إلى الماء ثانية؟ فابتسمت "**إيفيلين**" ووضعت قلنسوتها فوق رأسها، ثم قامت مع زوجها متجهين إلى الماء وقد تشابكت أيديهما. فتحت السنيورا "**دي كاسبيرو**" عينيها مرة ثانية وقالت:

– كنت أظن في بداية الأمر أن هذين الزوجين يقضيان شهر العسل. إن الرجل يبدي نحوها تلطفاً زائداً ومع ذلك فقد قيل لي إنهما متزوجان منذ أكثر من ثماني سنوات. أليس ذلك بعيداً عن التصديق؟ ومرة ثانية لم يجبها أحد في حين قالت الآنسة "**ماربل**":

– إني لأعجب أين ذهبت السيدة "**دايسون**"..

– أتقصدين "**لاكي**"؟ لابد أنها الآن مع أحد الرجال.

– هل تظنين ذلك؟

– بل هذا مؤكد.. إنها من ذلك الطراز وإن لم تعد شابة. وزوجها هو الآخر، إن عينيه لا تفتآن تحومان في كل مكان وهو لا يني عن مغازلة الجميع وفي كل وقت. إنني أعرف ذلك.

– بالتأكيد، لابد أن تعرفي. فألقت السنيورا "**دي كاسبيرو**" على الآنسة "**ماربل**" نظرة متسائلة وكأنها لم تكن تتوقع مثل هذا التعليق غير أن الآنسة "**ماربل**" كانت تنظر إلى الأمواج بنظرات تشع منها البراءة والسذاجة.

*****

– هل أستطيع أن أتحدث إليك يا سيدة "**كيندال**"؟ فاجابت "**موللي**"، وكانت تجلس إلى مكتبها في الفندق:

– بالتأكيد يا "**فيكتوريا**". اقفلت "**فيكتوريا جونسون**" باب الحجرة واقتربت من المكتب بقامتها الفارعة وشبابها المتدفق وزيها الأبيض الناصع بحركة بطيئة متوجسة، وقالت هامسة:

– أريد أن أخبرك بشيء يا سيدة "**كيندال**" لو سمحت.

– حسناً، ما هو؟ هل هناك ما يقلقك؟

– لا أدري بالضبط.. إن الأمر يتعلق بالرجل العجوز الذي توفي بالفندق، السيد "**العقيد**"، لقد توفي في أثناء نومه.

– أجل، أجل. وماذا في ذلك؟

– لقد عثروا على زجاجة أقراص في حجرته، وقد سألني الطبيب عنها.

– حسناً؟

– عندما دخل الطبيب حجرة السيد "**العقيد**" أخذ ينظر حوله ثم وجد بعض العقاقير ومنها أقراص لعسر الهضم ومسحوق للأسنان وبعض أقراص الأسبيرين وأقراص ملينة ثم وجد تلك الأقراص المسماة "السيرينايت".

– حسناً!

– عندئذ نظر الطبيب إلى الزجاجة وهز رأسه وقد بدا عليه أنه اقتنع بشيء ما. ولكن عندما فكرت في الأمر بعد ذلك تذكرت أن تلك الزجاجة لم تكن موجودة في حجرة السيد "**العقيد**" قبل وفاته، ولم يسبق لي أن شاهدتها من قبل أما باقي العقاقير فإني أعرفها كلها، وكنت أشاهدها دائماً.. مسحوق الأسنان والأسبيرين ولوسيون ما بعد الحلاقة وباقي المجموعة، أما تلك الأقراص – أقراص "السيرينايت" فلم يسبق لي أن شاهدتها من قبل. بدت الحيرة على وجه "**موللي**" وقالت:

– إذن فانت تظنين..

– لا أعرف يا سيدتي ماذا أظن.. كل ما أعرفه أن الوضع غير طبيعي ولذا آثرت أن أخبرك، فقد ترين من الضروري أن تخبري الطبيب؛ إذ ربما يكون في الأمر شيء.. ألا يحتمل أن يكون شخص ما قد وضع تلك الأقراص خصوصاً لكي يأخذ منها السيد "**العقيد**" ويموت؟

– أوه... إني لا اظن ذلك محتملاً مطلقًا. هزت "**فيكتوريا**" رأسها وقالت:

– من يدري؟ كثير من الناس يفعلون الشر. أدارت "**موللي**" نظرها خارج النافذة... كان المكان يبدو جنة أرضية بشمسه المشرقة وبحره الهادئ الجميل وشعبه المرجانية والموسيقى والرقص.. كل ذلك كان كفيلاً بأن يجعل من المكان جنة، ومع ذلك تخللها ظل من الشر.. شبح الأفعى وهي تنفث سمومها... ألا ما أبغض وقع هذه الكلمات على السمع! وفجأة تحولت "**موللي**" نحو الفتاة وقالت بشيء من الحدة:

– سوف أقوم بتحريات يا "**فيكتوريا**" فلا تقلقي، ومهما يكن من أمر فإنه يحسن بك أن تتكتمي الأمر ولا داعي لبث الإشاعات. وبينما كانت "**فيكتوريا**" على وشك الانصراف دخل "**تيم كيندال**" ولما شاهد الفتاة خارجة قال:

– هل حدث شيء يا "**موللي**"؟ ترددت "**موللي**" قليلاً ولم تشأ أن تخفي عنه الأمر، فالفتاة جديرة بأن تذهب إليه فيما بعد، ولذا فقد قصت عليه ما قالته لها "**فيكتوريا**"، فقال:

– لا أستطيع أن أدرك لهذه السفسطة معنى، ومع ذلك فما تلك الأقراص؟

– الواقع أنني لا ادري تمامًا يا "**تيم**".. إن الدكتور "**روبرتسون**" عندما حضر قال إن هناك شيئًا ما يتعلق بارتفاع ضغط الدم على ما أظن..

– ما وجه الغرابة في ذلك؟ أعني أنه كان يشكو من ارتفاع ضغط الدم، وبالتالي فمن الطبيعي أن يتناول تلك الأقراص. اليس كذلك؟ كل من يشكون من هذا المرض يفعلون ذلك، وقد شاهدت بنفسي الكثيرين منهم.

– أجل.. ولكن "**فيكتوريا**" تظن أنه ربما يكون قد تناول بعض تلك الأقراص، وأنها هي التي كانت السبب في وفاته.

– يا حبيبتي... إن ما تقولينه لا يستقيم والمنطق. اتريدين القول إن بعضهم قد

استبدل بالأقراص الخاصة بارتفاع ضغط الدم أقراصًا أخرى سامة.

– إن الأمر يبدو بعيدًا عن العقل، إذا ما وصفته بهذا الشكل. ولكن هذا هو ماخطر ببال "**فيكتوريا**".

– إنها لفتاة غبية، ومع ذلك فيمكننا أن نذهب للدكتور "**جراهام**" ونسأله المشورة.. فهو لابد أنه يستطيع أن يشير علينا بما هو صواب، وإن كنت أرى أن الموضوع كله سخيف ولا يستحق أن نخبر به الدكتور "**جراهام**".

– هذا هو ما أراه أيضًا.

– بحق السماء ما الذي جعل الفتاة تظن أن أحدًا استبدل تلك الأقراص! هل تعنين أن الأقراص التي كانت بالزجاجة ليست هي أقراص "السيرينايت"؟ فقالت "**موللي**" وقد بدت عليها الحيرة:

– لا أدري بالضبط ماذا أعني... إن "**فيكتوريا**" تظن أن تلك كانت أول مرة تشاهد فيها زجاجة "السيرينايت" في حجرة "**العقيد**".

– أليس ذلك هو السخف بعينه! إنه كان مضطرا إلى تناول تلك الأقراص باستمرار ليتجنب ارتفاع ضغط دمه.. نطق "**تيم**" بهذه العبارة في مرح ظاهر وغادر الحجرة ليباشر أعمال الفندق بالتشاور مع رئيس السقاة، ولكن "**موللي**" لم تستطع أن تطرد الموضوع من تفكيرها بمثل هذه السهولة، فبعد أن خف ضغط العمل بعد إتمام ترتيبات الغداء عادت لتحدث زوجها في الموضوع وقالت:

– "**تيم**".. لقد فكرت طويلاً.. إذا كانت "**فيكتوريا**" ستظل تتحدث عن هذا الموضوع، أفلا يجدر بنا أن نستشير أحدًا في شأنه؟

– يا فتاتي العزيزة.. إن "**روبرتسون**" وباقي رجال الأمن قد فحصوا كل شيء والقوا كل ما عنّ لهم من أسئلة في حينه..

– هذا صحيح... ولكنك تعلم كيف ينفعل مثل هؤلاء الفتيات و...

– حسنًا، حسنًا. سأقول لك ماذا يجب أن نفعله... سنذهب إلى الدكتور "**جراهام**" وهو يستطيع أن يتصرف. كان الدكتور "**جراهام**" جالسًا في شرفة الفندق وبين يديه كتاب يقرؤه عندما دخل عليه الزوجان، وقد بدأت "**موللي**" فورًا في سرد القصة. كان حديثها متقطعًا لفرط انفعالها، فتدخل "**تيم**" وناب عنها في استكمال القصة، فقال:

– إن الأمر يبدو لي سخيفًا... وبقدر ما أستطيع أن أستنتج فإن الفتاة

"فيكتوريا" تظن أن شخصًا ما وضع أقراصًا سامة في زجاجة... ما اسمها... فأتم الدكتور "جراهام" العبارة قائلاً:

– "السيرينايت". ولكن ما الذي أوجد لديها هذه الفكرة؟ هل شاهدت شيئًا أو سمعت شيئًا... أقصد ما السبب الذي جعلها تفكر مثل هذا التفكير؟ فقال "تيم" بلهجة اليائس:

– لا أدري. ربما كانت الزجاجة مختلفة، هل تظنين ذلك يا "موللي"؟

– كلا. أظن أنها قالت إنه كانت ثمة زجاجة مكتوب عليها اسم الدواء... سيريـ...

أكمل الدكتور "جراهام" العبارة للمرة الثانية فقال:

– ... "نايت". أجل. إنه عقار معروف جيداً، و"العقيد" كان يتعاطاه باستمرار. فقالت "موللي":

– ولكن "فيكتوريا" تقول إنها لم تر تلك الزجاجة في حجرة "العقيد" من قبل. فصاح الدكتور متعجباً:

– لم يسبق لها أن رأت الزجاجة من قبل؟ ما الذي تعنيه بذلك؟

– لا أدري وايم الله... هذا هو ما قالته لي... لقد ذكرت أنه كان هناك من المستحضرات والعقاقير على رف الحمام... الأشياء المعتادة، مثل مسحوق تنظيف الأسنان والأسبيرين ولوسيون ما بعد الحلاقة و... لقد ذكرت بيانًا كاملاً ومطولاً، وقالت إنها كانت دائمًا تنظف المكان وتعرف بيان الأشياء الموجودة به عن ظهر قلب، فيما عدا تلك الزجاجة.. "السيرينايت".. فإنها لم ترها إلا في اليوم التالي للوفاة. فقال الدكتور "جراهام" وقد تقطب جبينه:

– هذا غريب. هل الفتاة متأكدة؟ كانت الحدة التي بدت في سؤال الدكتور قد جعلت الزوجين يحملقان إلى وجهه، إذ لم يكن أحد منهما يتوقع أن يظهر الدكتور "جراهام" مثل هذا الاهتمام، وقالت "موللي" ببطء:

– كان يبدو لي أنها واثقة... وقال "تيم":

– ألا يحتمل أنها لم تكن تسعى إلا للإثارة؟ فقال الدكتور "جراهام" بتصميم ظاهر:

– أعتقد أنه من الأفضل أن أتحدث شخصيًا مع الفتاة. كان السرور يبدو واضحًا على وجه الفتاة عندما وصلت وطلبت منها "موللي" أن تعيد سرد روايتها أمام الدكتور، فقالت:

– أنا لا أريد أن أزج نفسي في المشاكل... إنني لم أضع تلك الزجاجة هناك ولا أعرف من وضعها. فسألها الدكتور "**جراهام**":

– ولكنك تظنين أنها وضعت هناك؟

– ليس هناك تفسير آخر، فإن الزجاجة لم تكن هناك من قبل يا دكتور.

– الا يحتمل أن يكون العقيد "**بالجريف**" كان يحتفظ بها في أحد الأدراج أو في حقيبته أو أي مكان من هذا القبيل؟ هزت الفتاة رأسها بعناد وقالت:

– وهل يفعل ذلك إذا كان مضطرًا إلى تناول تلك الأقراص طوال الوقت؟ فقال الدكتور "**جراهام**" بتأن:

– كلا، كلا. إنها من العقاقير التي يجب تناولها عدة مرات في اليوم. ألم تشاهديه يتناول من هذه الأقراص أو أية أقراص أخرى مشابهة؟

– لم تكن هناك أقراص من هذا النوع قبل الوفاة. عندما انتشر الخبر بأن تلك الأقراص كان لها دخل في وفاته، سببت له تسممًا أو شيئًا من هذا القبيل، فكرت في احتمال أن يكون له عدو وضعها هناك عمدًا لقتله. فقال الدكتور "**جراهام**" بحدة:

– هراء يا فتاتي. محض هراء. أخذت الفتاة بهذا التحول في كلام الدكتور فسألته:

– هل تعني يا دكتور أن تلك الأقراص كانت دواء ودواء جيدًا؟

– إنها دواء جيد، ليس هذا فقط بل وضروري، ولذا فلا داعي لقلقك يا "**فيكتوريا**". إنني أستطيع أن أؤكد لك أنه لم يكن هناك أي خطإٍ فيما يختص بهذا الدواء، بل إنه كان الدواء المناسب تمامًا للحالة التي كان يشكو منها. وعادت الابتسامة إلى وجه الفتاة وبدت أسنانها اللؤلؤية وهي تقول:

– لا شك في أنك أزحت حملاً ثقيلاً عن كاهلي يا سيدي الدكتور. ولكن الحمل كان قد انتقل إلى كاهل الدكتور "**جراهام**". إن القلق الذي راوده وهو في الفراش والذي بدا وقتها كالسراب أصبح الآن حقيقة ملموسة.

*****

الفصل الثامن

عندما شاهد السيد "**رافييل**" الآنسة "**ماربل**" وهي تقترب من المكان الذي كان يجلس فيه مع سكرتيرته، مط شفتيه وقال:

– إن هذا المكان لم يعد كما كان. إن الإنسان لم يعد يستطيع أن يخطو فيه خطوة دون أن تتعثر قدماه في دجاجة عجوز... لماذا بحق السماء يأتي النساء العجائز إلى جزر "**الهند**" الغربية؟ فسألته "**استر والترز**":

– وإلى أين تقترح أن يذهبن؟

– فليذهبن إلى "**شلتنهام**" أو "**توركوي**" أو "**لاندريندود ويلز**".. إن مجال الاختيار واسع وأنا واثق بأنهن سيحببن أي مكان من تلك الأمكنة ويسعدن فيه.

– إن نفقات المجيء إلى جزر "**الهند**" الغربية لا يتحملها إلا القليل منهن... ليس الكل سعيد الحظ مثلك.

– هذا حقيقي، ومع ذلك فما أنا إلا كتلة من الآلام والأوجاع، فهل تستكثرين عليّ بعض المتعة! وأنت... ما هو العمل الذي تقومين به؟ إنك لا تفعلين شيئًا... هيه.. هل أتممت كتابة الخطابات؟

– لم أجد متسعًا من الوقت.

– وأين يضيع وقتك؟ لقد أحضرتك معي إلى هنا لتؤدي عملاً لا لتجلسي في الشمس وتستعرضي قوامك. إن من يستمع لمثل هذه العبارات من السيد "**رافييل**" لابد أن يعتقد أنه ما من إنسان يستطيع تقبلها أو تحملها، غير أن "**استر والترز**"، وقد عملت معه عدة سنوات، تعلم جيداً أن مثل هذه الثورة الكلامية من مخدومها لا ضرر منها البتة. إن الرجل كان يقاسي آلاماً متواصلة وكانت مثل تلك الثورات من الوسائل التي يستخدمها للتخفيف عن نفسه، ومهما كانت العبارات التي ينطق بها فإن السيدة "**والترز**" لم تكن لتعيرها اهتماماً. اقتربت منهما الآنسة "**ماربل**" بمقعدها وقالت:

– يا له من صباح جميل! فأجاب السيد "**رافييل**":

– ولم لا؟ أليس لهذا جئنا إلى هنا؟ فضحكت الآنسة "**ماربل**" ضحكة خافتة وقالت:

- إنك لشديد القسوة... لا شك في أن الجو هو موضوع كل حديث إنجليزي.
ثم نظرت إلى الخيوط التي تغزل بها وقالت:
- إن الإنسان منا لكثير النسيان... لقد نسيت إحضار اللون المطلوب. قالت ذلك ووضعت كيس الغزل فوق منضدة الحديقة واتجهت نحو كبينتها، في حين صاح السيد "**رافييل**":
- "**جاكسون**"! وعندما جاء "**جاكسون**" مهرولاً قال له السيد "**رافييل**":
- عد بي إلى الداخل.. ستقوم بعمل التدليك لي الآن قبل أن تعود تلك الدجاجة الثرثارة... وليس معنى ذلك أن التدليك الذي تقوم به يفيدني.. لم يتكلم "**جاكسون**" واكتفى بأن ساعد مخدومه على الوقوف وصحبه إلى الداخل. نظرت السيدة "**استر والترز**" إليهما وهما ينصرفان ثم أدارت رأسها، بينما عادت الآنسة "**ماربل**" ومعها كرة من الخيط وجلست إلى جوارها وهي تقول:
- أرجو ألا يكون في جلوسي معك أي إزعاج لك! فأجابتها السيدة "**والترز**":
- بالتأكيد لا. إنني لن أمكث طويلاً على كل حال إذ إني مضطرة إلى العودة لكتابة بعض الخطابات التي أملاها عليّ السيد "**رافييل**"، ولكني أفضل أن أمتع نفسي بهذه الشمس الجميلة بضع دقائق أخرى. جلست الآنسة "**ماربل**"، وبصوت حاولت أن تكسبه رقة وعذوبة بدأت حديثها وهي تحاول أن تزن المرأة الجالسة إلى جوارها.. لم تكن "**استر**" بالمرأة الفاتنة، ولكن كان باستطاعتها أن تكون جذابة لو أرادت، وقد عجبت الآنسة "**ماربل**" للسبب الذي يدعوها إلى عدم الاهتمام بزينتها... كان من المحتمل أن السيد "**رافييل**" قد لا يعجبه ذلك، وإن كانت الآنسة "**ماربل**" تستبعد هذا الاحتمال، فهي تعلم الآن أن اهتمام السيد "**رافييل**" ينصب كله على ذاته، ومادام هو لا يشعر بإهمال من يستخدمهم فإن سكرتيرته تستطيع، لو شاءت، أن تتزين كما تشاء لتبدو كحورية من حوريات الجنة دون أن يعترض. فضلاً على ذلك فإن السيد "**رافييل**" يأوي إلى فراشه مبكراً، وفي ساعات المساء عندما تعزف الموسيقى النحاسية ويدور الرقص فإن "**استر والترز**" تستطيع بكل سهولة أن... وهنا توقفت الآنسة "**ماربل**" في تأملاتها قليلاً محاولة أن تجد الكلمة المناسبة... نعم تستطيع أن تزدهر.. إن "**استر**" كانت تستطيع أن تزدهر

وتبرز في ساعات المساء. وأخيراً تمكنت الآنسة "**ماربل**" من أن تدير دفة الحديث نحو "**جاكسون**"، وهنا كان رد الفعل الذي أظهرته السيدة "**والترز**" غير محدد المعالم، وكان مما قالته:

– إنه ذو كفاءة ممتازة وهو مدلك ماهر.

– أعتقد أن له مدة طويلة في خدمة السيد "**رافييل**"؟

– كلا... إنها لا تتجاوز تسعة أشهر... وأظن..

– هل هو متزوج؟ بدت الدهشة على وجه "**استر**" لهذه المقاطعة وقالت:

– متزوج؟ لا أظن ذلك. إن هذا الموضوع لم يرد على لسانه مطلقًا. توقفت "**استر**" قليلاً في حين ظلت الآنسة "**ماربل**" صامتة، ثم أردفت وشبح ابتسامة يعلو شفتيها:

– كلا. إنه بكل تأكيد غير متزوج. وقد فسرت الآنسة "**ماربل**" هذه الإجابة بأن أضافت إليها فيما بينها وبين نفسها: "وعلى كل حال فإن تصرفاته أبعد ما تكون عن تصرفات الرجل المتزوج". ومع ذلك فكم من الرجال المتزوجين يتصرفون التصرف اللائق بالأزواج؟ إن الآنسة "**ماربل**" تستطيع أن تعد عشرات الأمثلة على ذلك! ثم قالت ساهمة:

– إن له مظهراً جذابًا. ولكن "**استر**" علقت على هذه الملاحظة دون اهتمام قائلة:

– أجل، أعتقد ذلك. استأنفت الآنسة "**ماربل**" محاولتها وزن شخصية المرأة التي تتحدث إليها وهي تتساءل: "ترى هل هي لا تهتم بالرجال؟ قد تكون من ذلك الطراز الذي لا يهتم إلا برجل واحد... إنهم يقولون إنها أرملة..." ثم عادت الآنسة "**ماربل**" إلى إلقاء الأسئلة فقالت:

– هل عملت مع السيد "**رافييل**" طويلاً؟

– أربع أوخمس سنوات، بدأت بعد وفاة زوجي، فقد وجدت نفسي مضطرة إلى العمل... إن لي ابنة بالمدارس وزوجي لم يترك لنا شيئًا.

– لابد أنك تجدين صعوبة كبيرة في العمل مع السيد "**رافييل**"؟

– الواقع خلاف ذلك، ولاسيما عندما تتمكنين من التوصل إلى أعماق نفسه... إنه سريع الغضب وشديد المعارضة، وأعتقد أن مشكلته الحقيقية هي أنه سريع

التضجر من الناس. لقد بلغ عدد الذين شغلوا وظيفة وصيف له خمسة في خلال سنتين، وهو يحب أن يستخدم وجوهاً جديدة كلما أمكن ليستطيع الاحتفاظ بالسيطرة عليها، أما معي فقد كنا دائماً متفاهمين.

– يبدو أن السيد "**جاكسون**" شاب خدوم.

– إنه لبق إلى أقصى حد وواسع الإدراك. وبالتأكيد فهو أحياناً... ترددت السيدة "**والترز**" في اختيار التعبير المناسب، فبادرت الآنسة "**ماربل**" تحاول معاونتها، فقالت:

– ... يجد نفسه في مواقف صعبة؟

– أجل.. هو ذلك، يصعب عليه فيها الاختيار وعلى كل حال فإني أعتقد أنه يحاول أن ينعم بوقته كما يجب. أخذت الآنسة "**ماربل**" تفكر في هذه التعبيرات، ولكنها لم تجد فيها ما يساعدها كثيراً، ومع ذلك فإنها لم تيأس وعاودت ثرثرتها إلى أن تمكنت من إدارة دفة الحديث إلى ذلك الرباعي من هواة الطبيعة، الزوجان "**هيلنجدون**" والزوجان "**دايسون**". قالت السيدة "**والترز**":

– إن الزوجين "**هيلنجدون**" يأتيان إلى هنا كل سنة وذلك منذ ثلاث أو أربع سنوات،ولكن "**جريجوري دايسون**" يتردد على هذه الجزيرة منذ وقت أبعد من ذلك بكثير، وهو ملم بجغرافية الجزر تماماً.. لقد كان مجيئه إلى هنا في أول الأمر بصحبة زوجته الأولى... كانت صحتها ضعيفة وكان عليها أن تقضي الشتاء في الخارج وعلى الأقل في منطقة حارة.

– وهل توفيت أم طلقت منه؟

– كلا... إنها توفيت، وأعتقد أن وفاتها كانت هنا. لا أقصد هذه الجزيرة بالذات ولكن في إحدى جزر "**الهند**" الغربية. وقد اقترنت وفاتها ببعض الإشاعات أو إذا شئت فسمها بعض الفضائح... إن "**جريج**" لا يتحدث عنها مطلقاً، أما هذه المعلومات فقد أمدني بها شخص آخر، وقد استطعت أن أستنتج منها أنهما لم يكونا على وفاق.

– وبعد وفاتها تزوج زوجته الحالية، "**لاكي**"؟ وقد نطقت الآنسة "**ماربل**" هذا الاسم الأخير بلهجة يشوبها عدم الرضا وكأنها تود أن توحي لمستمعتها بأن الاسم غير معقول، ولكن السيدة "**والترز**" أجابتها:

– أجل، وأعتقد أنها تمت بصلة قرابة إلى زوجته الأولى.

– وهل ترجع معرفتهما بالزوجين "**هيلنجدون**" إلى زمن بعيد؟

– أظن أنها بدأت منذ بدأ "**هيلنجدون**" يأتي إلى هنا، أي منذ ثلاث أو أربع سنوات، لا أكثر.

– إن الزوجين "**هيلنجدون**" يبدوان في غاية الظرف، ويتميزان بالهدوء.

– أجل. كلاهما هادئ الطبع.

– إن الجميع هنا يشيدون بإخلاص كُل منهما للآخر. كان السؤال طبيعيًا ولكن السيدة "**والترز**" نظرت إليها بحدة وقالت:

– وأنت، هل تظنين أن الحقيقة خلاف ذلك؟

– أنت نفسك لا تظنين ذلك يا عزيزتي، أليس كذلك؟

– الواقع أنني أحيانًا أعجب..

– إن الرجل الهادئ من طراز العقيد "**هيلنجدون**" كثيرًا ما ينجذب إلى المرأة اللعوب. وهنا توقفت الآنسة "**ماربل**" قليلاً ثم استطردت:

– "**لاكي**"... يا له من اسم غريب. هل تظنين أن السيد "**دايسون**" لديه أية فكرة عن... أقصد عمًا يجري؟ غير أن السيدة "**والترز**" علقت على هذا السؤال فيما بينهما وبين نفسها دون أن تصرح بالإجابة على مسمع من الآنسة "**ماربل**": "يا لهؤلاء العجائز... لا يحببن أكثر من أخبار الفضائح...". ثم استطردت بشيء من عدم الاكتراث:

– ليس لديّ أية فكرة. أما الآنسة "**ماربل**" فسرعان ما انتقلت إلى موضوع آخر فقالت:

– إنه لحادث مؤسف هذا الذي حل بالعقيد "**بالجريف**". الا تشاركينني هذا الرأي؟ أجابت السيدة "**والترز**" بالموافقة وإن كانت لهجتها لا تدل على اقتناعها بما قالت، ثم أضافت:

– إن ما آسف له حقًا هو حال الزوجين "**كيندال**".

– الحق معك... إنه لمن سوء الحظ فعلاً أن يحدث شيء كهذا في أي فندق.

– إن القوم يأتون إلى هنا لقضاء وقت سعيد، أليس كذلك؟ إنهم يريدون أن ينسوا متاعبهم وأمراضهم وأخبار الوفيات ومطالبات الضرائب وغير ذلك من

متاعب الحياة العادية. صمتت السيدة "والترز" لحظة قصيرة، ثم استطردت بلهجة جد مختلفة:

- إنهم لا يحبون ما يذكرهم بالموت. وضعت الآنسة "ماربل" معدات غزلها جانبًا وقالت بشيء من الحماس:

- إنك لعلى صواب يا عزيزتي، لقد أحسنت التعبير عن الواقع، فهو كما ذكرت تمامًا.

- وكما ترين فهما لا يزالان في عنفوان الشباب ولم يكد يمضي على استلامهما الفندق من آل "ساندرسن" سوى بضعة أشهر، ولذا فهما في أقصى حالات القلق نحو نجاح مشروعهما ولاسيما انه ليست لهما خبرة سابقة بإدارة الفنادق.

- وهل تظنين ان هذا الحادث قد يضر بهما؟

- لا أظن ذلك. إن الإنسان ينسى مثل هذه الحوادث بعد يوم أو اثنين في مثل هذا المكان، فالقوم لا يأتون إليه إلا بقصد المتعة والاستجمام... إنني أعتقد ان اي حادث وفاة لابد ان يهزهم، ولكن ثقي بأن تأثير ذلك لا يمكن ان يستمر اكثر من أيام قليلة، أو بعبارة أخرى بمجرد إتمام مراسم الجنازة.. هذا بالتأكيد ما لم يطرأ بعد ذلك ما يذكرهم به. وقد أوضحت ذلك لـ "موللي" ولكنها مع الأسف من النوع الذي ينساق وراء الأفكار السوداء.

- هذا عجيب لأن "موللي" تبدو دائمة المرح وكأنها لا تعرف للهموم معنى.

- يخيل إليَّ أن جزءًا كبيرًا من هذا المظهر مفتعل، والحقيقة في رأيي أنها من ذلك الطراز الشديد القلق الذي لا يفتأ يتخيل انه سيفشل في كل عمل يؤديه.

- كنت أظن أن "تيم" هو الذي يجب أن يكون اكثر قلقًا من "موللي".

- كلا... إني لا أعتقد ذلك.. إنها هي التي تشعر دائمًا بالقلق، اما هو فإن قلقه راجع إلى ما يلاحظه عليها من قلق.

- إن تعبيرك هذا يستحق الاهتمام...

- في اعتقادي ان "موللي" تبذل المستحيل لكي تبدو دائمًا مرحة وسعيدة، وهذا المجهود الذي تبذله يسبب لها نوعًا من الإجهاد، ثم هناك تلك النوبات من الانقباض التي تنتابها.. إني أخشى الا تكون حالتها العقلية كاملة الاتزان.

- يا للشابة المسكينة... إن هذه الحالة ليست نادرة الحدوث، ومعظم الناس يدركون وجودها.

– أجل.. إن المصاب بهذه الحالة ينجح دائمًا في التظاهر بعكسها، وعلى كل حال فلا أعتقد أن لدى "موللي" ما يستوجب القلق من هذه الناحية، فالناس الآن يموتون في كل وقت، بالسكتة القلبية أو نزيف المخ أو ما شابه ذلك وبمعدل أكبر بمراحل مما كان عليه الحال قديمًا... إن ما يزعج الناس اليوم إنما هي حوادث التسمم أو الحميات أو ما شابه ذلك.

– إن العقيد "**بالجريف**" في أحاديثه معي لم يشر مطلقًا إلى أنه يشكو من ارتفاع ضغط الدم.. هل قال لك أنت شيئًا من ذلك؟

– لابد من أنه ذكر ذلك لشخص ما، ولكنني لا أعلم من هو. ربما كان السيد "**رافييل**"، ويدعوني إلى هذا الظن أن السيد "**رافييل**" يحب دائمًا أن يقول عكس ما يقصد... تلك هي طبيعته.. ولكنني واثقة بأن "**جاكسون**" حدثني عن ذلك في وقت ما، وأذكر أنه قال لي إن "**العقيد**" يجب أن يكون أكثر حرصًا بالنسبة إلى كمية الشراب التي يتناولها. فقالت الآنسة "**ماربل**" بتمهل:

– لقد فهمت... أعتقد أنك كنت تعتبرين "**العقيد**" شخصية مملة؟ كان مغرمًا برواية القصص، ولابد من أنه كان يكرر معظمها.

– هذا هو أسوأ ما في الأمر... إنك تسمعين القصة مرة بعد أخرى ويستمر التكرار ما لم تتداركيه.

– الواقع أنني لم أكن أهتم كثيرًا بهذا التكرار لأنني تعودت الاستماع إلى هذا الطراز من رواة القصص ولم أكن لأصغي إليهم بانتباه؛ لذلك فعندما تتكرر رواية القصة أكون قد نسيت وقائعها ولا أجد حرجًا من إعادة الاستماع إليها. فضحكت "**استر**" بابتهاج وقالت:

– يا لك من ماهرة!

– وهناك قصة بعينها كان شديد الاهتمام بروايتها... إنها خاصة بجريمة قتل.. لابد أنه رواها لك؟ وقبل أن تجيب "**استر**" عن هذا التساؤل فتحت حقيبة يدها وأخذت تنقب فيها، ثم أخرجت منها أصبع أحمر الشفاه وقالت:

– كنت أظن أني فقدته. أرجو معذرتك، ماذا كنت تقولين؟

– كنت أتساءل عمًا إذا كان العقيد "**بالجريف**" قد روى لك قصته المفضلة عن جريمة القتل.

– أعتقد أنه فعل ذلك، على ما أظن فهي تدور حول حادث انتحار بالغاز أليس كذلك؟ غير أن الزوجة هنا هي التي قتلت زوجها. أعني أنها أعطته مخدراً أو شيئًا من هذا القبيل ثم وضعت رأسه في فرن الغاز. أليست هذه هي القصة التي تقصدينها؟ أخذت الآنسة "**ماربل**" تدقق النظر إلى السيدة "**والترز**" وقالت:

– كلا، ليست هذه هي القصة التي أقصدها.

– إنه كان يروي العديد من القصص، وكما قلت فإن الإنسان لم يكن يهتم بحسن الإصغاء.

– كان معه صورة دأب على عرضها على مستمعيه.

– أوه، الآن وقد ذكرت ذلك أعتقد أنه كان يفعل ذلك، وإن كنت لا أذكر مضمون الصورة... هل أراها لك؟

– كلا، لم يطلعني عليها، إذ إننا قوطعنا...

الفصل التاسع

بدأت الآنسة "**بريسكوت**" كلامها قائلة وهي تخفض من صوتها وتتلفت حولها بحذر:

– إن القصة التي سمعتها... أدنت الآنسة "**ماربل**" مقعدها من مكان جلوس الآنسة "**بريسكوت**"، وكانت تلك أول فرصة تمكنت من انتهازها لكي تنفرد بشقيقة القسيس؛ ذلك لأن رجال الدين عادة يقدسون صلات القرابة ولذا فقد كان من النادر أن تجد أحد الشقيقين دون الآخر، ومن الطبيعي أنه لم يكن باستطاعة المرأتين أن يشبعا فضولهما في الثرثرة والحديث عن الآخرين مع وجود الشقيق إلى جوارهما... وقد استطردت الآنسة "**بريسكوت**" قائلة:

– يبدو لي، ولو أني بالتأكيد لا أحب أن أخوض في أسرار الغير، كما أني في الواقع لا أعرف شيئًا مطلقًا عن هذا الموضوع..

– إني أدرك ذلك تمامًا...

– كما قلت فإنه يبدو لي أنه كانت هناك شبه فضيحة عندما كانت زوجته الأولى لا تزال على قيد الحياة. والظاهر أن هذه المرأة هي "**لاكي**" – وياله من اسم –

وأظن أنها كانت ابنة عم الزوجة الأولى، قدمت إلى هذه الجزيرة للانضمام إلى الزوجين، كما أظن أنها كانت تشترك مع الزوج في بعض أبحاث النباتات والفراشات أو ما شابه ذلك. ثم أخذ الناس يتهامسون، إذ إنهما كانا على وفاق تام فيما بينهما.. أنا واثقة بأنك تدركين ما أرمي إليه...

– إن للناس قوة ملاحظة دقيقة، أليس كذلك؟

– ثم حدث أن الزوجة توفيت فجاة..

– هل كانت وفاتها هنا، على هذه الجزيرة؟

– كلا، كلا. أظن أنهم كانوا في ذلك الوقت في جزيرة "**المارتينيك**" أو "**توباجو**"، ولكنني علمت من بعض معارفي الذين كانوا معهم في ذلك الوقت ثم جاءوا إلى هذه الجزيرة وأخذوا يتحدثون، علمت منهم أن الطبيب الذي فحص الزوجة المتوفاة لم يكن مقتنعًا تمامًا. وهنا بلغ اهتمام الآنسة "**ماربل**" الذروة وصاحت:

– حقًّا!

– لم يكن الأمر بالتأكيد ليعدو مجرد التهامس، ومع ذلك فإن السيد "**دايسون**" تزوج ثانية وبسرعة... خفضت الآنسة "**بريسكوت**" من صوتها واستطردت قائلة:

– بعد وفاة زوجته بشهر واحد على ما أعتقد.

– شهر واحد؟! تلاقت أنظار المرأتين بتفاهم مشترك وقالت الآنسة "**بريسكوت**" معلقة:

– كان هذا التصرف منه يدل على تجرده من الذوق. فقالت الآنسة "**ماربل**":

– فعلاً، إنه تصرف مجرد من الذوق. ثم أضافت متسائلة:

– هل تركت مالاً؟

– الواقع لست أدري. ولابد من أنك سمعته وهو يكرر عبارته الخاصة بزوجته الحالية وهي أنها مفتاح حظه..

– نعم لقد سمعته.

– والبعض يظنون أنه كان سعيد الحظ أن تزوج امرأة ثرية. ثم أضافت الآنسة "**بريسكوت**" وهي تتظاهر بأنها تريد أن تكون عادلة في حكمها:

– ولا يفوتنا بالتأكيد أنها أيضًا جميلة جدًا.. أنا شخصيًا أعتقد أن زوجته الأولى هي التي كانت تمتلك مالاً.

– وهل الزوجان "**هيلنجدون**" على شيء من الثراء؟

– أعتقد أنهما في حالة يسر... لا أقصد من ذلك أنهما على ثراء كبير، ولكن أحوالهما متيسرة.. إن لهما ولدين في المدارس الخاصة ومنزلاً جميلاً في "**إنجلترا**" على ما أظن، وهما يتنقلان طيلة فصل الشتاء. وفي هذه اللحظة انضم إليهما "**كانون**" واقترح أن يقوموا بنزهة على الأقدام على الشاطئ، فاستجابت الآنسة "**بريسكوت**" فوراً لاقتراح شقيقها ونهضت معه، أما الآنسة "**ماربل**" فقد فضلت البقاء في مكانها. وبعد بضع دقائق مر بها "**جريجوري دايسون**" متجهًا نحو الفندق، فلوح لها محييًا وهو يقول:

– ترى فيم تفكرين؟ ابتسمت له الآنسة "**ماربل**" ردًا على تحيته دون أن تجيب عن سؤاله، وإن أخذت تسائل نفسها: "ترى ماذا يكون شعوره لو أنني أجبته أني كنت أتساءل عمًا إذا كان قاتلاً؟" والواقع أن الآنسة "**ماربل**" كانت تعتقد أنه من المحتمل جدًا أن يكون "**جريجوري دايسون**" قاتلاً... إن كل شيء يتطابق تمامًا، ولاسيما تلك القصة التي تدور حول وفاة زوجته الأولى، ومما لا شك فيه أن العقيد "**بالجريف**" كان يتحدث عن "قاتل زوجته".. لقد كان المانع الوحيد لصحة هذا الاحتمال، كما تعتقد الآنسة "**ماربل**"، أنه يطابق الوقائع مطابقة تكاد تكون كاملة. ولكنها عادت تلوم نفسها وهي تشعر بانه لا حق لها في أن تختار القاتل طبقًا لمواصفاتها الخاصة.. وبينما هي مستغرقة في هذه الأفكار انتفضت فزعة على صوت أجش آت من خلفها يقول:

– هل شاهدت "**جريج**" يا آنسة...؟ التفتت الآنسة "**ماربل**" نحو مصدر الصوت لتجد "**لاكي**" وهي في حالة اضطراب ظاهر فأجابتها:

– لقد مر من هنا منذ لحظات متجهًا نحو الفندق. تمتمت "**لاكي**" ببعض ألفاظ مبهمة وأسرعت مهرولة، في حين قالت الآنسة "**ماربل**" تحدث نفسها: "إن عمرها لا يقل عن الأربعين وهي تبدو مستكملة له تمامًا هذا الصباح". وقد جعلتها هذه الأفكار تشعر بالشفقة، شفقة على جميع النساء من طراز "**لاكي**" اللاتي تبدو عليهن مظاهر التقدم في السن بوضوح. وعندما سمعت الآنسة "**ماربل**" بعض

الأصوات خلفها مرة أخرى التفتت نحو مصدرها وشاهدت السيد "**رافييل**" مستنداً إلى ذراع "**جاكسون**" وهما يغادران الكبينة. أجلس "**جاكسون**" مخدومه بمقعده ذي العجلات وظل واقفاً إلى جواره، إلا أن السيد "**رافييل**" لوح له بعصبية يصرفه، فامتثل الشاب وانصرف عائداً إلى الفندق. لم تضع الآنسة "**ماربل**" وقتاً، فالسيد "**رافييل**" لا يتواجد بمفرده إطلاقاً ومن المحتمل أن تأتي السيدة "**والترز**" الآن لتلحق به، والآنسة "**ماربل**" تريد أن تتحدث معه على انفراد، وها هي فرصتها ويجب أن تنتهزها وبسرعة. لم يكن السيد "**رافييل**" من أولئك الرجال الذي يطيقون الاستماع لثرثرة العجائز من النساء وقد يقرر العودة لكبينته إذا هو أحس بأن السيدة "**ماربل**" تطارده. إلا أنها قررت المجازفة، فاتجهت نحوه وقربت مقعداً إلى حيث كان يجلس، ثم جلست وقالت:

– سيد "**رافييل**"، إنني أريد أن أطلب منك صنيعاً.

– حسناً، حسناً. ما هو؟ أتريدين اشتراكاً أو تبرعاً لإحدى الجمعيات؟ أم هي إرسالية دينية في "**إفريقيا**" أو كنيسة تحتاج إلى إصلاح؟

– أجل.. إنني أهتم بأشياء عديدة من هذا القبيل وسأكون سعيدة لو أنك تبرعت لها، ولكن ليس هذا هو ما كنت أريد أن أطلبه منك... إنني كنت أود أن أسألك عمّا إذا كان العقيد "**بالجريف**" قد حدثك بقصة تتعلق بجريمة قتل.

– أوه. إذن فقد حدثك بها أنت الأخرى! وأعتقد أنك صدقته.

– الواقع أنني لا أدري ماذا يجب أن أصدق.. هل لك أن تخبرني بما حدثك به بالضبط؟

– كان الرجل دائب الثرثرة عن مخلوقة جميلة تعتبر صورة طبق الأصل من "**لوكريشيا بورجيا**": جميلة، شابة، ذات شعر ذهبي، وما إلى ذلك. بدت الدهشة على وجه الآنسة "**ماربل**" وقالت:

– ومن كان ضحيتها؟

– زوجها بالتأكيد.. ماذا كنت تتوقعين؟

– واستخدمت السم؟

– كلا... أظن أنها أعطته مخدراً ثم وضعت رأسه في فرن الغاز. كانت امرأة واسعة الحيلة وقد ادعت أن الرجل مات منتحراً، ولم تكن هناك أية صعوبات في

تبرئتها بحجة انتفاء المسؤولية أو شيء من هذا القبيل، وهو التعبير الذي يستخدمونه اليوم إذا كان المتهم امرأة جميلة أو صبيًا فاشلاً بالغت أمه في تدليله.

– هل أطلعك "**العقيد**" على صورة فوتوغرافية؟

– ماذا تقولين؟ صورة للمرأة؟ كلا... ولماذا يفعل ذلك؟

– أوه... شعرت الآنسة "**ماربل**" بالحيرة، فإن الحديث قد اتخذ طريقًا يختلف تمامًا عمّا كانت تتوقعه. والظاهر أن العقيد "**بالجريف**" كان يقضي معظم وقته في رواية قصص جرائم القتل، ولم يكن ليكتفي بقصص المغامرات والحيوانات المفترسة، وربما كانت لديه قائمة طويلة بمثل تلك القصص، وقد بوغتت الآنسة "**ماربل**" وهي في تأملاتها تلك بصوت السيد "**رافييل**" وهو يصيح مناديًا "**جاكسون**" دون أن يجيبه أحد، فنهضت الآنسة "**ماربل**" من مقعدها وهي تقول:

– هل أذهب لأبحث لك عنه؟ ولكن السيد "**رافييل**" أجابها:

– لن تجديه، ولابد من أنه منهمك في مطارداته الغرامية، فهذا هو كل ما يهتم بعمله... لا فائدة من هذا الرجل فأخلاقه لا تعجبني وإن كان يوافقني إلى حد ما.

– سأذهب لاستدعائه. عثرت الآنسة "**ماربل**" على "**جاكسون**" جالسًا في الطرف القصي من شرفة الفندق يحتسي شرابًا مع "**تيم كيندال**"، فقالت:

– إن السيد "**رافييل**" يطلبك. رفع "**جاكسون**" كاسه وأفرغ ما فيها في جوفه، ثم نهض واقفًا وهو يقول:

– ها قد عدنا... لا راحة للأشرار... كنت أظن أن مكالمتين تليفونيتين والتوصية على وجبة غذائية خاصة كفيلة بأن تهيئ لي ولو ربع ساعة من الراحة.. شكرًا لك يا سيد "**كيندال**" على هذا الشراب. وبعد أن انصرف "**جاكسون**" قال "**تيم**":

– إني أشعر بالشفقة على هذا الشاب.. إنني أحاول أن أقدم له شرابًا من وقت إلى آخر للترفيه عنه. هل لك في شراب يا آنسة "**ماربل**"؟ ما رأيك في كوب من عصير الليمون الهندي؟ إني أعلم أنك مغرمة به.

– ليس الآن، شكرًا... أعتقد أن خدمة رجل مثل السيد "**رافييل**" لابد أن تكون مهمة شاقة. إن المرضى– وخصوصًا المقعدين منهم – يصعب إرضاؤهم.

– ليس هذا فقط هو ما قصدته.. إن المرتب الذي يدفعه السيد "**رافييل**" مرتب ضخم يستحق أن تصحبه بعض الأهواء الشخصية.. إن السيد "**رافييل**" في الواقع ليس رديئًا.. في الواقع أنا أقصد.. تردد "**تيم**" في اختيار عبارته في حين نظرت إليه الآنسة "**ماربل**" بترقب فاستطرد قائلاً:

– كيف أعبر عن ذلك.. إن ما أعنيه هو أن الأمر بالنسبة إليه صعب من الناحية الاجتماعية.. إن القوم هنا متعجرفون ليس بينهم من هو في مستواه الاجتماعي.. إن "**جاكسون**" أفضل قليلاً من مجرد خادم ولكنه دون المتوسط بالنسبة إلى النزلاء، أو هذا هو ما يعتقدونه، بل إن السكرتيرة نفسها – السيدة "**والترز**" – تشعر بأنها من طبقة أعلى من طبقته.. ألا يكفي ذلك لكي يشعر بصعوبة مركزه؟ توقف "**تيم**" لحظة ثم استطرد:

– الواقع أن المشاكل الاجتماعية في مكان كهذا لا حصر لها. وهنا مر بهما الدكتور "**جراهام**" وفي يده كتاب واتجه إلى إحدى الموائد المطلة على البحر. فقالت الآنسة "**ماربل**":

– إن الدكتور "**جراهام**" يبدو قلقًا.

– أوه... إننا جميعًا يخالجنا نفس الشعور.

– أنت أيضًا؟ أيرجع ذلك إلى وفاة العقيد "**بالجريف**"؟

– كلا. إن هذا الحادث لم يعد يقلقني، ويبدو أن الجميع قد نسوه.. كلا.. إن ما يقلقني هو زوجتي، "**موللي**". هل تعرفين شيئًا عن الأحلام يا آنسة "**ماربل**"؟ فصاحت الآنسة "**ماربل**" بدهشة:

– الأحلام؟

– أجل، وأقصد الأحلام المزعجة.. إن مثل هذه الأحلام تمر بنا جميعًا في وقت أو آخر، ولكن يبدو أن "**موللي**" تراودها هذه الأحلام طول الوقت.. إنها تزعجها إلى حد كبير. هل تظنين أن هناك ما يمكن عمله أو وصفه للتخفيف عنها؟ إن لديها بعض الأقراص المنومة، ولكنها تقول إن هذه الأقراص تزيد من حدة تلك الأحلام، إذ إنها تحاول الاستيقاظ من النوم فلا تستطيع من تأثيرها المخدر.

– وما موضوع تلك الأحلام؟

– إنها ترى أشياء أو أشخاصًا يطاردونها، أو يراقبونها ويتجسسون عليها، ولقد

بلغ من شدة تأثير هذه الأحلام فيها أنها لا تستطيع التخلص منها حتى في اليقظة.

– لاشك في أن الطبيب...

– إن لديها عقدة نفسية نحو الأطباء.. إنها لا تقبل استشارة طبيب... على كل حال آمل أن تكون هذه مجرد حالة طارئة وأن تمضي بسلام.. إنني كلما فكرت في مدى السعادة التي كنا ننعم بها، ثم هذا التحول الذي أصابها أخيراً... إنها تبدو شخصاً آخر منذ... لم يستكمل "تيم" كلامه ونهض واقفاً وهو يقول:

– لابد لي من أداء أعمالنا اليومية... هل أنت واثقة بأنك لا تريدين كوباً من العصير؟ هزت الآنسة رأسها وظلت في مكانها تفكر... كان وجهها قد اكتسى بمسحة من الجدية والتصميم، ثم حولت نظرها إلى الدكتور "جراهام" وسرعان ماتوصلت إلى قرار. نهضت من مقعدها واتجهت نحو الطبيب وقالت:

– يجب أن أعتذر إليك يا دكتور "جراهام". نظر إليها الدكتور "جراهام" بدهشة وقال:

– حقًا؟ ثم قام من مجلسه وقدم لها مقعداً ودعاها إلى الجلوس، فجلست واستطردت وهي تنظر إليه بإصرار:

– أخشى أن أكون قد ارتكبت عملاً شائنًا... لقد كذبت عليك كذبة كبيرة. لم يبد على الدكتور "جراهام" شيء من الانفعال ولم يزد ما اعتراه على الدهشة. قال:

– حقًا؟ على كل حال يجب ألا تجعلي ذلك يشغل بالك. أخذ الدكتور يعجب ويتساءل عمّا كذبت فيه تلك العجوز الطيبة. أهو سنها؟ ولكنه بقدر ما يتذكر فإنه لم يسمعها تتحدث عن سنها، ومع ذلك فطالما تريد الاعتراف فلتفعل. قال:

– حسنًا؟ إني مصغ إليك.

– هل تذكر حديثي معك بشأن صورة ابن أختي، تلك الصورة التي ذكرت لك أنني أريتها للعقيد "بالجريف" وأنه لم يعدها إليّ؟

– بالتاكيد أذكر ذلك، وإني لأكرر أسفي لعدم استطاعتنا العثور عليها. فقالت الآنسة "ماربل" بصوت الطفل الذي وجد متلبساً:

– لم يكن هناك أي شيء من ذلك.

– عفواً.. ماذا تقولين؟

– لم يكن هناك أي شيء مما قلته لك... لقد اخترعت القصة بأكملها. بدا الضيق على وجه الدكتور "جراهام" وقال:

– اخترعتها! ولكن لماذا؟ فأخذت الآنسة "ماربل" تقص عليه القصة. أخبرته بكل شيء بوضوح ودون توقف أو تردد، روت له ما قصه عليها العقيد "بالجريف" عن القاتل وكيف كان على وشك أن يطلعها على تلك الصورة، ثم ارتباكه المفاجئ وانتقلت بعد ذلك إلى قلقها الشخصي وإلى قرارها الأخير أن تتوصل إلى تفسير للوقائع، ثم قالت:

– والواقع أنني لم أجد أية وسيلة لتنفيذ هذا القرار إلا باللجوء إلى الكذب، فأرجو أن تغفر لي.

– هل ظننت أن الصورة التي كان "العقيد" سيطلعك عليها هي صورة قاتل؟

– هذا هو ما قاله لي، وعلى الأقل فقد ذكر لي أن الصورة كان قد أعطاها له أحد معارفه وهو الذي روى له قصة الرجل الذي ارتكب جريمة القتل.

– أجل، أجل.. ولكن، أقصد هل صدقته؟

– لا أدري إذا كنت صدقته أو لم أصدقه في تلك اللحظة، ولكن، وكما ترى، لقد مات في اليوم التالي. كان وقع هذه العبارة الأخيرة ذا تأثير واضح في الدكتور فقال:

– أجل، لقد مات في اليوم التالي.

– ... واختفت الصورة. نظر إليها الدكتور "جراهام" وهو لا يدري تمامًا ماذا يقول، ولكنه سألها:

– لا تؤاخذيني يا آنسة "ماربل"، هل ما تقولينه لي الآن صحيح؟

– أنا لا أعجب من شكّك، ولو كنت مكانك لفعلت، ولكنه صحيح. إنني أعرف أنك لا تملك من الأدلة على صحته سوى قولي، ومع ذلك فحتى إذا لم تصدقني فقد شعرت بأنه من الواجب عليّ أن أخبرك.

– لماذا؟

– أدركت أنه لابد لك من الحصول على أكبر قدر ممكن من المعلومات.. في حالة..

– في حالة ماذا؟

– في حالة ما إذا قررت أن تتخذ أي إجراء بصدده.

الفصل العاشر

كان الدكتور "**جراهام**" قد وصل إلى "**جيمس تاون**"، وفي مكتب رئيس المدينة جلس إلى المائدة الصغيرة التي تتوسط الحجرة، وجلس في مواجهته صديقه "**دافنتري**"، وهو شاب جاد في الخامسة والثلاثين من عمره، وكان يقول:

– لقد بدا حديثك غامضاً في التليفون يا "**جراهام**". هل هناك شيء خاص ذو أهمية؟

– الواقع أنني لست متأكداً، ولكنني أشعر بالقلق. نظر "**دافنتري**" إلى وجه الدكتور "**جراهام**" ثم حنى رأسه عندما دخل الخادم بالشراب وأخذ يتحدث عن إحدى رحلات صيد السمك التي قام بها أخيراً. وبعد أن انصرف الخادم اعتدل في مقعده وعاد يتأمل الرجل الجالس أمامه وقال:

– والآن.. هات ما عندك. أعاد الدكتور "**جراهام**" على مسمع صديقه تفاصيل الوقائع التي سمعها وكانت مبعث قلقه، وبعد أن انتهى من السرد أطلق "**دافنتري**" صفيراً طويلاً من فمه وقال:

– الآن فهمت.. إنك تظن أن هناك احتمالاً للاشتباه في وفاة "**بالجريف**"؟ لم تعد متأكداً من أن الوفاة كانت طبيعية؟ ولهذه المناسبة، من الذي وقع شهادة الوفاة.. أعتقد أنه "**روبرتسون**"؟ ألم تساوره أية شكوك؟

– كلا، وأعتقد أنه عندما وقع الشهادة كان متأثراً بوجود أقراص "السيريناييت" في حجرة "**بالجريف**"، وقد سألني عمّا إذا كان "**العقيد**" ذكر أنه يشكو من ارتفاع ضغط الدم، وقد أجبته بالنفي؛ لأنه لم يسبق لي أن تبادلت معه أي حديث طبي، وإن كان الظاهر أنه تحدث عن هذا المرض مع آخرين في الفندق.. إن جميع الملابسات، ومنها زجاجة الأقراص، وما كان "**العقيد**" يقوله للنزلاء، لم تكن لتدع مجالاً للاشتباه، وعلى هذا الأساس كان توقيع الشهادة أمراً طبيعيًّا، ولو أنه الآن يبدو خلاف ذلك. ولو كنت أنا المسؤول عن تحرير تلك الشهادة لفعلت نفس الشيء دون تردد.. إن جميع الشواهد تدل على أنه مات بتأثير ارتفاع ضغط دمه، ولولا موضوع تلك الصورة لما أعرت الموضوع أي اهتمام جديد.

– ومع ذلك فلا أخالك تعتمد كل الاعتماد على قصة خيالية قصتها عليك سيدة

عجوز؟ أنت تعرف تماماً طباع هؤلاء السيدات، فهن يحببن المبالغة.

– أعرف ذلك، وهذا هو ما قلته لنفسي في مبدإ الأمر، ولكني في الواقع لاأستطيع أن أقنع نفسي تماماً. لقد كانت روايتها في غاية الوضوح والترابط.

– كل ذلك يبدو لي غير محتمل.. سيدة عجوز تروي قصة عن صورة لم يكن من الواجب أن تكون هناك.. عفواً، لقد اختلط عليَّ الأمر، أنا أقصد العكس، أليس كذلك؟ غير أن الشيء الوحيد الذي يمكن الاستناد إليه هو ما قالته الخادمة من أن زجاجة أقراص كانت السلطات قد اعتمدت عليها في إصدار قرارها بأن الوفاة طبيعية، تلك الزجاجة لم تكن في حجرة "العقيد" في اليوم السابق لوفاته، ومع ذلك فإن هناك عشرات التفسيرات لذلك. أليس من المحتمل أنه كان يحمل تلك الزجاجة في جيبه طول الوقت؟

– أعتقد أن هذا محتمل.

– أو أن الخادمة قد أخطأت وأنها لم تكن قد تنبهت لوجود الزجاجة من قبل؟

– هذا أيضاً محتمل.

– إذن.. فقال "جراهام" بتأن:

– ولكن الفتاة كانت شديدة الثقة بما تقول.

– أنت تعلم أن أهالي "سانت أونوريه" سريعو الانفعال وعاطفيون.. هل تظن أن الفتاة تعرف أكثر مما قالت؟

– هذا جائز.

– إذن فيجدر بك أن تحاول استدراجها لتبوح لك بكل ما تعرفه.. إننا لا نريد أن نثير ضجة بلا داع، ما لم يكن لدينا شيء أكيد نستند إليه.. إذا لم يكن ارتفاع ضغط الدم هو سبب الوفاة فما هو في رأيك السبب الحقيقي؟

– توجد اليوم وسائل عديدة...

– تعني وسائل لا تترك آثاراً يمكن معرفتها؟ فأجاب الدكتور "جراهام" بانفعال:

– أجل.. إن أحداً لم يعد يستخدم الزرنيخ..

– مهلا يا "جراهام"... دعنا نوضح الأمور... إن الرأي كما رويت لي يتجه إلى اعتبار أن زجاجة الأقراص قد استبدل بها زجاجة أخرى وأن العقيد "بالجريف" مات مسموماً بهذه الطريقة؟

– كلا.. هذا هو ما تستنتجه الفتاة "فيكتوريا"، ولكن ليس هو التحليل الصحيح

للموقف. فإذا كان الغرض هو التخلص من "**العقيد**" على وجه السرعة لكان الإجراء المنطقي هو إعطاؤه السم في الشراب، ثم توضع في حجرته زجاجة أقراص "السيرينايت" – وهو العقار الذي يؤخذ لخفض ضغط الدم – للإيهام بأن الوفاة طبيعية، وفي نفس الوقت تروج الإشاعة بأنه كان يشكو من ارتفاع ضغط الدم.

– ومن الذي روج هذه الإشاعة؟

– لقد حاولت التوصل إلى ذلك ولكن دون جدوى.. لقد روجت الإشاعة بمهارة فائقة: "**جاك**" يقول إنه يظن أن "**سميث**" أخبره، وبسؤال "**سميث**" يجيب بالنفي ويقول إنه يذكر أن "**جون**" أخبره، في حين يقول "**جون**" إن أناسًا كثيرين كانوا يتحدثون في هذا الموضوع وكان "**جاك**" من بينهم... وهكذا نعود إلى البداية.

– إن مروج هذه الإشاعة كان ماهرًا جدًا.

– أجل فبمجرد أن اكتشفت الوفاة كان الجميع يتحدثون عن مرض "**العقيد**" بارتفاع ضغط الدم ويتناقلون ما يبدو أن غيرهم كان يتحدث به.

– ألم يكن من السهل وضع السم له في الشراب؟

– كلا.. إن ذلك كان كفيلاً بإجراء تحقيق وربما اقتضى الأمر تشريح الجثة. أما بهذه الطريقة فإن الطبيب سيتقبل الوفاة ويوقع الشهادة دون تردد، وهو ما حصل فعلاً. لزم "**دافنتري**" الصمت وهو يفكر ثم رفع رأسه وقال:

– وما الذي تريدني أن أفعله الآن؟ هل أحول الموضوع إلى المباحث الجنائية؟ إن هذا قد يستدعي إخراج الجثة وعندئذ ستفوح روائح عديدة.

– بالإمكان تكتم الأمر.

– أتظن ذلك ممكنًا؟ وهنا في "**سانت أونوريه**"؟ فكر ثانية يا رجل، إن القرية كلها ستتحدث بالخبر قبل أن نبدأ في التنفيذ. تنهد "**دافنتري**" بعمق بعد أن ختم عبارته ثم أردف قائلاً:

– ومع ذلك فإني أرى أنه لابد من عمل شيء، وإن كان رأيي الشخصي أن الأمر كله لا يعدو أن يكون مجرد أوهام.

– وهذا هو ما آمله أنا أيضًا.

*****

الفصل الحادي عشر

أخذت "موللي" تعيد ترتيب بعض تجهيزات الموائد في قاعة الطعام فترفع سكينًا كانت زائدة علي الحاجة وتصحح من وضع إحدى الشوك وتحرك بعض الأكواب من مواضعها،وأخيرا وضعت يديها في خاصرتيها ترقب نتيجة عملها، ولما اطمأنت إليها خرجت إلى الشرفة، وهناك لم تجد أحداً من النزلاء فسارت حتى الطرف القصي منها ووقفت مستندة إلى السياج. كان المساء على وشك أن يحل، وهو مساء ككل الأمسيات التي سبقته، مساء حافل بالثرثرة والأحاديث والشراب، مليء بالبهجة وصفاء البال، وبعبارة أخرى فهو ذلك النوع من الأمسيات التي طالما تمنتها والتي ظلت تتمتع بها إلى بضعة أيام خلت. أما الآن فإن "تيم" نفسه يبدو نهبا للاضطراب والقلق. قد يكون من الطبيعي أن يقلق بعض الشيء، فإن هذه المغامرة التي أقدما عليها باقتناء هذا الفندق يجب أن تنجح، وليس أدعى لوجوب ذلك من أنه وضع كل ما يملك في هذا المشروع. ولكن "موللي" عادت تفكر في أن ذلك ليس هو في الواقع ما يقلقه.. إن مبعث قلقه هو أنا، وإن كنت لا أستطيع أن أجد سببًا لذلك. وبينما هي مستغرقة في هذه الأفكار فوجئت بيد تلمس كتفها، فالتفتت فزعة لتجد "جريجوري دايسون" وقد بوغت هو الآخر لما رآه من فزعها، فقال معتذراً:

– إني لشديد الأسف يا سيدتي الصغيرة. كانت "موللي" تكره أن يناديها أحد بالسيدة الصغيرة، فأجابته دون تردد:

– لم أسمعك وأنت قادم يا سيد "دايسون"، ولذا فقد أفزعتني.

– سيد "دايسون"! لماذا هذا التكلف الليلة؟ ألسنا هنا جميعا أسرة كبيرة سعيدة! "إدوارد" وأنا و"لاكي" و"إيفيلين" وأنت و"تيم" و" استر" و" رافييل" العجوز؟ إن هذه المجموعة كلها ليست إلا أسرة واحدة سعيدة. ابتسمت "موللي" برقة وهي ترى أنه قد عاد للشراب ثانية وقالت:

– إنني أحيانًا أتغاضى عن وظيفتي كمضيفة لكم جميعًا. ولكننا – "تيم" وأنا– نرى أنه من حسن السلوك الا نبالغ في رفع الكلفة.

– أوه... إننا لا نهتم بمثل هذه الرسميات... والآن يا "موللي"، أيتها الجميلة، الا تتناولين معي كأسًا؟

– ليس الآن، لا يزال أمامي ما يجب عمله. مد "جريج" ذراعه وأحاط به خصرها وهو يترنح قليلاً، ثم قال:

– لا تتهربي مني... إنك فتاة جميلة يا "موللي"... آمل أن يقدر "تيم" ماأوتي من حظ.

– لا تخش شيئًا من هذه الناحية، فإنني كفيلة بأن أساعده على ذلك. ازداد ترنح "جريج" وقال مغازلاً:

– أتعلمين أنني على استعداد لأن أضحي بكل شيء في سبيلك؟ ولو أنني لاأحب أن تسمع زوجتي ذلك. فقالت "موللي" وهي تحاول تغيير الموضوع:

– هل تمتعتم برحلتكم بعد ظهر اليوم؟

– أظن ذلك. أتريدين الحق... إنني أشعر بالضجر أحيانًا... ألا ترين أنه بالإمكان الشعور بالملل من الطيور والفراشات؟ ما رأيك في أن نخرج أنت وأنا للنزهة في أحد الأيام؟

– إنها لفكرة بديعة، سنرى ماذا يمكن عمله. قالت ذلك وهي تتخلص منه ضاحكة، وتسرع مهرولة إلى البار، وهناك استقبلها "تيم" قائلاً:

– مرحبًا "موللي"... إنك تبدين في عجلة من أمرك... من هذا الذي كان معك في الخارج؟

– إنه "جريجوري دايسون".

– وماذا كان يريد؟

– كان يحاول مغازلتي.

– عليه اللعنة.

– لا يشغلنك الأمر يا "تيم".. إنني قادرة تمامًا على إيقافه عند حده. كان "تيم" على وشك أن يرد عليها عندما شاهد "فرناندو" رئيس السقاة فاتجه نحوه وأخذ يملي عليه بعض التعليمات، في حين تسللت "موللي" إلى المطبخ ودلفت من بابه الخلفي نحو الشاطئ. في تلك الأثناء كان "جريجوري دايسون" يتمتم ساخطًا وهو يسير ببطء عائداً إلى كبينته، وعندما اقترب منها سمع من خلفه صوتًا يناديه من بين الشجيرات.. التفت "جريج" فزعًا نحو مصدر الصوت، وفي عتمة الغروب خيل إليه أنه يرى شبحًا ولكنه سرعان ما قهقه ضاحكًا عندما تحقق من أن الخيال

الأبيض الذي شاهده كان له وجه أسمر، وإذا بالفتاة "**فيكتوريا**" تخرج من بين الشجيرات إلى الممر وتهمس قائلة:

– سيد "**دايسون**"، لحظة من فضلك.

– حسناً... ماذا تريدين؟ كان "**جريج**" يشعر بالخجل لما اعتراه من فزع، ولذا فقد بدا صوته نافد الصبر، أما الفتاة فقد مدت إليه يدها وفيها زجاجة صغيرة تحوي أقراصاً وقالت:

– لقد أحضرت لك هذه الزجاجة... إنها تخصك أليس كذلك؟

– أوه، زجاجة أقراص "السيرينايت".. أجل، بالتأكيد... أين عثرت عليها؟

– وجدتها في المكان الذي وضعت فيه... في حجرة السيد.

– ماذا تقصدين: في حجرة السيد؟

– السيد الذي توفي.. لا أظن أنه الآن ينام هادئاً في قبره.

– ولم لا بحق الشيطان؟ ظلت "**فيكتوريا**" صامتة تحملق إلى وجهه في حين استطرد:

– لا أدري عم تتحدثين. أتعنين أنك وجدت زجاجة الأقراص هذه في حجرة العقيد "**بالجريف**"؟

– هو ذلك يا سيدي... إن الطبيب ورجال الأمن الذين جاءوا من "**جيمس تاون**"، بعد أن فحصوا كل شيء، أعطوني كل ما كان في حمام السيد "**العقيد**" لألقيه بعيداً. معجون الأسنان ولوسيون ما بعد الحلاقة وباقي الأشياء التي كانت على الرف ومن بينها هذه الزجاجة.

– حسناً، ولماذا لم تلقيها بعيداً هي الأخرى؟

– لأنها تخصك.. إنك قد افتقدتها ولعلك تذكر أنك سألتني عنها.

– أجل، أجل، أذكر ذلك. كنت أظن أنني وضعتها في مكان ما ونسيته.

– كلا يا سيدي.. إنك لم تضعها في أي مكان... لقد أخذت من كبينتك ووضعت في كبينة السيد "**العقيد**". اشتدت لهجة "**جريج**" حدة وهو يقول:

– وكيف عرفت ذلك؟ توقفت الفتاة قليلاً وهي تبتسم وقد بدت أسنانها البيضاء ثم استطردت:

– بعضهم أخذها ووضعها في حجرة السيد "**العقيد**" وهأنذا الآن أعيدها إليك.

– مهلاً يا فتاة ماذا تقصدين.. هل رأيت شيئًا؟ ولكن الفتاة أولته ظهرها وأطلقت ساقيها للريح، وسرعان ما اختفت بين الأشجار. لم يحاول "جريج" أن يتبعها بل ظل جامدًا في مكانه وأخذ يمر بيده ساهمًا فوق ذقنه إلى أن سمع صوت زوجته وهي تقول له:

– ماذا دهاك يا "جريج"؟ هل رأيت شبحًا؟

– الواقع أن هذا هو ما خيل إليّ.

– من ذا الذي كنت تتحدث معه؟

– إنها الفتاة السمراء التي تقوم بنظافة الكبائن... أظن أن اسمها "فيكتوريا".

– وماذا كانت تريد؟ هل كانت تدعوك إلى مغازلتها؟

– كفاك سخفًا يا "لاكي".. إن الفتاة تتملكها فكرة سخيفة للغاية.

– أية فكرة؟

– هل تذكرين أنني لم أتمكن من العثور على زجاجة أقراص "السيرينايت" منذ بضعة أيام؟

– إنك زعمت لي أنك لم تتمكن من العثور عليها. فصاح "جريج" بذهول:

– ماذا تعنين بقولك إنني "زعمت"؟

– بالله عليك، ألا تكف عن مؤاخذتي على كل عبارة أنطق بها!

– إنني آسف.. إن الجميع هنا أصبحت تكتنفهم الأسرار. قال هذا ثم مد إليها يده وبها زجاجة الأقراص واستطرد قائلاً:

– لقد أحضرتها لي الفتاة.

– هل كانت هي التي سرقتها؟

– كلا... لقد وجدتها في مكان ما على ما أظن.

– حسنًا، وماذا في ذلك؟ أية غرابة في ذلك؟

– أوه، لا شيء... لعلها كانت تحاول إثارتي... هذا هو كل ما في الأمر.

– اسمع يا "جريج".. دعك من كل هذه الأحاجي وهلم بنا لنتناول كأسًا قبل العشاء. كانت "موللي" قد وصلت إلى الشاطئ وهناك جذبت أحد المقاعد القديمة التي كان يندر استعمالها وجلست بعض الوقت تتأمل البحر الممتد أمامها، وفجأة دفنت رأسها في راحتيها وأخذت تبكي. ظلت "موللي" تبكي فترة ليست

بالقصيرة إلى أن سمعت حفيفًا بالقرب منها فتلفتت فزعة لتجد السيدة "**هيلنجدون**" واقفة تنظر إليها، فقالت:

– أهلاً "**إيفيلين**".. لم أسمعك قادمة. إني... آسفة.

– ماذا بك يا طفلتي؟ هل أنت مريضة؟ قالت ذلك وجذبت مقعداً آخر وجلست بجوار "**موللي**" وهي تقول:

– هيا... أخبريني.

– لا شيء، لا شيء مطلقًا.

– بالتأكيد هناك شيء ما، وإلا لما جلست هكذا وحدك تبكين.. ألا تستطيعين إخباري؟ هل حدث سوء تفاهم بينك وبين "**تيم**"؟

– أوه، كلا.

– يسرني أن أسمع ذلك منك.. إنكما تبدوان دائمًا سعيدين.

– ليس أكثر سعادة منك أنت و"**العقيد**"... إنني و"**تيم**" نتحدث دائمًا عمَّا يبدو عليك أنت و"**إدوارد**" من سعادة وقد مضى على زواجكما كل هذا الوقت.. إنه لزواج رائع.

– أوه.. اكتسى صوت "**إيفيلين**" حدة وهي تلفظ هذه الكلمة، ولكن "**موللي**" لم تلاحظ ذلك، وقالت:

– إن الأزواج يتشاحنون دائمًا، وإذا كان الحب الحقيقي سائداً بين الزوجين فإن مثل هذه المشاحنات تمر وتنقضي دون أن تؤثر في الوئام بينهما، حتى ولو جرت تلك المشاحنات علنًا. فقالت "**إيفيلين**":

– بعض الأزواج يعيشون على هذا المنوال، والواقع هو كما تقولين.

– ولكني أرى أن ذلك فظيع.

– إن أردت الحقيقة فإن رأيي مثل رأيك.

– ولكن... إن مجرد التفكير في أنك، أنت و"**إدوارد**"..

– لا فائدة يا "**موللي**".. لا أستطيع أن أدعك تتخيلين مثل هذه الأشياء.. إنني و"**إدوارد**".. توقفت "**إيفيلين**" مترددة ثم أردفت:

– إذا أردت الحقيقة فإنني أنا و"**إدوارد**" لم نتبادل كلمة واحدة على انفراد طوال السنوات الثلاث الماضية. فصاحت "**موللي**" وهي تحملق إلى وجه "**إيفيلين**":

– ماذا تقولين؟ لا أستطيع أن أصدق ذلك.

– تلك هي الحقيقة.. لقد أجاد كل منا تمثيل الدور، ولسنا من ذلك الطراز الذي يتشاحن على الملإ، ومهما يكن من أمر فليس هناك ما يدعونا إلى المشاحنة.

– ولكن ما السبب؟

– السبب المعتاد..

– ماذا تعنين بذلك؟ أهناك امرأة أخرى؟

– أجل، هناك امرأة أخرى بيننا، ولا أظن أنه من الصعب عليك أن تخمني من هي.

– أتقصدين السيدة "**دايسون**".. "**لاكي**"؟ أومأت "**إيفيلين**" برأسها في حين قالت "**موللي**":

– أنا أعرف أنهما يتبادلان المغازلة دائمًا، ولكني كنت أعتقد أن ذلك مجرد...

– ... مجرد دعابة؟ دعابة بريئة ولا شيء وراءها؟

– ولكن لماذا؟ الم تحاولي... ولكن قد لا يكون لي الحق في طرح مثل هذا السؤال..

– اسألي ما شئت، لقد تعبت من كتمان الأمر في صدري، تعبت من استمرار التظاهر بالزوجة المثالية السعيدة. إن "**إدوارد**" مدله بها وكان من الغباء أن جاءني وصارحني بالأمر. ربما كان تصرفه هذا مما ساعد على تخفيف حدة الصدمة عليّ. كان هدفه أن يكون أمينًا ومخلصًا فلا يخفي عليَّ حقيقة شعوره، وإن فاته أن ذلك لن يكون سهلاً عليَّ.

– هل اقترح عليك الانفصال؟

– إن لنا ولدين كما تعلمين، وكلانا مغرم بهما إلى أقصى حد... إنهما في المدرسة بـ "**إنجلترا**" وقد أردنا الا نهدم بيتنا، ثم إن "**لاكي**" نفسها لم تكن لترغب في الطلاق. إن "**جريج**" واسع الثراء، فقد تركت له زوجته الأولى ثروة ضخمة، ولذا فقد اتفقنا على إبقاء الحال على ما هي عليه: "**إدوارد**" و"**لاكي**" في سعادتهما الآثمة، و"**جريج**" ينعم بجهله بكل ما يجري حولنا، وأنا و"**إدوارد**" مجرد صديقين. كان صوت "**إيفيلين**" يقطر مرارة مما دعا "**موللي**" لسؤالها:

– وكيف تتحملين مثل هذه الحياة؟

– إن الإنسان كفيل بان يتعود أي شيء... ولكن أحيانًا..

– أجل؟

– ينتابني أحيانًا شعور قوي يدفعني إلى قتل تلك المرأة. فزعت "**موللي**" لما خالط صوت "**إيفيلين**" من مرارة، ولم تعلق على هذه العبارة في حين تابعت "**إيفيلين**":

– دعينا نكف عن الحديث عني، ولنتحدث عنك أنت، أريد أن أعرف ما بك؟ لزمت "**موللي**" الصمت بضع لحظات، ثم قالت:

– كل ما في الأمر أنني أشعر.. أشعر بأن بي شيئًا ما غير طبيعي.

– غير طبيعي؟ ماذا تعنين بذلك؟ هزت "**موللي**" رأسها بأسى وقالت:

– إنني خائفة. إنني خائفة جدًا.

– وماذا يخيفك؟

– كل شيء.. إن الخوف ينمو في داخلي.. إنني أسمع حفيفًا بين الشجيرات، وصوت خطوات متلصصة، ويخيل إليّ أن هناك من يراقبني ويتجسس عليّ طول الوقت. هناك من يكرهني.. هذا هو ما أشعر به. نعم... هناك من يكرهني. أخذت "**إيفيلين**" بهذا الكلام وقالت:

– يا طفلتي العزيزة.. منذ متى وأنت بهذه الحال؟

– لا أدري.. لقد بدأت أشعر بها تدريجيًا، وليس هذا فقط بل هناك أشياء أخرى.

– وما هي؟

– تأتي أوقات لا أستطيع أن أتذكر ما جرى فيها.

– أتعنين أنك تتعرضين لنوبات من فقدان الذاكرة... أو الغيبوبة؟

– أظن ذلك.. أعني أنه في بعض الأحيان وقد تكون الساعة الخامسة مثلاً أجد نفسي عاجزة عن تذكر ما حدث قبلها منذ الساعة الواحدة أو الثانية.

– أوه.. لابد من أنك غفوت بعض الوقت، إن هذا يحدث كثيراً.

– كلا، ليس الأمر كذلك إطلاقًا، فإنه بعد فترة الضياع تلك لا أشعر بأنني كنت نائمة؛ لأنني أجد نفسي في مكان مختلف، وفي بعض الأحيان الاحظ أنني أرتدي ملابس مختلفة، وأحيانًا أخرى أقول أشياء للآخرين أو أتحدث معهم ثم لا أذكر

شيئًا من كل ذلك فيما بعد. بدت الحيرة المشوبة بالعطف على وجه "**إيفيلين**" وقالت:

- "**موللي**" أيتها العزيزة، إذا كان الأمر كما تصفين يجب أن تستشيري طبيبًا.

- أوه... لا استطيع... لا اريد ذلك ولا أطيق ان اقترب من طبيب. أخذت "**إيفيلين**" تحملق إلى وجه "**موللي**" ثم امسكت بيدها بين يديها وقالت:

- يبدو لي أنك تعذبين نفسك دون داعٍ.. إنك تعلمين أن هناك العديد من الاضطرابات العصبية التي لا خطر منها مطلقًا، والطبيب بإمكانه ان يطمئنك في خلال فترة علاج ليست بالطويلة.

- وقد لا يستطيع، أو يحتمل أن يجد لديَّ حالة غير طبيعية.

- وما الذي يجعلك تظنين ذلك؟

- لان... أوه... لا اجد لذلك سببًا.

- الا تستطيع أسرتك.. أليس لك أسرة؟ أمك أو أخواتك أو أي فرد من أقربائك أن يحضر إلى هنا؟

- لست على وفاق مع أمي.. كنا دائمًا على غير وفاق... إن لي أخوات ولكنهن متزوجات وإن كنت أعتقد أنهن لن يرفضن المجيء لو طلبت منهن ذلك، ولكني لاأريد أحداً منهن، بل إني لا أريد أحداً مطلقًا، فيما عدا "**تيم**".

- وهل يعرف "**تيم**" بهذه الحالة؟ هل أخبرته؟

- في الواقع لم أخبره، ولكني الاحظ قلقه من ناحيتي، كما أنه يراقبني... يخيل إليَّ أنه يحاول مساعدتي أو حمايتي. ومادام يفعل ذلك فإن معناه أنني محتاجة إلى الحماية. أليس كذلك؟

- مازلت عند رأيي، إن ذلك كله ليس إلا وهمًا، ومع ذلك فأعتقد انه لابد لك من استشارة طبيب.

- الدكتور "**جراهام**" العجوز؟ إنه لن يجديني نفعًا.

- هناك غيره في الجزيرة.

- لا حاجة لي بغيره. الواقع أنني يجب الا افكر كثيرًا في هذه الحالة، ويبدو لي أنك على حق وأن الأمر كله ليس إلا وهمًا. يا إلهي... إن الوقت يمر سريعًا. كان يجب أن أكون الآن في قاعة الطعام للإشراف على إعداد العشاء. يجب أن أسرع

بالعودة. قالت ذلك وهي تنظر إلى "**إيفيلين**" بحدة، بل وبعداء، ثم أسرعت الخطى عائدة إلى الفندق و"**إيفيلين**" تشيعها بنظرات متحيرة قلقة.

الفصل الثاني عشر

– إنني أعتقد يا رجل أنني وقعت على شيء خطير.
– ما هذا الذي تقولينه يا "**فيكتوريا**"؟
– أقول إنني وقعت على شيء خطير، وهذا الشيء قد يعني مالاً، ومالاً كثيراً.
– استمعي إليَّ يا مرأة، يجب أن تتوخي الحذر وإلا وجدت نفسك في إشكالات لا قبل لنا بها... ألا يحسن أن تكلي الأمر لي؟ ضحكت "**فيكتوريا**" ضحكة طويلة، وقالت:
– تذرع بالصبر وسترى... إنني أعرف كيف أمسك بطرف الخيط.. إنها ثروة... ألا تدرك معنى الثروة يا رجل! هناك أشياء رأيتها وأشياء أخرى خمنتها وأعتقد أن تخميناتي صادقة. ومرة أخرى عادت ضحكتها العالية ترن في سكون الليل.

*****

– "**إيفيلين**"...
– نعم؟ أجابت "**إيفيلين هيلنجدون**" دون اكتراث، بل إنها لم تهتم بالنظر إلى زوجها.
– هل لديك مانع من أن نحزم متاعنا ونعود إلى بيتنا في "**إنجلترا**"؟ كانت "**إيفيلين**" تمشط شعرها الأسود القصير، وعندما سمعت هذا الاقتراح من زوجها هبطت يداها جانباً ونظرت إليه، وقالت:
– أتعني... ولكن لم يكد يمضي على وصولنا إلى الجزيرة أكثر من ثلاثة أسابيع!
– أعرف ذلك، ولكن هل لديك مانع؟
– أتريد حقًّا أن تعود إلى "**إنجلترا**"، إلى بيتنا؟
– أجل..
– وتترك "**لاكي**"؟ طرفت عينا "**إدوارد**" وقال:

– كنت تعرفين طول الوقت.. ان علاقتنا لا تزال مستمرة؟

– تمامًا.

– ولكن لم يبد منك ما يدل على ذلك!

– ولم لا؟ لقد ناقشنا الموضوع منذ سنوات مضت، ولم يرغب أحد منا في الانفصال، ولقد اتفقنا على ان يسير كل منا في طريقه على ان نحافظ على المظهر أمام الناس. وقبل ان يجيب "**إدوارد**" تابعت "**إيفيلين**" :

– ولكن ما السبب الذي يجعلك الآن تلح في العودة لـ "**إنجلترا**" ؟

– لأني على وشك الانهيار. إنني لم أعد أستطيع تحمل الموقف أكثر من ذلك. كلا.. لم أعد أستطيع. لم يكن المتكلم هو ذلك الرجل الهادئ المرح.. كانت يداه ترتجفان وقد تقلص وجهه ألمًا، وأخذ يزدرد لعابه بصعوبة ظاهرة، وتابع قائلاً:

– لا شيء سوى أنني اريد مغادرة هذا المكان.

– لقد غرقت لأذنيك في حب "**لاكي**" والآن افقت لنفسك.. اهذا هو ما تريد أن تخبرني به؟

– أجل، ولا أعتقد أنك ستغفرين لي.

– دعنا لا نخوض في ذلك الآن.. كل ما اريد ان أعرفه يا "**إدوارد**" هو هذا الاضطراب الذي يبدو عليك.

– إنني لست مضطربًا.

– بل أنت كذلك.. لماذا؟

– الا يبدو لك السبب واضحًا؟

– كلا.. دعنا نضع النقط فوق الحروف.. لقد أقمت علاقة مع امرأة أخرى، وهو أمر يحدث كثيراً، والآن انتهت النزوة، أم لعلها لم تنته؟ ربما لم تنته من جانبها هي، أهو كذلك؟ هل يعلم "**جريج**" بما يجري؟ لقد كنت دائمًا أفكر في ذلك.

– لا أعرف... إنه لم ينطق بحرف وهو دائمًا يبدو ودودًا.

– إن الرجال كثيرًا ما يتصفون بالغباء. وقد يكون "**جريج**" مشغولاً بعلاقة أخرى تلهيه عن رؤية ما يدور حوله!

– هل حاول مغازلتك؟ أجيبي.. إنني أعرف انه حاول ذلك.. فأجابت "**إيفيلين**" بغير اكتراث:

– هذا صحيح.. ولكنه يغازل الجميع. هذا هو طبعه، ولذا فإن محاولاته لا تعني كثيرا، إنها في رأيي مجرد عقدة التظاهر بالرجولة.

– وأنت، هل تميلين إليه؟ "**إيفيلين**".. أرجو أن تخبريني بالحقيقة.

– إنني فعلاً أميل إليه وأعجب بروحه المرحة، إنه صديق عزيز.

– أهذا هو كل ما في الأمر؟ بودي لو أستطيع تصديقك. فقالت "**إيفيلين**" بجفاء:

– لا أستطيع إدراك أهمية ذلك بالنسبة إليك.

– أعتقد أنني أستحق ذلك منك. وهنا نهضت "**إيفيلين**" من مقعدها واتجهت نحو النافذة، وظلت تنظر من خلالها بضع لحظات، ثم عادت إلى مقعدها وقالت:

– بودي لو تخبرني بحقيقة السبب فيما يقلقك.

– لقد أخبرتك.

– إني لأعجب..

– لا يمكنك أن تدركي مدى شعور الإنسان عندما يتغلب على مثل هذه النزوة الجنونية.

– أستطيع أن أحاول، وإن كان ما يقلقني الآن هو ما يبدو من أن "**لاكي**" لا يزال لديها ما تمسكه عليك. إنها ليست مجرد عشيقة، إنها لبؤة ذات مخالب حادة.. "**إدوارد**"... يجب أن تخبرني بالحقيقة... تلك هي الوسيلة الوحيدة التي تستطيع بها أن تضمن وقوفي إلي جانبك. فقال "**إدوارد**" بصوت خافت:

– إذا لم أغادر هذا المكان سريعا.... فإنني سوف أقتلها.

– تقتل "**لاكي**"؟ لماذا؟

– بسبب ما جعلتني أفعله.

– وما هو ذلك؟

– لقد ساعدتها على ارتكاب جريمة قتل. وأخيراً نطق "**إدوارد**" بالحقيقة وساد الصمت بين الزوجين بينما أخذت "**إيفيلين**" تحملق إلى وجه زوجها مشدوهة ثم قالت:

– أتدري ما تقول؟

– أجل. لم أكن لأعلم أني أفعل ذلك، فقد كان الأمر مقصوراً على أنني ابتعت

لها بعض العقاقير التي طلبتها من الصيدلية، ولم تكن لديَّ أدنى فكرة عن الغرض الذي طلبتها من أجله... كانت قد طلبت مني أن أنسخ لها صورة من إحدى التذاكر الطبية..

- متى حدث ذلك؟

- منذ أربع سنوات، عندما كنا في جزيرة "**المارتينيك**"، وكانت زوجة "**جريج**"..

- أتعني زوجة "**جريج**" الأولى.. "**جيل**"؟ أتعني أن "**لاكي**" سممتها؟

- أجل... وقد ساعدتها... وعندما تحققت... فقاطعته "**إيفيلين**" قائلة:

- ... عندما تحققت مما حدث أخبرتك "**لاكي**" بأنك تعتبر شريكًا لها، فأنت الذي نسخت التذكرة الطبية وأنت الذي ابتعت السم، أليس هذا هو ما حدث؟

- نعم، لقد قالت لي إنها فعلت ما فعلت بدافع الشفقة، إذ إن "**جيل**" كانت تتعذب، وهي التي طلبت من "**لاكي**" بإلحاح أن تجد لها الوسيلة التي تريحها من ذلك العذاب.

- القتل بدافع الشفقة! وأنت هل صدقت ذلك؟ لزم "**إدوارد هيلنجدون**" الصمت لحظة، ثم قال:

- كلا.. الواقع أنني لم أصدقها، كل ما في الأمر انني قبلت ما قالته لأنني كنت أريد أن أصدقه، لأنني كنت مغرمًا بها.

- وبعد ذلك؟ بعد أن تزوجت "**جريج**".. هل ظللت على تصديقك لها؟

- لقد حاولت إقناع نفسي بتصديقها.

- ما مدى ما يعلمه "**جريج**" عن الموضوع؟

- لا شيء البتة.

- إنه ليصعب عليَّ تصديق ذلك. وهنا انفجر "**إدوارد**" صائحًا:

- "**إيفيلين**"... يجب أن أتحرر من كل هذه القيود.. إن هذه المرأة تدأب على تعذيبي بما فعلت... إنها تعلم أنني لم أعد أهتم بها... يا إلهي.. إنني أصبحت أمقتها، ومع ذلك فهي تجعلني أشعر باني لا أستطيع الفكاك من أسرها بسبب تلك الفعلة الشنعاء التي اشتركنا فيها معًا. اخذت "**إيفيلين**" تسير جيئة وذهابًا في الحجرة، ثم توقفت وواجهت زوجها قائلة:

– إن عيبك الأكبر يا "**إدوارد**" أنك شديد الحساسية، وفي الوقت نفسه يسهل التأثير فيك بدرجة غير معقولة.. إن هذه المرأة قد فرضت عليك الوضع الذي تريده مستغلة شعورك بالذنب.. ولا يسعني إلا أن أقولها لك صريحة إن الجريمة الحقيقية التي تثقل عليك هي جريمة الزنى وليس القتل.. لقد ثقلت عليك هذه العلاقة الآثمة مع "**لاكي**"، وأدركت هي ذلك فعملت على أن تجعل منك مخلب القط لتنفيذ خطتها الإجرامية فنجحت في أن تجعلك تشعر بأنك شريك لها في جريمتها، ولكن ثق بأنك لست شريكا. صاح "**إدوارد**" وهو يهم بالاقتراب من زوجته:

– "**إيفيلين**".. ولكنها تراجعت بعيداً وأخذت تنظر إليه متفحصة ثم قالت:

– "**إدوارد**".. هل كل ما ذكرته لي هو الصدق أم هو مجرد تظاهر؟

– "**إيفيلين**"، ولماذا أتظاهر بحق السماء؟

– لا أعرف.. قد يكون تساؤلي لمجرد أنني لم أعد أثق بأحد. ولأنني أوه... أعتقد أنني أصبحت لا أستطيع تمييز الحقيقة عندما أسمعها.

– دعينا ننسى كل ذلك ونعود إلى "**إنجلترا**"، إلى بيتنا.

– أجل.. سنفعل ذلك.. ولكن ليس الآن.

– ولم لا؟

– يجب أن نستمر في التظاهر كالعادة فترة أخرى من الوقت. هل تفهمني؟ إن ذلك من الأهمية بمكان. ويجب ألا نجعل "**لاكي**" تشعر بأدنى إحساس بما ننوي أن نفعله.

الفصل الثالث عشر

كان المساء يقترب من نهايته، وأخذت الفرقة الموسيقية النحاسية تهدئ من حماسها. ووقف "**تيم**" بالقرب من نافذة قاعة الطعام يتطلع إلى الشرفة، ثم أخذ يطفئ بعض أنوار الموائد التي غادرها أصحابها عندما سمع صوتاً يخاطبه من خلفه:

– "**تيم**"، هل أستطيع أن أتحدث إليك لحظة؟ بوغت "**تيم**" والتفت نحو مصدر الصوت فوجد "**إيفيلين**":

– أهلاً "**إيفيلين**"، هل هناك ما أستطيع أن أؤديه لك؟ تلفتت "**إيفيلين**" حولها ثم قالت:

– لنجلس إلى تلك المائدة قليلاً. اتجهت "**إيفيلين**" نحو مائدة في أقصى الشرفة حيث كان المكان خاليًا من النزلاء وجلست وأشارت إلى "**تيم**" أن يجلس أمامها ثم قالت:

– "**تيم**"، يجب أن تغفر لي إزعاجك، ولكني قلقة بشأن "**موللي**". تجهم وجه "**تيم**" في الحال وقال بخشونة بادية:

– "**موللي**"!! ما الذي يقلقك بشأنها؟

– أعتقد أن حالتها لا تدعو إلى الاطمئنان... يبدو عليها الاضطراب واضحًا.

– الواقع أنها سريعة الاضطراب في هذه الأيام.

– ينبغي أن تعرضها على طبيب.

– أجل.. إني أعرف ولكنها لن تقبل ذلك.. إنها تكره الأطباء.

– وما السبب؟

– ماذا تعنين؟

– سألتك عن السبب.. لماذا تكره الأطباء؟ فأجاب "**تيم**" ببطء:

– إن كثيراً من الناس يخالجهم نفس الشعور أحيانًا.. إن مجرد ذكر الطبيب يجعلهم يخافون على أنفسهم.

– إنك قلق عليها أنت الآخر، أليس كذلك؟

– الواقع أن هذا صحيح.

– أليس هناك أحد من أسرتها أو أقاربها يمكنه الحضور إلى هنا للبقاء بجانبها؟

– كلا.. إن ذلك لو حدث كفيل بأن يزيد الأمر سوءاً..

– وما مدى الشقاق بينها وبين أسرتها؟

– كالمعتاد... إن أعصابها مشدودة من ناحيتهم.. إن العلاقة لم تكن قط طيبة فيما بينهم، وبصفة خاصة مع أمها.. إن الأسرة كلها في رأيي غريبة الأطوار ولعل ذلك هو ما دفعها إلى الابتعاد عنها، وإن كنت أعتقد أن ما فعلته هو الخير كل الخير. فترددت "**إيفيلين**" قليلاً، ثم قالت:

– لقد أخبرتني بأنها تشكو من نوبات من الغيبوبة، كما أنها خائفة من الناس، وأعتقد أن هذه الحالة هي ما يسمونها بعقدة الاضطهاد. فصاح "**تيم**" منفعلاً:

– لا تقولي ذلك.. عقدة الاضطهاد! من السهل أن يقول البعض ذلك عن

الآخرين، ولكن هل لمجرد أنها... أن أعصابها مضطربة قليلاً؟.. أعتقد أن مجرد مجيئنا إلى هذا المكان هو السبب.. إن الإقامة في جزر "الهند" الغربية لا تناسب جميع الناس.

– ولكن بالتأكيد لا يمكن أن تكون فتاة مثل "موللي" من هذا الطراز!

– أوه.. كيف يمكننا أن نعرف الأسباب التي تخيف بعض الناس.. ألا يخاف البعض من التواجد في حجرة واحدة مع قطة.. ألا يفزع البعض الآخر لمجرد سقوط ورقة شجرة عليهم!

– ولكن ألا ترى أنه من الواجب أن تعرضها على إخصائي في التحليل النفسي؟ إنني أكره أن أقترح عليك ذلك. فقال "تيم" بانفعال ظاهر:

– كلا، كلا.. إنني لن أسمح لمثل هؤلاء الإخصائيين بتعذيبها.. أنا لا أثق بهم وأعتقد أن تدخلهم يزيد الحالة سوءاً، فلو أن أمها لم تلجأ إليهم..

– إذن فقد كانت هناك سابقة من هذا القبيل في الأسرة، أليس كذلك؟ أعني مايشبه.. عدم الاستقرار.

– لا أريد أن أتحدث بذلك... لقد انتزعتها من كل ذلك وهي على أتم صحة، وكل ما في الأمر أن أعصابها مضطربة، ومثل هذه الحالة لا تكون وراثية، إذ لا يكاد يخلو إنسان في وقتنا الحاضر من مثلها.. إن "موللي" كاملة الاتزان.. كل ماهنالك.. أعني أن وفاة ذلك "العقيد" العجوز هي التي أثارت كل هذا الاضطراب. فقالت "إيفيلين" ساهمة:

– الآن فهمت... ومع ذلك فلم يكن في وفاة العقيد "بالجريف" ما يدعو أي إنسان ليفقد السيطرة على أعصابه، ألا ترى ذلك؟

– أجل، بالتأكيد. لم يكن في الأمر ما يدعو إلى ذلك.. كل ما هناك أن الإنسان لا يسعه إلا الشعور بصدمة عندما يموت أحد، هكذا فجأة. كان "تيم" بادي اليأس، وقد شعرت "إيفيلين" بقلبها يعتصر شفقة عليه فوضعت يدها على ذراعه وقالت:

– آمل أن تكون مدركًا لما تفعل يا "تيم". وإذا كان هناك ما يمكني عمله لمساعدتك، أقصد إذا أردت أن أصحب "موللي" إلى "نيويورك"، فإني على استعداد لمرافقتها بالطائرة إلى هناك أو إلى "ميامي" أو إلى أي مكان آخر يمكنها أن

تجد فيه عناية طبية من الدرجة الأولى.

- هذا تلطف عظيم منك يا "**إيفيلين**"، ولكن ثقي بأن "**موللي**" بخير، وهي في سبيلها للتغلب على هذه الحالة الطارئة. هزت "**إيفيلين**" رأسها متشككة ثم استدارت وأخذت تنظر إلى الخارج عبر الشرفة.. كان معظم النزلاء قد أووا إلى كبائنهم فعادت أدراجها متجهة نحو مائدتها لترى ما إذا كانت قد تركت شيئًا عليها وإذا بها تسمع صيحة من "**تيم**"... توقفت "**إيفيلين**" والتفتت نحوه فوجدته يحملق نحو الدرج في أقصى الشرفة، فاتجهت بنظرها حيث كان "**تيم**" ينظر، وما كادت تفعل حتى شهقت شهقة عميقة ولم تنطق بحرف. كانت "**موللي**" تصعد الدرج قادمة من اتجاه الشاطئ وقد تقطعت أنفاسها وأخذت تلهث وجسمها يهتز وهي في حالة ذهول تام. صاح "**تيم**":

- "**موللي**"، ماذا جرى؟ قال ذلك وهو يسرع نحوها كما أسرعت "**إيفيلين**" خلفه.. كانت "**موللي**" قد وصلت إلى أعلى الدرج ووقفت هناك ويداها خلف ظهرها، وأخذت تلهث بكلمات متقطعة:

- لقد عثرت عليها.. هناك بين الشجيرات. إنها هناك بين الشجيرات.. ويداي.. انظر إلى يدي.. ما إن مدت "**موللي**" يديها حتى صعقت "**إيفيلين**" عندما رأت البقع الحمراء الداكنة التي تلطخهما.. كان منظر البقع داكنًا في الضوء المتخافت ولكنها كانت واثقة بأن اللون كان هو الأحمر الداكن. صاح "**تيم**" بذهول:

- ماذا حدث يا "**موللي**"؟

- هناك... بين الشجيرات. تردد "**تيم**" لحظات ثم أمسك بكتفي "**موللي**" وأزاحها قليلاً نحو "**إيفيلين**" ثم أسرع ينزل الدرج.. أحاطت "**إيفيلين**" الفتاة بذراعها وقالت:

- تعالي... اجلسي يا "**موللي**" هنا. يحسن أن تشربي شيئًا. ارتمت "**موللي**" في أحد المقاعد ووضعت رأسها فوق ذراعها المستندة إلى المائدة.. ولم تحاول "**إيفيلين**" أن تلقي عليها مزيداً من الأسئلة وفضلت أن تتركها لتهدأ قليلاً وتستعيد صوابها، ولكنها قالت ملاطفة:

- سيكون كل شيء على ما يرام، سيكون كل شيء على ما يرام يا "**موللي**".

– لا أدري.. لا أعرف ما الذي حدث، أنا لا أعرف شيئًا، لا أستطيع أن أتذكر.
ثم رفعت رأسها فجأة وصاحت:
– ماذا جرى لي؟ ما الذي جرى لي؟
– لا شيء يا طفلتي، لا شيء. وهنا كان "**تيم**" قد عاد وأخذ يصعد الدرج ببطء.. كان وجهه مبيضًا وبدا كالشبح. فنظرت إليه "**إيفيلين**" نظرة تساؤل فقال:
– إنها إحدى فتيات الفندق.. ما اسمها؟ "**فيكتوريا**".. نعم. لقد طعنها أحدهم بسكين.

الفصل الرابع عشر

كانت "**موللي**" ترقد في فراشها وقد وقف إلى أحد جانبيه كل من الدكتور "**جراهام**" والدكتور "**روبرتسون**" طبيب شرطة جزر "**الهند**" الغربية، وفي الجانب الآخر من الفراش كان يقف "**تيم**".. كان "**روبرتسون**" يجس نبض "**موللي**"، ثم أومأ إلى الرجل الذي كان يقف عند مؤخرة الفراش وهو المفتش من قوة شرطة "**سانت أونوريه**" وقال له:
– مجرد أقوال.. لا أكثر.. فحنى المفتش رأسه والتفت نحو "**موللي**" قائلاً:
– والآن يا سيدة "**كيندال**"، أخبرينا كيف عثرت على الفتاة. مرت لحظات وبدا الجسم المسجى على الفراش كأنه لا يسمع، ثم انفرجت شفتاها قائلة في صوت كأنه آت من بعيد:
– بين الشجيرات... أبيض..
– تقصدين أنك رأيت شيئًا أبيض بين الشجيرات.. ثم حاولت أن تعرفي ماهو.. أليس كذلك؟
– نعم.. أبيض. كان ملقى هناك.. حاولت... حاولت أن أرفع.. ولكنها.. الدم لطخ يديّ. وهنا أخذت "**موللي**" ترتعد، فنظر الدكتور "**جراهام**" نحو المفتش وهز رأسه في حين همس "**روبرتسون**":
– إنها لا تستطيع أن تتحمل أكثر من ذلك. ولكن المفتش استطرد قائلاً:
– ماذا كنت تفعلين في الممر المؤدي إلى الشاطئ يا سيدة "**كيندال**"؟

– دافئ... جميل.. عند الشاطئ.

– هل عرفت من تكون الفتاة؟

–... "**فيكتوريا**"... فتاة لطيفة... تضحك... تضحك دائمًا.. والآن لن تضحك ثانية. لن أنسى... ذلك المنظر. لن أنساه أبدًا.. لقد أخذ صوت الفتاة يرتفع بعصبية فصاح "**تيم**":

– "**موللي**"... كفى. وتكلم الدكتور "**روبرتسون**" بصوت رقيق ولكن بلهجة آمرة، وقال:

– اهدئي... اهدئي. أرجو أن تسترخي.. والآن شكة بسيطة. قال ذلك وهو يغمد إبرة المحقن في ذراعها ثم استطرد موجهًا كلامه إلى المفتش:

– إنها لم تعد في حالة تسمح باستجوابها ولمدة أربع وعشرين ساعة أخرى على الأقل. سأخبركما بمجرد أن تسمح حالتها بذلك.

*****

أخذ العملاق الأسمر الوسيم يتنقل ببصره بين الرجال الجالسين إلى المائدة، ثم قال:

– أشهد الله أن هذا هو كل ما أعرفه... أنا لا أعرف شيئًا أكثر مما قلته لكم. كان العرق يكسو جبهته، أما "**دافنتري**" فقد أطلق زفرة يائسة ونظر إلى المفتش "**ويستون**" الذي كان يتصدر المائدة وأومأ إليه بأن يصرف الرجل. وما إن غادر "**جيم إيلليس**" الحجرة حتى قال المفتش:

– لا شك في أن الرجل يعرف أكثر مما قال، ولكننا لن نحصل منه على أكثر من ذلك. فسأله "**دافنتري**":

– وهل تظن أن له يدًا في الموضوع؟

– لا أظن ذلك، فالمعروف أنهما كانا على وفاق تام.

– ألم يكونا متزوجين؟ فبدت ابتسامة على وجه المفتش وقال:

– كلا، لم يكونا متزوجين.. إن حالات الزواج في الجزيرة ليست كثيرة، وإن كانوا يعمدون أطفالهم.. لقد أنجب الرجل طفلين من "**فيكتوريا**".

– هل تظن أنه كان ضالعًا معها فيما كانت تحاوله؟

– هذا غير محتمل، ولا أعتقد أن لديه الجرأة الكافية، كما أني أعتقد أن ماكانت تعرفه الفتاة لم يكن بذات أهمية كبيرة.

– ولكن أهميته كانت كافية لتحاول استخدامها للابتزاز..

– لا أدري إذا كان باستطاعتنا أن نسميه كذلك، بل إنني أشك في أن الفتاة كانت تعرف معنى هذه الكلمة، فالدفع في مقابل كتمان سر لا ينظر إليه على أنه ابتزاز.. إن بعض السياح الذين يأتون إلى الجزيرة من ذلك الطراز الذي لا ترتفع أخلاقياتهم فوق مستوى الشبهات.

– إني أوافقك على أننا نشاهد هنا مختلف الأنماط الاجتماعية، فقد تكون من بينهم امرأة لا ترغب في أن يعرف أحد بعلاقاتها الغرامية، ولذلك تقدم هدية للفتاة التي تقوم على خدمتها. وهنا نجد أن "الدفع" إنما هو لكتمان السر.

– تماماً.

– ولكن الحالة التي أمامنا ليست من هذا الطراز.. إنها جريمة قتل.

– إنني أميل إلى الشك في أن الفتاة كانت تدرك مدى خطورة ما لديها من معلومات.. لقد رأت شيئاً أثار حيرتها، ونستطيع أن نفترض أن هذا الشيء كان يتعلق بزجاجة الأقراص، وأظن أن تلك الزجاجة تخص السيد "**دايسون**"، ولذا فيحسن أن نستدعيه الآن لسؤاله. دخل "**جريجوري**" الحجرة بطبيعته المرحة وقد ارتسمت ابتسامة عريضة على شفتيه وهو يقول:

– هأنذا.. ما الذي أستطيع أن أفعله لمساعدتكم؟ إنه لحادث مؤسف، فقد كانت فتاة لطيفة.. كنا نحبها... أعتقد أنه لابد أن يكون في الأمر "رجل"، ولو أنها كانت تبدو دائماً سعيدة ولا تعترضها مشاكل من أي نوع.. بالأمس فقط كنت أداعبها. فقال المفتش:

– أعتقد يا سيد "**دايسون**" أنك تتناول عقاراً اسمه "سيرينايت"؟

– هذا صحيح.. إنها أقراص حمراء صغيرة.

– وهل لديك تذكرة طبية بها؟

– أجل، وأستطيع أن أطلعك عليها إن شئت... إنني أشكو من ارتفاع قليل في ضغط الدم، كالكثير من الناس في هذه الأيام.

– قليلون هم الذين يدركون ذلك.

– الواقع أنني لا أحب أن أتحدث عن ذلك.. لقد كنت دائمًا بصحة جيدة وأنا لا أحب من يدأب على التحدث عن مرضه.

– كم قرصًا تتناولها يوميًّا؟

– قرصين، ثلاث مرات في اليوم.

– وهل معك كمية كافية من هذه الأقراص؟

– نعم، عندي حوالي ست زجاجات، ولكني أحتفظ بها في مكان أمين، أقصد في حقيبة ملابسي ومفتاحها معي ولا أترك في الخارج سوى زجاجة واحدة هي التي استعملتها.

– وقد افتقدت هذه الزجاجة من فترة مضت كما فهمت؟

– تمامًا.

– وسألت عنها الفتاة "**فيكتوريا**"؟

– أجل.

– وماذا قالت لك؟

– قالت إن آخر مرة رأتها فيها كانت على رف الحمام في كبينتنا، ثم وعدت بالبحث عنها.

– وبعد...؟

– بعد ذلك ببعض الوقت جاءتني بالزجاجة وسألتني عمًّا إذا كانت تلك هي التي أفتقدها.

– وبماذا أجبتها؟

– أجبتها بالإيجاب، وسألتها أين وجدتها فقالت إنها وجدتها في حجرة "**العقيد**" العجوز، وقد أبديت لها دهشتي وسألتها عن الكيفية التي وصلت بها الزجاجة إلى هناك.

– وماذا كان ردها؟

– قالت إنها لا تعرف، ولكن...

– حسنًا يا سيد "**دايسون**"؟

– الواقع أنني شعرت بأنها كانت تعرف أكثر مما قالته لي، ولكني لم أعر الموضوع اهتمامًا في ذلك الوقت.. إن أهميته لم تكن ظاهرة، وقد ظننت أنني ربما نسيتها

في قاعة الطعام أو في مكان ما ثم عثر عليها العقيد "**بالجريف**" وأخذها لسبب ما، وربما وضعها في جيبه وهو ينوي أن يعيدها إليّ.

– وهل هذا هو كل ما تعرفه؟

– هذا هو كل ما أعرف... آسف إذا لم أكن قد استطعت أن أفيدكم... هل الموضوع مهم جدًا؟ ولماذا؟ هز "**ويستون**" كتفيه وقال:

– إزاء ما يكتنف الموضوع حاليًا من غموض فإن كل شيء قد يكون مهمًا.

– لا أستطيع أن أفهم ما دخل الأقراص هنا.. كنت أعتقد أنكم تريدون معرفة كيف أمضيت وقتي وأين كنت عندما طعنت تلك الفتاة التعسة.. لقد دونت كل ذلك بمنتهى الدقة. نظر إليه "**ويستون**" متأملاً وقال:

– أحقًا؟ إن ذلك سيساعدنا كثيرًا. فقال "**جريج**" وهو يناوله قصاصة من الورق عبر المائدة:

– لقد فكرت في أن ذلك سيجنب الجميع متاعب لا داعي لها. أخذ "**ويستون**" يقرأ بإمعان في حين أدنى "**دافنتري**" مقعده من المفتش وأخذ هو الآخر يطالع ما حوته الورقة. وأخيرًا قال "**ويستون**":

– إن الأمر يبدو في غاية الوضوح.. لقد كنت أنت وزوجتك في كبينتكما تغيران ملابسكما استعدادًا للعشاء حتى الساعة التاسعة إلا عشر دقائق، ثم توجهتما معًا إلى الشرفة حيث تناولتما بعض الشراب مع السنيورا "**دي كاسبيرو**"، وفي الساعة التاسعة والربع انضم إليكم العقيد "**هيلنجدون**" وزوجته ثم ذهبتم جميعًا للعشاء. وبقدر ما تتذكر أويتما أنت وزوجتك إلى الفراش حوالي الساعة الحادية عشرة والنصف.

– وبالتأكيد أنا لا أعرف في أية ساعة قتلت الفتاة.. كانت عبارة "**جريج**" تحمل معنى السؤال ولكن المفتش "**ويستون**" تظاهر بعدم ملاحظة ذلك في حين استطرد "**جريج**":

– كانت السيدة "**كيندال**" هي التي عثرت عليها بقدر ما أعلم؟ لابد أنها كانت صدمة مروعة لها.

– أجل، وقد اضطر الدكتور "**روبرتسون**" إلى إعطائها مسكنًا.

– أعتقد أن ذلك كان في وقت متأخر، بعد أن أوى معظم النزلاء إلى فراشهم؟

– أجل.

– هل كان قد مضى وقت طويل على وفاتها؟ أعني عندما عثرت عليها السيدة "**كيندال**"؟

– لسنا متأكدين تمامًا من وقت الوفاة.

– مسكينة "**موللي**". لابد أنها كانت صدمة شديدة لها... والحق يقال إنني لم أرها الليلة الماضية كالعادة، وقد ظننت أنها ربما كانت تشكو من صداع أو شيء من هذا القبيل وأنها لزمت حجرتها.

– متى كانت آخر مرة رأيت فيها السيدة "**كيندال**"؟

– أوه، كان ذلك قبل أن أذهب لتغيير ملابسي، كانت في ذلك الوقت تعبث ببعض أدوات المائدة وكانت تعيد ترتيب السكاكين عليها. هز المفتش رأسه دلالة على الفهم ولم يجب في حين استطرد "**دايسون**":

– كانت بادية الابتهاج وكانت تمزح وتضحك.. إنها فتاة رائعة ونحن جميعًا نحبها... إن "**تيم**" لمحظوظ.

– شكرًا لك يا سيد "**دايسون**". الا يوجد لديك ما تضيفه بشأن الفتاة "**فيكتوريا**"؟

– كلا... لقد قلت لكم كل ما حدث... سألتني عمًّا إذا كانت تلك هي زجاجة الأقراص التي كنت أبحث عنها وقالت إنها وجدتها في غرفة "**بالجريف**" العجوز.

– ألم يكن لديها أية فكرة عمن وضعها هناك؟

– لا أظن ذلك.. الواقع أنني لا أستطيع أن أتذكر.

– شكرًا لك مرة ثانية يا سيد "**دايسون**". غادر "**جريجوري**" الحجرة في حين أخذ المفتش "**ويستون**" ينقر بأصابعه على الورقة الموضوعة على المائدة وقال:

– كان ذلك بعد نظر منه أن يهتم هكذا بجعلنا نقف على تحركاته في الليلة الماضية. فسأله "**دافنتري**":

– هل تظن أنه أبدى من الاهتمام أكثر مما يجب؟

– من الصعب أن نقول ذلك... إنك تعلم أن معظم الناس يشعرون بالقلق في مثل هذه الظروف ويهتمون كثيراً بتأمين براءتهم، وليس من الضروري أن يكون

ذلك راجعًا إلى أن لديهم أي معلومات غير بريئة. ومن جهة أخرى قد يكون الأمر عكس ذلك تمامًا.

– وماذا عن الفرص المتاحة؟ يبدو لي أنه لا يوجد أحد يملك دليل نفي قاطعًا. أضف إلى ذلك أن الفرقة الموسيقية كانت تعزف ومعظم النزلاء يرقصون والحركة على أشدها، وكان العشاء قد أوشك على الانتهاء والنزلاء يغادرون موائدهم.. النساء يذهبن لإصلاح زينتهن والرجال يتنقلون في أرجاء المكان، وفي مثل هذه الحالة كان من السهل على "**دايسون**"، أو أي شخص آخر أن يتسلل إلى الخارج، ولكن "**دايسون**" يبدي اهتمامًا شديدًا بإثبات أنه لم يفعل ذلك. توقف "**دافنتري**" قليلاً وهو ينظر إلى الورقة ثم استطرد بصوت حالم:

– إذن فإن السيدة "**كيندال**" كانت تعيد ترتيب السكاكين على الموائد.. إني لأعجب إذا كان "**دايسون**" قد أثار هذه النقطة متعمداً..

– هل تظن ذلك؟

– أعتقد أنه محتمل. وفي هذه اللحظة تناهت إلى سمع الرجلين أصوات ضوضاء خارج الحجرة التي كانا يجلسان فيها، ثم صوت رجل يعلو فوق صوت الضوضاء يطلب السماح له بالدخول وهو يقول:

– لديّ ما أقوله.. إن لديّ ما أقوله ويجب أن تسمحوا لي بمقابلة السيدين.. خذوني إلى الضابط المختص. وهنا فتح أحد رجال الشرطة باب الحجرة وقال:

– إنه أحد طهاة الفندق وهو يصر على مقابلتكما ويقول إن لديه ما يقوله. وقبل أن يجيبه أحد اندفع إلى الحجرة رجل يرتدي زي الطهاة وهو كوبي الأصل وليس من أهالي "**سانت أونوريه**" وقد أخذ يصيح:

– أريد أن أقول لكما شيئًا.. إنها مرت عن طريق المطبخ وكانت تمسك في يدها سكينًا نعم.. سكينا.. مرت من خلال المطبخ وخرجت من بابه الخلفي إلى الحديقة.. لقد رأيتها بعيني. فقال له "**دافنتري**":

– اهدأ يا رجل، عم تتكلم؟

– سأقول لكم.. إنني أتكلم عنها.. كانت تمسك في يدها سكينا ثم خرجت إلى الظلام، وكان ذلك قبل العشاء ولم تعد.

الفصل الخامس عشر

– هل نستطيع أن نتحدث معك قليلاً يا سيد "**كيندال**"؟

– بلا شك. تفضلا. كان "**تيم**" جالسًا إلى مكتبه عندما دخل عليه المفتش "**ويستون**" وبرفقته السيد "**دافنتري**"، فأزاح جانبًا بعض الأوراق التي كانت أمامه وأشار إليهما بالجلوس. كل وجهه يبدو متجهمًا وقد كسته مسحة من الكآبة والحزن . وما إن جلس الرجلان حتى أردف قائلاً:

– كيف حال التحقيق؟ هل وصلتم إلى نتيجة؟ يبدو أن هذا المكان يلازمه النحس، فالنزلاء يرغبون في الرحيل ويسألون عن مواعيد الطائرات، ولا يحدث كل ذلك إلا في الوقت الذي بدا فيه أن كل شيء يسير نحو النجاح. يا إلهي.. إنكما لا تستطيعان أن تدركا كم يعني هذا المكان بالنسبة إلينا، لقد وضعنا فيه كل ما نملك. فقال المفتش:

– إني واثق بأن الأمر شاق عليك.. لا تظن أننا لا نشعر بالأسف من أجلكما.

– حبذا لو أمكن إنهاء التحقيق سريعًا.. تلك الفتاة التعسة "**فيكتوريا**".. ولكن يجب ألا أتحدث عنها هكذا.. كانت فتاة ممتازة. لابد من أن يكون هناك سبب ما.. مؤامرة مثلاً أو علاقة غرامية.. ربما كان زوجها..

– ولكن "**جيم إيلليس**" لم يكن زوجها، كما أنه كان يبدو عليهما الاستقرار والطمأنينة.

– حبذا لو أمكن إنهاء كل ذلك بسرعة... أرجو المعذرة .. كنتما تريدان التحدث إليَّ... هل لديكما أي أسئلة؟

– أجل.. إن الأمر يتعلق بليلة الأمس... طبقًا للتقارير الطبية يمكن القول إن "**فيكتوريا**" قتلت فيما بين الساعة العاشرة والنصف ومنتصف الليل، وبالنسبة إلى الظروف السائدة في الفندق فإن أدلة النفي التي حصلنا عليها ليس من السهل إثبات صحتها. فأكثر النزلاء كما تعلم كانوا في حركة دائبة، يرقصون ويخرجون إلى الشرفة ثم يعودون.. إن الأمر يبدو صعبًا للغاية.

– إنني أدرك ذلك، ولكن هل يعني ذلك أنكم تأكدتم من أن قاتل "**فيكتوريا**" هو أحد النزلاء؟

– الواقع أننا لا يجب أن نغفل هذا الاحتمال يا سيد "كيندال" .. إن ما أرغب في سؤالك عنه بصفة خاصة يتعلق بما جاء بأقوال أحد الطهاة.

– حقًا؟ من هو؟ ماذا قال؟

– إنه كما علمنا أحد الكوبيين الذين يعملون بالمطبخ.

– إن لدينا اثنين من الكوبيين وواحداً من "برتوريكو".

– الرجل الذي أعنيه هو "أنريكو"، وهو يقرر أن زوجتك مرت بالمطبخ قادمة من قاعة الطعام في طريقها إلى الحديقة وأنها كانت تحمل سكينًا. حملق "تيم" إلى وجه المفتش وصاح مدهوشا:

– "موللي"، تحمل سكينًا! ومع ذلك فما المانع من ذلك.. أقصد.. ماذا تريدون قوله؟

– إنني أشير إلى الوقت... كان ذلك قبل وصول النزلاء إلى قاعة الطعام، وأعتقد أن ذلك لابد أن يكون في حوالي الثامنة والنصف... أنت نفسك كنت في قاعة الطعام في ذلك الوقت وكنت تتحدث إلى رئيس السقاة، "فرناندو"، على ما أعتقد.

– أجل. أجل إني أذكر ذلك.

– ثم جاءت زوجتك قادمة من الشرفة؟

– نعم... إن من عادتها دائمًا أن تخرج إلى الشرفة للإشراف على ترتيب الموائد، فإن العمال يخطئون أحيانًا في ترتيب أدوات المائدة أو تنسيقها. هذا هو ما حصل. بدا أنها كانت تصحح من وضع بعض تلك الأدوات، ومن المحتمل أنها وجدت سكينًا أو ملعقة زائدة فحملتها في يدها.

– عندما دخلت من الشرفة إلى قاعة الطعام، هل حدثتك؟

– نعم، لقد تبادلنا بعض العبارات.

– هل تستطيع أن تتذكر ما قالته لك؟

– أظن أنني سألتها عمن كانت تتكلم معه هناك... كنت قد سمعت صوتها.

– وماذا كان جوابها؟

– قالت إنها كانت تتكلم مع "جريجوري دايسون".

– أجل، هذا ما قاله السيد "دايسون" أيضًا.

– لقد كان يحاول مغازلتها كما فهمت منها. وهو كثيراً ما يفعل ذلك، وقد شعرت بالضيق وقلت "عليه اللعنة" وقد ضحكت "مولّلي" وقالت إنها قادرة تماماً على إيقافه عند حده.. إن "مولّلي" فتاة يمكن الاعتماد عليها في هذه المواقف، وهي مواقف ليست دائماً بالسهلة. إننا لا نجرؤ على إغضاب النزلاء؛ ولذا فإن فتاة جميلة مثل "مولّلي" يجب أن تتصرف بلباقة في مثل هذه الظروف.. إن "جريجوري دايسون" لا يرى فتاة جميلة إلا وحاول مغازلتها.

– هل حدثت أية مشاحنة بينهما؟

– كلا، لا أعتقد ذلك، وكما قلت فإنها قد تصرفت معه بلباقة كالعادة.

– الا تستطيع أن تتذكر بالتحديد ما إذا كانت تحمل سكيناً في يدها أم لا؟

– لا أتذكر، ولكنني أكاد أكون واثقاً بأنها لم تفعل بل إنني واثق بذلك.

– ولكنك قلت الآن..

– مهلاً... إن ما كنت أعنيه أنها إذا كانت في قاعة الطعام أو في المطبخ فمن المحتمل أنها تناولت سكيناً أو كانت تحمل سكيناً في يدها... والواقع أنني أتذكر ذلك تماماً... إنني أؤكد ذلك. فقال "ويستون":

– فهمت. فحملق "تيم" إلى وجه المفتش وقد بدا عليه الاضطراب ثم قال:

– ما الذي ترمي إليه بحق السماء؟ ما الذي قاله ذلك الغبي اللعين "أنريكو".. أم هو "مانويل"؟

– لقد قال إن زوجتك مرت بالمطبخ وكان يبدو عليها الاضطراب وإنها كانت تحمل سكيناً في يدها.

– يا إلهي، إنه يجعل من الأمر مأساة.

– هل تبادلت حديثاً مع زوجتك في أثناء العشاء أو بعده؟

– كلا... لا أظن أن ذلك حدث... الواقع أنني كنت مشغولاً.

– هل كانت زوجتك موجودة بقاعة الطعام في أثناء العشاء؟

– أوه، أجل. إننا نشرف على راحة النزلاء ونراقب سير العمل.

– ألم تتحدث معها مطلقاً؟

– كلا.. لا أظن ذلك. إننا نكون دائماً مشغولين فلا يلاحظ أحدنا ماذا يفعل الآخر، وبالتأكيد لا نجد الوقت كافياً للحديث.

– إذن فأنت لا تذكر أنك تحدثت معها مطلقًا حتى اللحظة التي رأيتها تصعد درج الشرفة بعد أول حديث بينكما في ذلك المساء بثلاث ساعات، بعد أن عثرت على الجثة؟

– تمامًا... كانت صدمة شديدة.. لقد هزتها هزة عنيفة.

– إني أدرك ذلك، فهي تجربة غير سارة. ولكن كيف حدث أنها كانت تسير في الممر المؤدي إلى الشاطئ؟

– لقد تعودت أن تخرج لاستنشاق الهواء بعد أن يخف ضغط العمل بعد العشاء... إنها تحاول بذلك أن تبتعد عن صخب النزلاء لتريح أعصابها بعض الوقت.

– عندما عادت، كنت تتحدث مع السيدة "**هيلنجدون**" على ما أعتقد؟

– نعم، وكان معظم النزلاء قد عادوا إلى حجراتهم.

– ماذا كان موضوع الحديث الذي دار بينك وبين السيدة "**هيلنجدون**"؟

– لا شيء محدد.. ولكن ما سبب هذا السؤال ماذا قالت لكم؟

– لم تقل لنا شيئًا حتى الآن. إننا لم نسألها بعد.

– كان حديثنا متشعبا.. تحدثنا عن "**مولي**" وعن متاعب إدارة الفنادق وغير ذلك..

– ثم وصلت زوجتك وأخبرتك بما حدث؟

– أجل.

– وكانت يداها ملطختين بالدماء؟

– بالتأكيد.. لقد أمسكت بالفتاة تحاول رفعها ولم تكن تعرف بعد ما حدث لها... بالتأكيد كان يجب أن تتلطخ يداها بالدم.. ولكن ماذا تقصد بذلك؟ إنك تهدف إلى شيء معين، أليس كذلك؟ فقال "**دافنتري**":

– أرجوك يا "**تيم**" أن تحافظ على هدوئك.. إننا ندرك مدى وقع الصدمة عليك، ولكننا يجب أن نستوضح جميع الحقائق. لقد فهمت أن حالة زوجتك الصحية لم تكن على ما يرام في الفترة الأخيرة...

– هراء.. إنها بخير.. لقد أثرت فيها وفاة العقيد "**بالجريف**"، وهذا طبيعي.. إنها فتاة شديدة الإحساس. فقال "**ويستون**":

– إننا مضطرون إلى إلقاء بعض الأسئلة عليها متى سمحت حالتها بذلك.
– لن يكون ذلك الآن على كل حال، فقد أعطاها الدكتور مسكنًا وطلب ألا يزعجها أحد، ولن أسمح لأحد بأن يزعجها أو يقسو عليها.. هل هذا واضح؟
– إننا لن نقسو على أحد.. كل ما نسعى إليه هو إلقاء الضوء على ما غمض من وقائع الحادث.. إننا لن نزعجها الآن ولكن لابد لنا من مقابلتها بمجرد أن يسمح لنا الطبيب. كان "**ويستون**" يتكلم بصوت هادئ رقيق، فنظر إليه "**تيم**" وقد فغر فاه ولكنه لم يقل شيئًا.

*****

جلست "**إيفيلين هيلنجدون**" في المقعد الذي قدمه لها المفتش "**ويستون**" وهي كاملة السيطرة على أعصابها كعادتها، وأخذت تفكر بهدوء في الأسئلة التي أخذ يلقيها عليها المفتش قبل أن تجيب عنها وهي تنظر إليه بعينيها السوداوين اللتين يشع منهما بريق الذكاء، ثم قالت:
– أجل، كنت أتحدث مع السيد "**كيندال**" في الشرفة عندما وصلت زوجته إلى الدرج وأخبرتنا بالجريمة.
– ألم يكن زوجك موجودًا؟
– كلا.. كان قد أوى إلى فراشه.
– هل كان لديك سبب معين للحديث مع السيد "**كيندال**"؟ رفعت السيدة "**هيلنجدون**" حاجبيها الرفيعين معبرة عن الاستياء وقالت ببرود:
– يا له من سؤال غريب! ومع ذلك فالجواب بالنفي... لم يكن هناك دافع خاص وراء حديثنا.
– هل ناقشتما حالة زوجته الصحية؟ ومرة ثانية تباطأت "**إيفيلين**" في الرد، ثم قالت:
– الواقع أنني لا أتذكر.
– هل أنت واثقة بذلك؟
– هل أنا واثقة بأنني لا أتذكر؟ يا لها من طريقة غريبة لصياغة السؤال.. إن الإنسان يتحدث في العديد من الموضوعات في أوقات مختلفة.

– لقد فهمت أن صحة السيدة "**كيندال**" لم تكن على ما يرام في الفترة الأخيرة.

– كانت تبدو في أحسن حال. ربما كانت تشعر ببعض الإجهاد، إذ لا شك في أن إدارة مكان كهذا تستتبع كثيراً من المتاعب، وهذه هي أول تجربة من نوعها بالنسبة إلى "**موللي**".. بديهي أن تشعر بالارتباك من وقت إلى آخر.

– ارتباك.. أهذا هو الوصف الذي تقصدينه؟

– قد يكون تعبيراً غير عصري، ولكنه يؤدي نفس المعنى كالتعبيرات الحديثة التي يستخدمونها الآن في كل المناسبات: "التهاب فيروسي" في حالة اضطرابات الكبد؛ و"قلق نفسي" لما هو دون ذلك من متاعب الحياة اليومية. كانت ابتسامة "**إيفيلين**" وهي تقول ذلك قد جعلت "**ويستون**" يشعر ببعض الحرج.. لقد أدرك أن "**إيفيلين هيلنجدون**" امرأة ذكية، فنظر إلى "**دافنتري**" الذي ظل وجهه جامداً وهو يعجب لما قد يكون دائراً في ذهنه، وأخيراً التفت نحو "**إيفيلين**" وقال لها:

– شكراً لك يا سيدة "**هيلنجدون**".

*****

– إننا لا نريد أن نضايقك يا سيدة "**كيندال**" ولكننا يجب أن نحصل على أقوالك فيما يختص بطريقة عثورك على الفتاة.. إن الدكتور "**جراهام**" ذكر لنا أن حالتك الآن تسمح لك بالتحدث إلينا. أجابت "**موللي**" وهي تبتسم بعصبية:

– أجل، إنني فعلاً في حالة طيبة الآن. إنها الصدمة التي نتجت من الحادث. كان ذلك فظيعاً.

– نعم، إنه حادث فظيع.. لقد علمت أنك خرجت للنزهة بعد العشاء؟

– اجل... إنني افعل ذلك عادة.. لاحظ "**دافنتري**" أن "**موللي**" تتجنب مواجهة نظراته وأن أصابع يديها تتلوى وتلتف على بعضها البعض في حين سألها "**ويستون**":

– هل تذكرين في أية ساعة خرجت لتلك النزهة؟

– الواقع أنني لا أذكرها تماماً.. إننا في العادة لا نتحرك هنا في ساعات موقوتة.

– هل كانت الفرقة الموسيقية لا تزال تعزف؟

– أجل.. على الأقل أظن ذلك... الواقع أنني لا أستطيع أن أتذكر.

– وفي أي اتجاه سرت؟

– على طول طريق الشاطئ.

– إلى اليمين أم إلى اليسار؟

– أوه.. أنا.. الواقع أنني لم الاحظ ذلك.

– ولماذا لم تلاحظي يا سيدة "**كيندال**"؟ تقطب جبين "**موللي**" وقالت:

– لابد أنني كنت أفكر في أشياء اخرى.

– هل كنت تفكرين في شيء معين؟

– كلا... لا شيء معين.. مجرد أعمال الفندق.. المهام التي يجب تاديتها أو الاهتمام بها.. ومرة ثانية عادت "**موللي**" لتحريك أصابعها بحركات عصبية، ثم أردفت:

– ... ثم.. لاحظت شيئًا أبيض.. في وسط الشجيرات، وثار فضولي لمعرفة كنهه، فاتجهت نحوه وجذبته.. اخذت "**موللي**" تزدرد لعابها بصعوبة ظاهرة، ثم قالت:

– كانت هي.. "**فيكتوريا**".. مكومة هناك.. وحاولت رفع راسها.. تلوثت يدي بالدم. وهنا توقفت "**موللي**"، وأخذت تنظر إلى الرجلين وكانها تذكرت شيئًا كان غائبًا عنها قالت:

– دماء على يدي..

– أجل.. أجل.. كانت تجربة فظيعة يا سيدة "**كيندال**"، ولا داعي الآن للخوض في هذا الصدد.. كم من الوقت قضيته في التنزه قبل أن تعثري عليها؟

– لا أعرف.. ليست لديَّ أية فكرة عن ذلك.

– نحو ساعة؟ نصف ساعة؟ أو أكثر من ساعة؟

– لا أعرف.. فتدخل "**دافنتري**" وسألها برفق:

– هل أخذت معك سكينًا عندما خرجت.. للنزهة؟ بدت الدهشة واضحة على وجه "**مولللي**" وقالت:

– سكينًا؟ ولماذا آخذ معي سكينًا؟

– إن ما يدفعني إلى هذا السؤال هو أن أحد عمال المطبخ ذكر لنا أنه كانت في

يدك سكين عندما خرجت من المطبخ إلى الحديقة. قطبت "موللي" حاجبيها وقالت:
– ولكنني لم أخرج من المطبخ.. أوه.. انت تقصد قبل ذلك.. قبل العشاء.. لا.. لا اظن ذلك.
– ربما كنت تعيدين ترتيب أدوات المائدة..؟
– إنني أفعل ذلك عادة... إنهم كثيراً ما يضعون الأشياء في غير موضعها، وقد تنقص سكين أو قد تزيد، أو قد لا يضعون العدد الكافي من الشوك.. أخطاء من هذا القبيل..
– وهل حدث شيء من ذلك في ذلك المساء بالذات؟
– ربما... شيء من هذا القبيل.. إنه يحدث بطريقة آلية، والإنسان في مثل هذه الحالة لا يفكر، أو يتذكر.
– معنى ذلك انه من المحتمل أن تكوني قد خرجت من المطبخ في ذلك المساء وانت تحملين سكيناً في يدك؟
– لا أظن أن ذلك قد حدث... بل أنا واثقة بأنه لم يحدث.. إن "تيم" كان هناك ولابد من أنه يعرف. سله. فسألها "ويستون":
– هل كنت تحبين تلك الفتاة.. "فيكتوريا"؟ هل كان عملها مرضياً؟
– نعم... كانت فتاة لطيفة جداً..
– الم يحدث بينكما شجار؟
– شجار؟ بالتأكيد لا...
– الم تهددك مطلقاً.. بأية طريقة؟
– تهددني؟ ماذا تعني؟
– لا يهم.. أليست لديك أية فكرة عمن يكون قد قتلها؟ فقالت "موللي" بإصرار:
– كلا، مع الأسف.
– حسناً، شكراً لك يا سيدة "كيندال"... آمل الا نكون قد اتعبناك..
– أهذا كل ما أردتم معرفته؟
– أجل، في الوقت الحاضر. فنهض "دافنتري" وفتح لها باب الحجرة وانتظر حتى

خرجت، ثم أقفل الباب وعاد إلى مقعده، وهو يكرر العبارة التي قالتها:

– إن "تيم" كان هناك.. ولابد من أنه يعرف. ثم استطرد:

– ولكن "**تيم**" يقول إنه واثق بأنها لم تكن تحمل سكينًا.. فقال له "**ويستون**" بلهجة جادة:

– أعتقد ان أي زوج لابد ان يشعر بأن ذلك هو ما يجب أن يقوله.

– إن سكين المائدة لا تعتبر سلاحًا ملائمًا لارتكاب جريمة قتل. والواقع يا "**ويستون**" أنني لا أستطيع أن أصدق أن هذه الفتاة التي كنا نتحدث إليها منذ لحظات يمكن ان تكون سفاكة دماء.

– ليس هناك داع لتصدق ذلك في الوقت الحاضر، هناك احتمال بأن تكون السيدة "**كيندال**" قد خرجت إلى الحديقة قبل العشاء وهي تمسك في يدها سكينًا وجدتها زائدة فوق إحدى الموائد.. بل ويحتمل أنها لم تدرك انها كانت تحمل سكينًا، أو أنها وضعتها في مكان ما، أو انها سقطت منها فعثر عليها شخص آخر واستخدمها في ارتكاب الجريمة.. إنني أشاركك الظن أنها ليست قاتلة..

– ومع ذلك فإني اكاد أكون واثقًا بأنها لم تذكر لنا كل ما تعرفه... إن الغموض الذي يحيط بتحديدها للوقت يبدو غير عادي.. أين كانت، وماذا كانت تفعل في ذلك المكان؟ وحتى الآن يبدو ان أحدًا لم يشاهدها في قاعة الطعام ذلك المساء..

– كان الزوج موجودًا أما الزوجة فلا...

– هل تظن أنها خرجت لتقابل شخصًا ما.. "**فيكتوريا جونسون**" مثلاً؟

– لا أستبعد ذلك، أو أنها قابلت الشخص الذي ذهب لمقابلة "**فيكتوريا**".

– هل تفكر في "**جريجوري دايسون**"؟

– إننا نعلم أنه كان يتحدث مع "**فيكتوريا**" قبيل الحادث، فمن المحتمل أن يكون قد اتفق معها على أن يتقابلا مرة ثانية فيما بعد.. وكما تذكر فإن حركة النزلاء في الشرفة كانت مستمرة، ما بين الرقص والشراب والتوجه إلى البار أو العودة منه...

فقال "**دافنتري**" بضيق:

– لا يوجد من يستطيع أن يقدم لنا دليل نفي محكمًا!

*****

الفصل السادس عشر

لو أن أحداً تأمل تلك السيدة العجوز الرقيقة وهي تقف في شرفة كبينتها غارقة في بحار من التفكير العميق لظن أنه لا يمكن أن يكون هناك ما يشغل بالها أكثر من مجرد التفكير في تخطيط برنامج لنزهتها في ذلك اليوم، ومع ذلك فإن تلك العجوز الرقيقة كانت تفكر في أشياء بعيدة كل البعد عن ذلك.. كان تفكيرها مركزاً في محاربة الشر.. والواقع أن الآنسة "**ماربل**" كانت تتمتم محدثة نفسها: "لابد من عمل شيء". وفضلاً على ذلك فقد كانت مقتنعة تمام الاقتناع بأن الوقت ضيق وأن السرعة واجبة. ولكن من ذا تستطيع أن تقنعه بهذه الحقيقة؟ لو أن الوقت كان متسعاً لكان باستطاعتها أن تكشف عن الحقيقة بنفسها.. لقد استطاعت فعلاً أن تكشف عن كثير من الغموض الذي يكتنف الحوادث الجارية في الجزيرة، ولكن ما كشفته لم يكن كافياً، لم يكن أمامها متسع من الوقت. وهنا زفرت بحرارة وهي تشعر بأنها وهي في هذه الروضة لا تجد أحداً من حلفائها الذين تركتهم في "**إنجلترا**".. أين السير "**هنري كليذرنج**" الذي كان دائماً يصغي إليها بصبر وانتباه، وأين "**ديرمونت**" الذي كانت تعتبره ابناً لها والذي كان على الرغم من مركزه الرفيع في "**اسكتلانديارد**" يعتقد أن أي رأي تبديه الآنسة "**ماربل**" لابد أن يكون وراءه شيء من الحقيقة أما هذا المفتش ذو الصوت الرقيق الذي يعمل في هذه البقعة النائية، فهل هو مستعد للاهتمام بما تبديه امرأة عجوز مثلها من شدة اهتمام؟ والدكتور "**جراهام**"؟ ومع ذلك فالدكتور "**جراهام**" ليس هو الشخص الذي تحتاج إليه الآن.. إنه بالغ الرقة، كما أنه بادي التردد، فليس هو بالرجل الذي يستطيع أن يتخذ قرارات أو إجراءات سريعة. كانت الآنسة "**ماربل**" مستغرقة في أفكارها لدرجة أنها لم تلتفت إلى الصوت الذي سمعته آتياً من خلفها، وإن كان عقلها الباطن قد فسره بأن شخصاً ما ينادي كلبه. ولكن عندما تكرر الصوت عالياً "هيه!" التفتت الآنسة "**ماربل**" نحو مصدره وإذا بالسيد "**رافييل**" يكرر عبارته للمرة الثالثة ويضيف إليها بفروغ صبر قائلاً:

– أنت... هناك... لم تدرك الآنسة "**ماربل**" أول وهلة أن عبارة مثل "أنت.. هناك" يمكن أن تكون موجهة إليها؛ لأنها عبارة لم يسبق لأحد أن استعملها

لمناداتها، وهي قطعًا طريقة أبعد ما تكون عن الذوق السليم للتخاطب. غير أن الآنسة "**ماربل**" لم تشعر بالضيق أو الغضب، فقليلون هم الذين كانوا يغضبون لتصرفات السيد "**رافييل**"، وهي التصرفات التي كان يغلب عليها حب التسلط والرغبة في الاستبداد.. كان السيد "**رافييل**" قانونا قائمًا بذاته، وكان الجميع يتقبلونه على هذا الأساس؛ لذلك فإن الآنسة "**ماربل**" نظرت إليه عبر المسافة القصيرة التي كانت تفصل بين كبينتيهما، حيث كان يجلس في شرفة كبينته وهو يشير إليها، فسألته:

- هل كنت تناديني؟

- بالتأكيد كنت أناديك.. من تظنين كنت أنادي... قطة؟ تعالي هنا.. التقطت الآنسة "**ماربل**" كيس غزلها وعبرت المسافة التي أوصلتها إلى كبينة السيد "**رافييل**" الذي أردف قائلاً:

- إنني لا أستطيع أن أذهب إليك ما لم يساعدني أحد؛ لذلك كان عليك أن تحضري إليَّ.

- أوه.. إني أدرك ذلك تمامًا. أشار السيد "**رافييل**" إلى مقعد مجاور وقال:

- اجلسي.. إنني أريد أن أتحدث إليك... إن هناك شيئًا غريبًا يجري فوق هذه الجزيرة.. جلست الآنسة "**ماربل**" وبحكم العادة أخرجت غزلها من الكيس وهي تقول:

- أجل، فعلاً.

- كفي عن هذا الغزل... إنني أكره النساء اللاتي يغزلن، فذلك مما يثير أعصابي. أعادت الآنسة "**ماربل**" خيوط غزلها إلى الكيس، ولو أنها لم تفعل ذلك بدافع من الرضوخ أو الاستسلام، بل فعلته بطريقة من يتجاوز عن سوء سلوك شخص مريض. واستطرد السيد "**رافييل**":

- إن ثرثرة واسعة النطاق تجري هنا وأراهن على أنك في الصف الأول بين محركيها، أنت وذلك القسيس وشقيقته.

- أظن من الطبيعي جدًّا أن تدور الثرثرة في مثل الظروف التي نحن فيها.

- تلك الفتاة الوطنية التي قتلت، ووجدوها بين الشجيرات. قد يكون الأمر عاديًّا، إذ من المحتمل أن تكون الغيرة هي التي دفعت ذلك الرجل الذي كانت

تعايشه إلى قتلها. أو قد يكون قد اتخذ له ضجيعة أخرى فتملكتها الغيرة وتشاحنا.. إنها مشاكل الجنس في المنطقة الاستوائية.. هيه..! ما هو رأيك؟ هزت الآنسة "**ماربل**" رأسها وقالت:

– لا أرى هذا الرأي.

– والسلطات أيضاً لا ترى ذلك.

– إنهم قد يفضون إليك بأكثر مما يفضون به إليَّ.

– ومع ذلك فإني أراهن على أنك تعرفين عن الموضوع أكثر مما أعرف.. إنك كنت تصغين إلى تلك الثرثرة..

– بالتأكيد كنت أصغي إليها.

– أليس لديك ما تفعلينه أفضل من ذلك؟

– إن الإصغاء إلى الثرثرة في مثل هذه الأحوال لمن أنجع الوسائل لجمع المعلومات.

أخذ السيد "**رافييل**" يدقق فيها النظر متأملاً، ثم قال:

– أتعرفين.. لقد أخطأت في الحكم عليك، وأنا عادة لا أخطئ في الحكم على الناس... إنك تخفين أكثر مما يبدو عليك.. خذي مثلاً تلك الإشاعات حول العقيد "**بالجريف**" والقصص التي كان يرويها. إنك تظنين أنه قتل، أليس كذلك..؟

– إنني أخشى أن يكون الأمر كذلك..

– حسناً.. إنه لكذلك.. أخذت الآنسة "**ماربل**" شهيقاً عميقاً، ثم قالت:

– وهل هذا مؤكد؟

– أجل.. إنه أصبح مؤكداً.. لقد علمت ذلك من "**دافنتري**"، وأنا لا أذيع بذلك سراً إذ إن نتيجة التشريح سوف تعلن.. إنك قلت شيئاً ما لـ "**جراهام**" فذهب إلى "**دافنتري**"، و"**دافنتري**" ذهب إلى رئيس المدينة الذي أبلغ الأمر إلى إدارة المباحث، وقد اتفقت آراؤهم على أن الأمر محوط بالشكوك فقرروا استخراج جثة "**العقيد**" وتشريحها.

– وماذا وجدوا؟

– وجدوا كمية من مادة سامة لا يستطيع سوى الطبيب أن ينطق اسمها الصحيح، وبقدر ما أذكر فهي "ديفلور هيكساجونال كاربنزيل". لست واثقاً بأن

هذا هو الاسم الصحيح ولكنه يقاربه في النطق. وأعتقد أن طبيب الشرطة قد قصد بهذا التعقيد ألا يعرف أحد حقيقة السم الذي تناوله "العقيد"، وأنا لا أستبعد أن يكون اسمه الدارج شيئًا ما مثل "فيرونال" أو شراب "ايستون" أو شيئًا من هذا القبيل. وعلى كل حال فإن الكمية التي وجدت بالجثة كانت قاتلة، كما أن أعراض التسمم بهذه المادة لا تختلف كثيراً عن أعراض ارتفاع ضغط الدم في حالة الإفراط في تعاطي الشراب. والواقع أن كل شيء كان يبدو طبيعيًا؛ ولذا فإن أحداً لم يساوره أي شك. وكل ما أمكنهم لم يتعد قولهم: "مسكين العقيد "بالجريف""، ثم أسرعوا بدفنه، أما الآن فهم يتساءلون عمًا إذا كان "المسكين" يشكو حقًا من ارتفاع ضغط الدم. وبالمناسبة، ألم يتحدث إليك "العقيد" في هذا الشأن؟

– كلا...

– بالتأكيد، ومع ذلك فإن الجميع كانوا يعتقدون ذلك...

– الظاهر أنه أخبر شخصاً ما بانه يشكو من تلك العلة.

– ذلك يذكرني بمن يقولون إنهم رأوا أشباحًا.. إنك لا تستطيعين أبداً مقابلة الشخص الذي رأى الشبح بنفسه، فهو دائمًا إما ابن العم أو الصديق أو صديق الصديق. ولكن دعينا من ذلك مؤقتًا. إن الظن انه كان يشكو من ارتفاع ضغط الدم سببه وجود زجاجة في حجرته بها أقراص خاصة بعلاج هذا المرض، والآن نصل إلى لب الموضوع. إن ما توصلت إليه بتفكيري هو أن تلك الفتاة القتيلة كانت تثرثر بأن شخصاً ما قد وضع تلك الزجاجة في حجرة "العقيد" وأن الزجاجة تخص هذا المدعو "جريج".

– إن السيد "دايسون" يشكو فعلاً من ارتفاع ضغط الدم.. إن زوجته تقول ذلك..

– ولذا فقد وضعت الزجاجة في حجرة "العقيد" للإيهام بانه كان يشكو من هذا المرض، وبذلك تبدو وفاته طبيعية.

– تماماً.. وقد تم ترويج الإشاعة بمهارة فائقة بانه كثيراً ما كان يتحدث عن ارتفاع ضغط دمه.. ألا تعلم أنه من السهل جداً إذاعة قصة مختلقة؟ لقد مر بي الكثير من الأمثلة على ذلك في حياتي الطويلة.

– لا أستغرب ذلك.

– إن الأمر لا يتطلب أكثر من همسة هنا وهمسة هناك، والمتحدث عادة لا يقول إنه شاهد الوقائع بنفسه بل إنه سمع بها من السيدة "سميث" وإن السيدة "سميث" سمعت بها من العقيد "براون" وهكذا يستمر انتقال القصة من شخص إلى آخر حتى يصبح من الصعب جداً التوصل إلى مصدرها الأصلي.

– إن بعضهم كان ماهراً جداً.

– أجل.. أعتقد أن بعضهم كان ماهراً جداً.

– لابد أن الفتاة شاهدت شيئاً أو عرفت شيئاً، ثم حاولت استغلال هذا الشيء في الابتزاز. فقالت الآنسة "ماربل":

– ومن الجائز أنها لم تفكر في الأمر على أنه ابتزاز.. كثيراً ما يحدث في مثل هذه الفنادق الكبيرة أن الخادمة أو الخادم يعرف أشياء يعلم أن بعض الناس يهمهم ألا يعرفها أحد، ولذا فإن البعض يجزل لها أو له العطاء أو يقدم هدية أو هبة مالية، ومن المحتمل أن الفتاة لم تكن في بداية الأمر تدرك أهمية ما كانت تعرفه. فقال السيد "رافييل" وقد اكتسب صوته خشونة:

– مع ذلك فإن ما نالته كان طعنة في ظهرها.

– هذا صحيح، ومن الواضح أن شخصاً ما كان يمنعها من الكلام.

– حسناً... دعينا نسمع رأيك في الموضوع. أخذت الآنسة "ماربل" تنظر إليه وهي تفكر قبل أن تجيب ثم قالت:

– وما الذي يجعلك تظن أني أعرف أكثر مما تعرف يا سيد "رافييل"؟

– قد لا تعرفين، ولكن يهمني أن أعرف رأيك فيما تعرفين؟

– ولكن ما السبب؟

– ليس لديَّ الكثير مما أشغل به وقتي هنا، سوى كسب المال.. بدت الدهشة على وجه الآنسة "ماربل"، وقالت:

– تكسب مالاً؟ هنا...

– أجل.. أستطيع أن أبعث ببعض البرقيات كل يوم، وهي طريقة التسلية الوحيدة التي أمامي. فعادت الآنسة "ماربل" تسأله وهي لا تكاد تصدق أذنيها:

– هل تشترك في عطاءات أو لعلك تضارب في البورصة؟

– شيء من هذا القبيل.. إنني أراها وسيلة طريفة للمنافسة وهي تولد الشعور بالانتصار على المنافسين، وإن كان عيبها الوحيد أنها لا تشغل جزءاً كافياً من وقتي، وهذا هو السبب الذي جعلني أهتم بالأحداث الأخيرة.. إن "**بالجريف**" كان يقضي معظم وقته في التحدث إليك، ولم يكن هناك من يهتم به من بين النزلاء سواك والآن أخبريني.. ماذا قال لك؟

– لقد قص عليَّ عدداً غير قليل من القصص.

– أعرف ذلك، بل وأعرف أن معظمها كان يبعث على الملل، ولا يقتصر الأمر على ذلك بل إنك لتضطرين إلى الإصغاء إلى القصة نفسها أكثر من مرة، وإذا تصادف أن كان مجلسك قريباً منه وهو يقصها على غيرك لسمعتها مرات ومرات.

– الحق معك، وأخشى أن هذا هو ما يحدث عندما يتقدم الرجال في السن. نظر إليها السيد "**رافييل**" بحدة وقال:

– ولكنني لا أحكي قصصاً.. على كل حال استمري، كل ما حدث في الجزيرة مؤخراً كانت بدايته إحدى قصص "**بالجريف**"، أليس كذلك؟

– لقد قال إنه يعرف قاتلاً، وهي كما ترى عبارة لا تعني شيئاً. توقفت الآنسة "**ماربل**" لحظة، ثم أردفت بصوت رقيق:

– ذلك لأني أعتقد أن ذلك يمكن أن يحدث لمعظم الناس.

– أنا لا أفهمك.

– لا أقصد بذلك حرفية العبارة، ولكن لا شك في أنك لو عدت بذاكرتك إلى مختلف الأحداث التي مرت بك في حياتك لوجدت كثيراً من المناسبات القي فيها ببعض التلميحات العارضة، كأن يقول مثلاً: "أوه، إني أعرف فلاناً هذا جيداً.. لقد توفي فجأة، والجميع يقولون إن زوجته هي التي أودت بحياته، وإن كنت أعتقد أن ذلك ليس إلا من قبيل المبالغات".. والآن يا سيد "**رافييل**" ألم يحدث أن سمعت شيئاً من هذا القبيل؟

– لا أستطيع أن أنكر ذلك، ولكنه لم يكن في وقت من الأوقات ذا صبغة جدية.

– تماماً، ولكن العقيد "**بالجريف**" كان رجلاً جاداً، وأعتقد أنه كان يتلذذ

برواية القصة ولاسيما أنه كان يكسبها طلاوة بالإشارة إلى الصورة التي كان يحملها معه وهي صورة القاتل بطل قصته. لقد كان على وشك أن يطلعني عليها ولكنه لم يتمكن.

– ولماذا؟

– لأنه رأى شيئًا، وأعتقد أنه رأى شخصًا، فقد احتقن وجهه فجأة وأسرع بإعادة الصورة إلى محفظته ثم أخذ يتحدث في موضوع آخر.

– وهل تعرفين ذلك الشيء أو الشخص الذي رآه؟

– لقد فكرت في ذلك كثيراً. لقد كنت أجلس أمام كبينتي وكان هو يجلس في مواجهتي، ولابد أن ما رآه كان خلف كتفي اليمنى.

– إن هذا يشير إلى الممر الذي كان يمتد خلفك إلى اليمين، وهو الممر الذي يوصل إلى الخليج الصغير وموقف السيارات.

– تماما..

– ومن كان قادمًا من هذا الممر؟

– السيد "**دايسون**" وزوجته والعقيد "**هيلنجدون**" وزوجته.

– هؤلاء فقط؟

– لا أعرف.. وفي الوقت نفسه فإن كبينتك تقع في نفس الاتجاه.

– أوه.. إذن فيجب أن نضيف إلى هؤلاء الأربعة كلا من "**استر والترز**" و"**جاكسون**".. أليس كذلك؟ إن كلا منهما كان من الممكن أن يخرج من الكبينة ويعود إليها ثانية دون أن تريه.

– هذا ممكن، فإنني لم ألتفت خلفي فوراً.

– لدينا إذن الزوجان "**دايسون**" والزوجان "**هيلنجدون**" و"**استر**" و"**جاكسون**"، وأحد هؤلاء قاتل. وبالتأكيد يجب أن تضميني إلى القائمة.

ابتسمت الآنسة "**ماربل**" ولكنها لم تعلق على ملاحظة السيد "**رافييل**" الأخيرة في حين تابع هو قائلاً:

– وقد تحدث "**بالجريف**" عن القاتل على أنه رجل، أليس كذلك؟

– أجل.

– عظيم.. إننا نتقدم، فهذا يجعلنا نستبعد "**إيفيلين هيلنجدون**" و "**لاكي**"

و"**استر والترز**" . فالقاتل الذي تبحثين عنه، بفرض أن كل هذه السخافات صحيحة، هو إما "**دايسون**" أو "**هيلنجدون**" أو هذا الوصيف اللئيم "**جاكسون**" .

– أو أنت . . ولكن السيد "**رافييل**" تجاهل هذه الملاحظة، وقال:

– لا تحاولي إثارتي . . سأخبرك الآن بما يحيرني وهو ما يبدو أنك لم تفكري فيه . . إذا كان القاتل هو أحد هؤلاء الثلاثة فلماذا بحق الشيطان لم يتعرف إليه "**بالجريف**" من قبل؟ لقد قضى الجميع أسبوعين في الفندق يحملق كل منهم إلى وجه الآخر طول الوقت . . إن هذا غير معقول . .

– بل أراه معقولاً . .

– أوضحي . .

– بناء على قصة العقيد "**بالجريف**" فإنه لم يشاهد القاتل شخصيًّا في أي وقت من الأوقات. كانت القصة قد رواها له طبيب، وهذا الطبيب هو الذي أعطاه الصورة. فمن الجائز أن يكون "**العقيد**" قد اكتفى بإلقاء نظرة سطحية على الصورة عندما أخذها من الطبيب، ثم وضعها في محفظته وظل محتفظًا بها على سبيل التذكار، ومن المحتمل أنه كان يخرجها في بعض المناسبات عندما يأخذ في رواية القصة، ومع ذلك فهناك شيء آخر يجب أن نلاحظه يا سيد "**رافييل**" . . وهو أننا لا نعرف متى حدث كل ذلك، فهو لم يشر إلى هذه الناحية عندما كان يقص عليَّ القصة؛ ولذا فمن الجائز أنها حدثت منذ سنة أو سنتين وربما خمسة أو عشرة أعوام وربما أكثر. إن بعض قصصه الخاصة بمغامراته في مجاهل "**إفريقيا**" ترجع إلى أكثر من عشرين سنة.

– أحقًّا . . ؟

– ولذا فإنني لا أعتقد لحظة واحدة أن العقيد "**بالجريف**" كان باستطاعته أن يتعرف الوجه الذي في الصورة إذا تصادف وقابل صاحبه مصادفة. إن ما أظنه قد حدث، بل إني واثقة بأن ما حدث هو أنه عندما كان يروي لي القصة أخرج محفظته، ثم تناول الصورة وأخذ يتأملها قبل أن يعطيها لي، ثم رفع رأسه وإذا به يرى أمامه نفس الوجه، أو وجهًا قريب الشبه منه، قادمًا نحوه من على بعد ثلاثة أو أربعة أمتار. كان الاهتمام باديًا على وجه السيد "**رافييل**" وهو يصغي إليها بانتباه، وقال:

– أجل... إن ذلك محتمل..

– وقد أذهلته المفاجأة فاسرع يعيد الصورة إلى المحفظة وأخذ يتحدث بصوت عالٍ في موضوعات أخرى.

– ولكنه لم يكن ليستطيع أن يتأكد..

– كلا... لم يكن باستطاعته الجزم بأن الوجه الذي رآه والوجه الذي في الصورة كانا لرجل واحد. ولكنه كان يستطيع بعد ذلك أن يدرس الصورة جيداً ويدقق النظر إلى الرجل نفسه ويحاول أن يستقر على رأي فيما إذا كان الأمر مجرد تشابه في الملامح أو أن الرجل الذي رآه هو نفسه صاحب الصورة. أطرق السيد "**رافييل**" وهو يفكر، ثم هز رأسه وقال:

– لا يزال هناك شيء غير واضح لي.. إن الدافع للقتل لا يتلاءم مطلقًا وهذه الاحتمالات. أخبريني، هل كان حديثه معك بصوتٍ عالٍ؟

– نعم. إن العقيد "**بالجريف**" كان يتحدث دائماً بصوتٍ عالٍ.

– هذا صحيح. أجل.. ولذا فإن الشخص الذي كان يقترب منكما لابد أن يكون قد سمع ما كان يقوله.

– بل إن صوته كان كفيلاً بأن يسمع من على مسافة ليست بالقريبة. هز السيد "**رافييل**" رأسه مرة ثانية، وقال:

– إن الأمر لعجيب، بل هو في غاية العجب.. إن أي إنسان كان لابد أن يسخر من مثل تلك القصة. وكيف لا، فهذا رجل عجوز مخرف يروي قصة عن قصة أخرى سمعها ويحاول أن يعززها بصورة فوتوغرافية، والقصة نفسها تدور حول جريمة قتل حدثت منذ سنوات، أو على الأقل منذ سنة أو سنتين. فكيف يمكن لمثل هذه القصة أن تسبب قلقًا للشخص القاتل؟ ليس لدى "**العقيد**" أي برهان.. كل ما هناك أقوال متواترة لا دليل على صحتها، بل يمكننا أن نذهب إلى أبعد من ذلك، فإن هذا الشخص الذي نسميه القاتل كان باستطاعته أن يقول مثلاً: "نعم. إني أجد شبهًا كبيراً بيني وبين صاحب هذه الصورة.. ها ها..". إن أحداً في اعتقادي لم يكن ليحمل استنتاجات العقيد "**بالجريف**" على محمل الجد، وأنا لا أستطيع أن أصدق ذلك.. كلا.. إن هذا الشخص، لو أنه كان فعلاً صاحب الصورة، لما كان لديه ما يخشاه مطلقًا، بل إنه كان جديراً بأن يستخف بمثل هذا

الاتهام؛ ولذا فلماذا بحق السماء يتهور ويبادر بقتل "**العقيد**"؟ إن ذلك لم يكن ضروريًا قط.. يجب أن تعترفي بذلك.

– إنني أوافقك تمامًا، وهذا هو ما يحيرني لدرجة أنني لم أستطع النوم الليلة الماضية. نظر إليها السيد "**رافييل**" بحدة، ثم قال:

– أخبريني إذن بما يدور في خلدك. ترددت الآنسة "**ماربل**" قليلاً، ثم قالت:

– إني أخشى أن أكون مخطئة. فأجابها السيد "**رافييل**" بطريقته المعتادة التي لا يهتم فيها كثيرًا بمراعاة المجاملة:

– هذا محتمل، وعلى كل حال دعينا نستمع إلى ما كنت تفكرين فيه في الساعات الأولى من هذا الصباح.

– نعم. ولكن هذا الموضوع يعتبر مفروغًا منه وهو لا يهمنا الآن. إن المهم هو ما سوف يحدث، وأنا واثقة – إذا كانت استنتاجاتي صحيحة – بأن ذلك لابد أن يكون وشيكًا. لقد اطمأن الرجل إلى أن "**العقيد**" لم يعد باستطاعته الكلام وأن الصورة التي يخشاها أعدمت، وبذلك لم يعد هناك ما يحول دون تنفيذ جريمته كما خطط لها. أطلق السيد "**رافييل**" من بين شفتيه صفيرًا خافتًا وقال:

– لقد أبدعت في رسم الصورة، أليس كذلك؟ حنت الآنسة "**ماربل**" رأسها وهي لا تزال تنظر إليه بتلك النظرة المتوسلة، ولكنها قالت بصوت حازم، بل بلهجة آمرة:

– ولذا يجب علينا أن نمنع وقوع هذه الجريمة، يجب أن تحول دون وقوعها يا سيد "**رافييل**". فصاح السيد "**رافييل**" متعجبًا:

– أنا؟ ولماذا أنا بالذات؟

– لأنك واسع الثراء ولك مركزك الاجتماعي المهم. إن الناس سيهتمون بما تقول، ولكنهم لن يصغوا إلى كلمة واحدة مما أقول، ولن يترددوا في هز رؤوسهم وهم يقولون إنني لست سوى امرأة عجوز واسعة الخيال.

– لن أستغرب ذلك منهم. والواقع أنني لا أعتقد أن أحدًا منهم يظن أن لك من الذكاء أكثر ما يبدو عليك من خلال تصرفاتك وثرثرتك المعتادة، ولكني واثق بأنك تتميزين بتفكير منطقي سليم وهو أمر نادر بين النساء. توقف السيد "**رافييل**" لحظة حاول فيها أن يعتدل في مقعده، ثم قال:

- أين هما "استر" و"جاكسون" بحق الشيطان.. إنني أحتاج إلى من يساعدني على تعديل جلستي.. كلا... لا تحاولي فإنك لن تستطيعي... إنك لا تملكين القوة الكافية... إني لا أستطيع أن أفهم معنى تركهما لي بهذا الشكل.

- سأذهب للبحث عنهما.

- كلا، لا تذهبي.. ابقي هنا.. لننته أولاً من هذا الحديث.. والآن أيهم هو رجلك؟ أهو "جريج" الصاخب أو "إدوارد هيلنجدون" الهادئ أم هو وصيفي "جاكسون"؟ لابد أن يكون واحداً من هؤلاء الثلاثة، أليس كذلك؟

الفصل السابع عشر

أجابت الآنسة "ماربل":

- لا أدري.

- ماذا تعنين بذلك؟ عم تتحدثين إذن طيلة العشرين دقيقة الماضية؟

- خطر ببالي أنني قد أكون مخطئة. حملق إليها السيد "رافييل" وقال باشمئزاز:

- كنت تثرثرين كعادتك! ومع ذلك فكان يبدو من لهجتك أنك واثقة بما تقولين.

- أوه.. إنني واثقة - فيما يختص بالجريمة - ولكن القاتل هو ما لست واثقة به، ألا ترى أن العقيد "بالجريف" كان يحمل في جعبته أكثر من قصة جريمة قتل واحدة... لقد أخبرتني أنت نفسك بأنه روى لك قصة من طراز قصص "لوكريشيا بورجيا".

- أجل، لقد حدث ذلك فعلاً، ولكنها كانت قصة مختلفة تماماً.

- أعرف ذلك، وفي الوقت نفسه أخبرتني السيدة "والترز" بأن القصة التي رواها لها "العقيد" كانت تتعلق بجريمة قتل بواسطة الغاز.

- لكن القصة التي رواها لك... غير أن الآنسة "ماربل" قاطعته وهي لا تدرك أن مثل هذه المقاطعة لم تكن من الأمور التي اعتادها السيد "رافييل"، وأردفت بشوق وحماس:

– الا ترى؟ إنه من الصعب جداً أن نكون واثقين بشيء. إن مما يؤسف له أننا عادة لا نجيد الإصغاء، ويمكنك أن تسأل في ذلك السيدة "والترز". إن نفس الشيء حدث معها.. إننا نبدأ بالإصغاء لكن سرعان ما يتجه تفكيرنا إلى شيء آخر، وما إن نعود إلى الإصغاء ثانية حتى نجد أن جزءاً من القصة قد فاتنا. إن ما يحيرني هو احتمال وجود ثغرة من هذا القبيل، ثغرة ولو ضئيلة، بين اللحظة التي كان فيها العقيد "بالجريف" يحدثني عن القاتل واللحظة التي كان يخرج فيها محفظته من جيبه وهو يقول لي: "والآن هل تحبين أن تشاهدي صورة قاتل؟".

– ولكنك ظننت أن الصورة كانت للرجل الذي كان يتحدث عنه؟

– لقد ظننت ذلك، نعم... لم يخطر ببالي مطلقًا أنها قد لا تكون كذلك. أما الآن.. فكيف لي أن أكون متأكدة؟ ظل السيد "رافييل" ينظر إليها مفكرًا، ثم قال:

– إن عيبك هو أنك شديدة الأمانة مع نفسك، وهذا في رأيي خطأ فاحش... يجدر بك أن تحددي رأيك ولا تتمادي في هذا الغباء، ولو أنني لا أجد فيما قلته لي شيئًا يدل على الغباء. إني أعتقد أن تلك الثرثرة التي كنت تتبادلينها مع شقيقة القس وغيرها من النزلاء قد أوحت إليك بشيء ما جعلك تترددين.

– قد تكون على صواب.

– حسنًا. دعينا من ذلك مؤقتًا، ولنناقش انطباعاتك الأولى. إنني أعتقد أنه في تسعين في المائة من الحالات تكون الانطباعات الأولى هي الصحيحة... إننا نستطيع الآن أن نحصر شبهتنا في ثلاثة أشخاص، فدعينا إذن نتدارسهم معًا. هل يتجه اشتباهك إلى أحدهم بدرجة أكبر من غيره؟

– الواقع لا.. إن الاحتمال أن يكون أحد هؤلاء الثلاثة مجرمًا يبدو لي بعيداً.

– ومع ذلك، فلنناقش "جـريج" أولاً. إنني لا أطيق هذا الرجل ولكن ذلك لا يجعل منه قاتلاً، غير أن هناك قرينة أو اثنتين ضده: لقد اتضح أن أقراص "السيرينايت" تخصه، وذلك مما يتيح له فرصة سهلة لاستخدامها. فقالت الآنسة "ماربل" معترضة:

– ولكن ذلك يجعل المحاولة شديدة الوضوح، أليس كذلك؟

– لا أستطيع أن أقطع برأي في ذلك، ولكن المهم هو أنه وجد نفسه مضطراً إلى

التصرف وبسرعة. كانت الأقراص في متناول يده ولم يكن أمامه من الوقت مايسمح له بالبحث عن أقراص أخرى تخص شخصًا غيره. لنفترض إذن أنه "جريج" . الديك مانع؟ فإذا كان هدفه هو التخلص من زوجته العزيزة "لاكي" – وأنا لا ألومه على ذلك، بل إنني أتعاطف معه – فما هو الدافع؟ إن الثابت أن "جريج" ثري، فقد ورث ثروة طائلة من زوجته الأولى. كان ذلك مما يهيئ لنا دافعًا، ولكن ذلك الحادث مر وانقضى ولم تثر حوله أية شبهات، أما "لاكي" ، ولو أنها تمت بصلة قرابة لزوجته الأولى، إلا أنها فقيرة، وإلى هنا يتوقف الدافع، اللهم إلا إذا كان يريد التخلص منها ليتزوج بواحدة أخرى، فهل سمعت شيئًا قد يشير إلى احتمال ذلك؟ هزت الآنسة "ماربل" رأسها وقالت:

– لم أسمع شيئًا، ومع ذلك فإن "جريج" ينفرد بطابع خاص في علاقته بالنساء.

– إنك تعبرين عن ذلك بطريقة القرن الماضي، ومع ذلك فلنسلم بوجهة نظرك: إنه زير ولا ينِي عن مغازلة كل امرأة تقابله، ولكن ذلك في رأيي ليس كافيًا. إننا نريد دافعًا قويًا... لننتقل الآن إلى "إدوارد هيلنجدون" ، وهنا سنجد أنفسنا أمام شخصية غامضة.

– أعتقد أنه ليس سعيداً في حياته.

– وهل تعتقدين أن القاتل يجب أن يكون رجلاً سعيداً؟ سعلت الآنسة "ماربل" ، وقالت:

– هذا هو ما بدا لي فعلاً في خلال تجاربي السابقة.

– لا أظن أن تجاربك السابقة قد قطعت شوطًا بعيداً. وهنا كان باستطاعة الآنسة "ماربل" أن تثبت له أنه مخطئ في هذا الظن، ولكنها آثرت ألا تناقش هذه المسألة في الوقت الحاضر لاسيما وهي تعلم أنه ليس من السهل مراجعة رجل مثل السيد "رافييل" ؛ لذلك فقد فضلت الصمت في حين أردف هو قائلاً:

– إنني شخصيًّا أميل إلى ترجيح كفة "هيلنجدون" . يخيل إليَّ أن هناك أموراً غير عادية تجري بينه وبين زوجته.. ألم تلاحظي شيئًا من ذلك؟

– أجل، أجل، لقد لاحظت ذلك. إن سلوكها أمام الناس طبيعي للغاية، ولكن هذا هو ما يجب أن نتوقعه.

– لابد أنك تعرفين عن مثل هؤلاء القوم أكثر مما أعرف، ومهما يكن من أمر فإذا

كانت العلاقة بينهما تبدو أمام الناس طبيعية للغاية فإن ذلك لا يمنع احتمال أن يكون "**إدوارد هيلنجدون**" يخطط للتخلص من "**إيفيلين هيلنجدون**"، هل لديك اعتراض؟

– إذا كان الأمر كذلك فلابد أن تكون هناك امرأة أخرى. ثم هزت الآنسة "**ماربل**" رأسها ببطء وهي غير مقتنعة وأردفت قائلة:

– لا أستطيع التغلب على ما يخالجني من شعور بأن المسألة لا يمكن أن تكون بهذه السهولة.

– ليكن.. من هو المرشح التالي... "**جاكسون**"؟ دعيني أنا خارج الموضوع.

ابتسمت "**ماربل**" للمرة الأولى وقالت:

– ولماذا نستبعدك يا سيد "**رافييل**"؟

– لسبب بسيط.. وهو أنك إذا أردت مناقشة احتمال كوني قاتلاً فيجب أن تجري هذه المناقشة مع شخص آخر، وإلا فإنك تضيعين وقتك سدى. ومع ذلك فهل ترينني كفئًا لمثل هذه المهمة؟ هأنذا كما ترين لا حول لي ولا قوة، لا أستطيع أن انتقل من مكان إلى آخر إلا بهذا المقعد ذي العجلات ولا أكاد أستطيع أن أخطو خطوتين إلا مستندا إلى شخص آخر.. فما الفرص التي ترينها أمامي لارتكاب جريمة قتل؟

– إنها لا تقل عن الفرص التي لدى أي شخص آخر.

– وكيف توصلت إلى هذا الرأي؟

– حسنًا أنت بالتأكيد توافقني على أنك تتمتع بقدر كبير من الذكاء؟

– لا شك في ذلك، بل إن ذكائي ليفوق ذكاء أي كائن آخر في هذه المنطقة.

– بديع.. إذن فإن هذا الذكاء كفيل بأن يجعلك تتغلب على الصعاب البدنية التي تحول بينك وبين ارتكاب جريمة قتل.

– ولكن الأمر في هذه الحالة سيحتاج إلى تخطيط دقيق.

– فعلاً، وأعتقد يا سيد "**رافييل**" أنك ستجد متعة كبيرة في ذلك. ظل السيد "**رافييل**" يحملق إلى وجه الآنسة "**ماربل**" فترة طويلة، ثم أخذ يقهقه ضاحكًا إلى أن دمعت عيناه، ثم قال:

– إن لك لجرأة بالغة... إنك أبعد ما تكونين عن تلك الشخصية العجوز المنطوية

التي تحاولين الظهور بها.. هل تظنين حقيقة أنني قاتل؟

– كلا، كلا، لا أظن ذلك.

– ولم؟

– إن الأمر بسيط.. إن من كان في مثل ذكائك يستطيع أن يحصل على كل مايريد دون اللجوء إلى القتل.. إن القتل يدل على الغباء.

– ومع ذلك فمن هي الضحية التي يمكنك أن ترشحيها لي؟

– هذا سؤال مهم، ولكن مع الأسف فإن الوقت لم يسعدني بما يكفي من الحديث معك لكي أكون لنفسي رأيا في هذه الناحية. اكتسى وجه السيد "**رافييل**" بابتسامة عريضة، وقال:

– إن الحديث معك قد يكون خطراً.

– إن الأحاديث دائماً خطرة، إذا كان هناك ما تود إخفاءه.

– قد تكونين على حق. والآن دعينا ننتقل إلى "**جاكسون**".. ما هو رأيك فيه؟

– من الصعب أن أبدي رأياً.. الواقع أنه لم تتح لي أية فرصة لتبادل الحديث معه.. إنه يذكرني بشاب يعمل في المجلس البلدي في القرية التي أعيش فيها في "**إنجلترا**".

– حسناً؟

– لم يكن موظفاً كفئاً!

– تماماً... إن "**جاكسون**" أبعد ما يكون عن الكفاءة، ومع ذلك فهو يلائمني كل الملاءمة. إنه لا يعترض على إهاناتي له، ولعل السبب في ذلك أنه يدرك أنه يتقاضى مني مرتباً لم يكن يحلم بمثله، فضلاً على ذلك فإنني لست مضطراً إلى الثقة به... قد يكون نزيها وقد لا يكون. إن الشهادات التي قدمها إليّ لا غبار عليها، وإن كنت ألاحظ عليه شيئاً من التحفظ، ولحسن الحظ ليس لديّ أسرار إجرامية وعلى ذلك فلست عرضة للابتزاز أو التهديد.

– لا أستطيع أن أتصور ذلك! لابد أن لديك أسراراً تتعلق بأعمالك؟

– نعم، ولكنها أبعد من أن يتوصل إليها "**جاكسون**" كلا... إن "**جاكسون**" قد يكون ماكراً ولكني لا أستطيع أن أتخيله قاتلاً.. إن القتل من الأعمال التي لا يصلح لها "**جاكسون**". توقف السيد "**رافييل**" لحظة وقد بدا عليه التفكير

العميق، وفجأة قال:

– ألم يخطر ببالك أننا إذا عدنا إلى الوراء قليلاً وأعدنا النظر إلى كل من هذه الحوادث الغامضة وإلى قصص العقيد "**بالجريف**"، فإن كل استنتاجاتنا قد تبدو خاطئة! إنني أنا هو الشخص المفروض أن يقتل. بدت الدهشة واضحة على الآنسة "**ماربل**" في حين أردف السيد "**رافييل**" موضحاً:

– من هو عادة الضحية في القصص البوليسية؟ أليس هو الرجل العجوز الذي يمتلك ثروة طائلة! فقالت الآنسة "**ماربل**" مكملة:

– وهو عادة محاط بعدد من الأقارب الذين يتمنون موته ليحصلوا على ثروته. وهل هذا أيضاً صحيح؟ لم يجب السيد "**رافييل**" فوراً وقال:

– أستطيع أن أعدد لك خمسة أو ستة من رجال الأعمال في "**لندن**" لن يسكبوا دمعة واحدة إذا ما قرؤوا خبر نعيي في جريدة "**التايمز**"، ولكن أحداً منهم لن تصل به الرغبة في إزاحتي عن طريقه إلى حد اللجوء إلى القتل. ومع ذلك فما الداعي لقتلي؟ إن موتي متوقع من يوم إلى آخر. والواقع أن هؤلاء الملاعين لا يتورعون عن التصريح بأنني عشت أكثر مما يجب، بل إن الأطباء أنفسهم لا يخفون دهشتهم.

– لا شك في أن لك رغبة قوية في البقاء على قيد الحياة.

– وما وجه الغرابة في ذلك؟

– لا غرابة فيه بل إنني أجده أمراً طبيعيًّا... إن الحياة تبدو أكثر قيمة وأكثر امتلاءً بالمباهج عندما تلوح لنا النهاية قاب قوسين أو أدنى.. كان يجب أن يكون الأمر عكس ذلك، ولكن ما بيدنا حيلة.. إن مما يدعو إلى الدهشة أن الإنسان عندما يكون شابًّا ممتلئًا صحة وقوة ويرى الحياة ممتدة أمامه، لا يعيرها ما تستحقه من اهتمام. ألا تلاحظ – مصداقاً لقولي هذا – أن الشباب هم عادة الذين يقدمون على الانتحار، يأساً من الحب وأحياناً لمجرد الشعور بالقلق وعدم الاستقرار، في حين نجد كبار السن يدركون ما للحياة من قيمة فلا يفرطون فيها؟ صاح السيد "**رافييل**":

– ها! من ذا الذي يريد الاستماع لعجوزين متفاخرين مثلنا!

– ولكني لم أبالغ فيما قلت، ألا ترى ذلك؟

– بلا شك.. أنت على حق.. ولكن ألا تظنين أنني أصبت فيما قلت، إنني

أصلح مرشحًا لدور الضحية.

– إن قبول هذا الرأي يتوقف على معرفة من الذي سيستفيد من موتك.

– الواقع لا أحد، بخلاف أولئك المنافسين لي في مجال الأعمال كما سبق أن أوضحت لك، ولكنهم يشعرون بالاطمئنان إلى أنني ساخلي لهم الجو قبل مضي وقت طويل. هذا ولست من الغباء بحيث أوصي بأموالي لتوزع على أقاربي. وعلى كل حال فإن هؤلاء الأقارب لن يتبقى لهم الكثير بعد أن تحصل الحكومة على نصيبها من التركة وهو نصيب الأسد.. لقد فكرت في كل ذلك منذ زمن بعيد ولذا فإن ثروتي الآن مقسمة بطريق الوقف طيلة بقائي حيًا.

– و"**جاكسون**".. ألن يستفيد من موتك؟ فقال السيد "**رافييل**" بابتهاج واضح:

– إنه لن يحصل على بنس واحد بعد وفاتي.. إنني أدفع له الآن ضعف المرتب الذي يمكن أن يحصل عليه من أي مخدوم آخر وذلك لأنه يتقبل نزواتي، كما أنه يعلم تمامًا أنه يخسر الكثير بعد موتي.

– والسيدة "**والترز**"؟

– نفس الوضع.. إنها فتاة طيبة، وسكرتيرة ممتازة على قدر وافر من الذكاء وحسن الخلق، وفضلاً على ذلك فهي تفهم أخلاقي جيداً ولا تهتز قيد أنملة عندما تثور أعصابي، بل إنها لا تهتم إذا ما وجدت في تصرفاتي إهانة لها، فهي تتصرف كمربية ماهرة لطفل متمرد.. إنها تثير حنقي في بعض الأحيان ولكنني قانع بها، وعلى الرغم من أنها من أسرة متواضعة إلا أنني أعتقد أنني لن أستطيع أن أجد من يفضلها للعمل معي.. لقد قاست الكثير في حياتها، فقد كان زوجها رجلاً متلافًا، ولعل الخطأ يرجع إليها؛ لأنني أعتقد أنها لا تجيد الحكم على الرجال.. إن مثل هذا الطراز من النساء كفيل بأن يستسلم لأول رجل يشكو لهن سوء حظه في الحياة، وهن يتخيلن أنه ما من رجل يستطيع أن يستغني عن المرأة التي تفهمه، ولكن ما إن تقبله المرأة زوجًا لها حتى تظهر حقيقة نفسيته. غير أنه كان من حسن حظها أن زوجها لم تطل به الحياة وتوفي على أثر حادث في الطريق. كان يقضي سهرته عند بعض الأصدقاء وأفرط في الشراب، وعندما خرج إلى الطريق وأراد عبور الشارع وهو يترنح صدمته سيارة وقضت عليه. وكان كل ما تركه لها هو ابنة،

فاضطرت "استر" إلى العودة إلى عملها الأول وهو السكرتارية، لقد مضى عليها معي خمس سنوات وقد أوضحت لها بجلاء ألا تتوقع مني أية هبة بعد وفاتي.. لقد اتبعت معها طريقة مشابهة لطريقتي مع "جاكسون" وإن كانت تختلف عنها في بعض التفاصيل، إذ إنني اتفقت معها على أن يزيد مرتبها الذي بدأت به بمقدار الربع سنويًا طيلة حياتي.. إن مبدئي في الحياة ألا أثق ثقة كاملة بأي إنسان مهما كانت درجة إخلاصه وأمانته، وهذا هو السبب الذي جعلني أوضح لها كما ذكرت ألا تتوقع مني أية هبة بعد وفاتي، أما قبل ذلك فكل سنة تضاف إلى عمري تزيد مرتبها بمقدار الربع. وعلى ذلك فإذا هي ادخرت هذه الزيادة السنوية، فإنها تستطيع بعد بضع سنوات أن تجد لديها مبلغًا لا باس به، وأعتقد أن هذا هو ماتفعله. وفضلاً على ذلك فقد تعهدت لها بتغطية جميع المصروفات المدرسية الخاصة بابنتها، ورصدت لها مبلغًا لا باس به تحصل عليه بمجرد إتمام دراستها. ومن ذلك ترين أن السيدة "استر والترز" يجب أن تكون قانعة راضية بحياتها، وأن تعلم أن وفاتي تسبب لها خسارة مالية كبيرة... وهي من التعقل بحيث تدرك ذلك تمامًا.

– أعتقد أنها هي و"جاكسون" متفاهمان؟ ألقى السيد "رافييل" نظرة متفحصة على الآنسة "ماربل"، ثم أجاب:

– لا يفوتك شيء، هيه! أجل، أظن أن "جاكسون" يحاول إلقاء شباكه حولها.. إنه شاب وسيم ولكنني أعتقد أنه لم يحقق نجاحًا في محاولته بعد. وعلى الرغم من الفارق الاجتماعي بينهما، إذ إن "استر" تعتبر من طبقة أعلى من طبقته فقد كانت أمها مدرسة وأبوها موظفًا في مصرف، إلا أنني لا أظن أن ذلك مما يؤثر في علاقتهما.. إني واثق بأن كل ما تفكر فيه "استر" الآن هو أن تتأكد من أن "جاكسون" لا يسعى وراء مدخراتها. وهنا همست له الآنسة "ماربل":

– صه... إنها قادمة. التفت كلاهما نحو "استر والترز" التي كانت تتقدم نحوهما من اتجاه الفندق، ثم قال السيد "رافييل":

– إنها فتاة جميلة حقًّا! ومع ذلك فهي تفتقر إلى ما يبرز هذا الجمال ويجعله مشعًا، ولا أستطيع أن أدرك السبب في ذلك. ندت عن الآنسة "ماربل" زفرة عميقة تحسرًا على ما فاتها. إن هذا الشيء الذي تفتقر إليه "استر" والذي أشار إليه

السيد "**رافييل**" كانوا يطلقون عليه أسماء خاصة في تلك الأيام الخوالي عندما كانت الآنسة "**ماربل**" لا تزال شابة.. كانوا يطلقون عليه اسم الجاذبية الجنسية، أو كانوا يقولون إن تلك الفتاة لها قوام رائع وابتسامة خلابة ولكنها تفتقر إلى ذلك الشيء الذي يدير رؤوس الرجال. لم يطل بها التفكير في هذا الاتجاه وبادرت إلى استئناف الحديث فيما كانا يتحدثان فيه فقالت:

– يجدر بها أن تتزوج ثانية.

– هذا صحيح... إنها كفيلة بإسعاد أي رجل يواتيه الحظ بالزواج بها. وهنا كانت "**استر والترز**" قد وصلت إلى حيث يجلسان فبادرها السيد "**رافييل**" بصوت حاول إكسابه رنة من التكلف:

– هأنت أخيراً! ما الذي أخرك كل هذا الوقت؟ فأجابت "**استر**":

– يبدو أن الجميع اليوم يرسلون برقيات.. كان مكتب تلقي البرقيات مزدحماً، فضلاً على نشاط حركة الاستعداد لمبارحة الفندق.

– إذن فهم يحاولون مغادرة الفندق؟ أذلك نتيجة للجريمة التي وقعت هنا؟

– أعتقد ذلك... إن "**تيم**" المسكين في حالة يرثى لها.

– له كل العذر في ذلك.. إنها مأساة حلت بهذين الشابين.

– فعلاً.. وأعتقد أنها كانت مجازفة عظيمة منهما أن يشتريا هذا الفندق.. لقد كان القلق لا يفارقهما نحو إنجاح المشروع، وما إن بدآ يستقران حتى وقعت هذه المأساة. فأمن السيد "**رافييل**" على كلامها وأردف قائلاً:

– إن "**تيم**" شاب كفء ومجتهد كما أن زوجته فتاة لطيفة وجميلة أيضاً.. لقد بذل كلاهما مجهوداً جباراً. توقف السيد "**رافييل**" لحظة وعندما لم يلق تعليقاً استطرد قائلاً:

– لقد كنا نناقش موضوع الجريمة التي وقعت هنا. بدت الدهشة على وجه "**استر**" والتفتت نحو الآنسة "**ماربل**" كأنها لا تصدق ما سمعت في حين قال السيد "**رافييل**" بصراحته المعهودة:

– لقد كنت مخطئاً في نظرتي إلى الآنسة "**ماربل**".. إنها لا تمت بصلة ما إلى أولئك العجائز اللاتي يشبهنها ويقضين معظم الوقت في غزل الصوف والثرثرة، إن الآنسة "**ماربل**" تتميز عن الأخريات بعينين وأذنين تجيد استخدامها. بدت نظرة

اعتذار في عيني السيدة "والترز" وهي تنظر إلى الآنسة "ماربل"، ولكن هذه الأخيرة لم يبد عليها أنها استاءت من ملاحظات السيد "رافييل"، في حين قالت السيدة "والترز" بلهجة اعتذار:

– أنا واثقة بأن السيد "رافييل" يقصد أن يمتدحك. فأجابت الآنسة "ماربل":

– أجل، أعني أعرف ذلك. كما أني أعرف أن السيد "رافييل" رجل متميز، أو هو يظن ذلك. فسألها السيد "رافييل" بحدة:

– ماذا تعنين بقولك إني متميز؟

– أعني أنك تظن أن باستطاعتك أن تكون فظًا متى شئت.

– هل كنت فظًا معك؟ إني لآسف إذا كنت قد أسأت إليك.

– إنك لم تسئ إليّ، ومهما يكن من أمر فإني واسعة المغفرة.

– كفاك عناد.. "استر"، هيًا أحضري مقعداً واشتركي معنا، فقد تستطيعين المساعدة. جذبت "استر" أحد المقاعد القريبة وبعد أن جلست قال السيد "رافييل":

– لنستأنف مشاوراتنا... لقد بدأنا بالعقيد "بالجريف" العجوز وقصصه التي لم يكن لها نهاية. فقالت "استر":

– ويا لها من قصص! لقد كنت أهرب من سماعها كلما استطعت ذلك.

– ولكن السيدة "ماربل" كانت أكثر منك احتمالاً.. أخبريني يا "استر"، هل سبق أن روى لك "العقيد" قصة تتعلق بقاتل؟

– أجل، وأكثر من مرة.

– وما القصة؟ دعينا نختبر قوة ذاكرتك.

– الواقع أنني لم أكن لأصغي إليه بانتباه... إنها كانت تشبه تلك القصة التي كان يدأب على ترديدها عن الأسد الذي اصطاده في "روديسيا".. كان يكررها مراراً وتكراراً... والنتيجة أننا نتعود عدم الإصغاء إليه بالانتباه الكافي.

– لا بأس، أخبرينا بما تذكرينه منها.

– أظن أنها كانت بمناسبة ما نشرته الصحف عن إحدى جرائم القتل، فقد علق عليها "العقيد" بقوله إنه مر بتجربة يندر أن يمر بها الآخرون، فقد التقى بمجرم قاتل وجهًا لوجه. فصاح السيد "رافييل":

– التقى به؟ هل ذكر لك هذه العبارة بالذات؟ بدا التردد على السيدة "والترز" وهي تقول:

– أظن ذلك. أو لعله قال: "باستطاعتي أن أريك قاتلاً".

– حسناً، أي العبارتين حق؟ هناك فرق واضح بينهما كما ترين.

– الواقع لا أستطيع الجزم. أظن أنه قال إن باستطاعته أن يطلعني على صورة شخص ما.

– هذا أفضل... استمري.

– ثم أخذ يتحدث عن "**لوكريشيا بورجيا**".

– دعينا منها... كلنا نعرف قصتها.

– لقد تحدث عن القتلة الذين يستخدمون السم وقال إن "**لوكريشيا بورجيا**" كانت امرأة جميلة وكان لها شعر أحمر، ثم قال إنه من المحتمل أن يكون في هذا العالم من النساء القاتلات أكثر مما يستطيع أي إنسان أن يخمن.

– أخشى أن يكون ذلك محتملاً جداً.

– ثم تحدث عن السم باعتباره سلاح المرأة المفضل.

– الظاهر أنه كان يتخبط في حديثه.

– كان من عادته أن يغفل ذلك عندما يشرع في رواية قصصه؛ لذلك فإن المستمع إليه كان كفيلاً بأن يتوقف عن الإصغاء ويكتفي بترديد بعض العبارات على سبيل المجاملة مثل "أجل"، "أحقًّا؟"، "هل أنت جاد؟" وما شابه ذلك.

– وماذا بشأن تلك الصورة التي كان يعرض إطلاعك عليها؟

– لا أذكر تماماً... ربما كانت صورة رآها في إحدى الصحف.

– ألم يطلعك على صورة فوتوغرافية كانت معه؟

– صورة فوتوغرافية؟ كلا. أنا واثقة بذلك، ولكنه قال إنها كانت امرأة جميلة وإنه لا يمكن أن يخطر ببالي إذا رأيتها أنها يمكن أن تكون قاتلة.

– إذن فقد كانت امرأة؟ فصاحت الآنسة "**ماربل**":

– هل سمعت؟ إن كل شيء يبدو مشوشاً. فقال السيد "**رافييل**" موجهاً كلامه إلى "**استر**":

– هل كان يتحدث عن امرأة؟

– أجل.

– والصورة، هل كانت صورة امرأة؟

– أجل.

– هذا مستحيل. فقالت "استر" بإصرار:

– أبداً.. لقد قال: "إنها هنا في هذه الجزيرة.. سوف أمكنك من رؤيتها، ثم أقص عليك قصتها بالكامل". أخذ السيد "رافييل" يصف العقيد "بالجريف" بما يستحقه، ثم قال:

– هل يوصلنا ذلك إلى نتيجة؟! إن الخرف العجوز يبدأ برواية قصص مغامراته في غابات "إفريقيا" مع الخنازير والنمور والفيلة، وقد تكون أجزاء من تلك القصص مطابقة للواقع ولكن لا شك في أن الجزء الأكبر منها ليس إلا من وحي الخيال، أو أنها مغامرات حقيقية ولكن أبطالها أشخاص آخرون، ثم ينتقل من ذلك إلى موضوع جرائم القتل ويروي قصة ثم يصلها بأخرى. والأدهى من ذلك أنه يرويها كلها كما لو أنها حدثت له شخصيًا وأنا أراهن على أن معظمها مستقى من تحقيقات الصحف أو حلقات التلفزيون. توقف السيد "رافييل" قليلاً، ثم التفت نحو "استر" وقال:

– إنك تقرين بأنك لم تكوني مصغية إليه، الا يحتمل إذن أنك قد أسأت فهم ما كان يقوله؟

– بل أنا متأكدة من أنه كان يتحدث عن امرأة؛ لأن الفضول تملكني لمعرفة من تكون. فسألتها الآنسة "ماربل":

– ومن تظنينها؟ احمر وجه السيدة "والترز" وبدا عليها الارتباك، ثم قالت:

– أوه... الواقع أنني... أقصد أنني لا أحب أن... لم تستكمل "استر" عبارتها في حين لم تحاول الآنسة "ماربل" أن تلح عليها إذ كانت تعلم أن وجود السيد "رافييل" معهما سيقف حجر عثرة في سبيل محاولتها التوصل إلى حقيقة ما استنتجته السيدة "والترز"؛ ولذا فقد رأت أنه من الأفضل أن تؤجل هذه المحاولة إلى الفرصة التي تستطيع فيها أن تنفرد بـ "استر". ومن جهة أخرى فلا يجب أن تستبعد احتمال أن تكون السيدة "والترز" كاذبة، وإن كانت لا تستطيع بالتأكيد أن تصرح أمامها بمثل هذا الاحتمال، وقد فضلت أن تحتفظ به لنفسها ولاسيما أنها لم تكن تميل إلى الاعتقاد بصحته، فهي من جهة لا تظن أن السيدة "والترز" ممن يلجأن إلى الكذب، ومن جهة أخرى فهي لا ترى موجبًا لها للكذب في هذه

الحالة. وهنا تحول السيد "**رافييل**" بالهجوم إلى الآنسة "**ماربل**" فقال:

– ولكنك قلت إنه كان يتحدث إليك عن قاتل وذكر أن معه صورة له وأنه كان على وشك أن يطلعك عليها.

– أجل، هذا هو ما ظننته.

– ظننته؟! لقد كنت تبدين واثقة كل الثقة! فأجابته الآنسة "**ماربل**" بحماس:

– ليس من السهل مطلقًا تكراري حديث بحرفيته.. إن المستمع في هذه الحالة كثيرًا ما يقفز قفزًا إلى النتائج التي يظن أنها كانت بيت القصيد من الحديث، وبمضي الوقت تتحول هذه التخمينات إلى ألفاظ يصر المستمع على أنها قيلت له فعلاً. إن العقيد "**بالجريف**" روى لي القصة وذكر أن الرجل الذي رواها له، وهو طبيب، قد أطلعه على صورة فوتوغرافية. ولكن لكي ألتزم جانب الأمانة يجب أن أعترف بأن ما قاله لي "**العقيد**" حرفيًا هو: "هل تحبين أن تشاهدي صورة قاتل؟". وبالتأكيد فقد افترضت أنها لنفس الشخص الذي كان يتحدث عنه. ولكن يجب أن أقرر الآن أنه من المحتمل – مجرد احتمال، ولكنه احتمال على كل حال – أنه لسبب أو آخر انتقل بتفكيره من الصورة التي رآها فيما مضى، تلك التي أطلعه عليها الطبيب، إلى صورة أخرى كان يحملها وهي صورة لشخص ما في هذه الجزيرة كان "**العقيد**" يعتقد أنه أو أنها قاتلة. فصاح السيد "**رافييل**" متحديًا:

– يا للنساء! إنكن جميعًا سواء.. لا يستطيع الإنسان أن يحصل منكن على نتيجة حاسمة.. إنكن لا تستطعن التأكد من حقيقة أي شيء. وهنا أخذ السيد "**رافييل**" يلوح بيده بيأس واستطرد قائلاً:

– والآن إلى أين وصلنا؟ هل هي "**إيفيلين هيلنجدون**" أم هي "**لاكي**" زوجة "**جريج**"؟ وهنا تناهى إلى سمع المجتمعين صوت سعال خفيف وإذا بـ "**آرثر جاكسون**" يقف إلى جوار السيد "**رافييل**". لم يحدث قدومه أي صوت لدرجة أن أحدًا من الثلاثة لم ينتبه له إلا بعد أن سعل معلنا وصوله. قال "**جاكسون**":

– لقد حان موعد جلسة التدليك يا سيد "**رافييل**". ثار السيد "**رافييل**" وبدا عليه الانفعال الشديد وهو يصيح:

– ماذا تعني بحق الشيطان بتلصصك هكذا وإفزاعي؟ لم أسمعك قادمًا.

– إني آسف يا سيدي.

– لا أعتقد أني أرغب في التدليك اليوم.. إنني لا أجد منه أية فائدة. فأجاب "**جاكسون**" وهو يبتسم:

– لا يجب أن تقول ذلك يا سيدي.. إنك لن تشعر بمدى فائدة التدليك إلا إذا توقفت عن عمله. قال ذلك وهو يدير مقعد مخدومه دون انتظار لموافقته وأخذ يدفعه أمامه نحو الكبينة. أما الآنسة "**ماربل**" فقد نهضت من مقعدها وابتسمت للسيدة "**والترز**" محيية واتجهت نحو الشاطئ.

الفصل الثامن عشر

كان الشاطئ في هذا الصباح يكاد يخلو من رواده... كان "**جريج**" يلهو في الماء بطريقته الصاخبة، في حين كانت "**لاكي**" مستلقية على وجهها فوق الرمال وظهرها الذي لفحته الشمس يلمع بما يكسوه من دهون وشعرها الذهبي ينسدل على كتفيها. أما العقيد "**هيلنجدون**" وزوجته فلم يكونا هناك، وكانت السنيورا "**دي كاسبيرو**" مستلقية على ظهرها تحيط بها المجموعة المعتادة من المعجبين وهي تتكلم بصوت ممتلئ عميق بلهجتها الإسبانية المرحة. كما كانت هناك مجموعة من الأطفال ما بين فرنسيين وإيطاليين يتضاحكون ويمرحون على حافة الماء. وكان القس وشقيقته يجلسان في مقعدين من مقاعد الشاطئ يتأملان المناظر حولهما، وإن كان القس قد أمال قبعته فوق عينيه حتى ليخيل إلى الناظر إليه أنه مستغرق في النوم، وإلى جوار شقيقته وجدت الآنسة "**ماربل**" مقعداً خالياً فجلست فيه وهي تلقي بتحية الصباح، وتقول:

– ما أعجب تصاريف القدر! فأجابتها الآنسة "**بريسكوت**":

– أجل هذا صحيح. كانت كل منهما تشير إلى الجريمة البشعة التي وقعت في اليوم السابق وواصلت الآنسة "**ماربل**" الحديث قائلة:

– يا لها من فتاة مسكينة! فعلق القس على ذلك بقوله:

– إنه لحادث مؤسف للغاية.

– لقد خطر لنا، أنا و"**كانون**"، أن نغادر المكان ولكننا عدلنا عن تنفيذ هذه الفكرة، فإننا لو فعلنا لكان ذلك مجحفاً بالزوجين الشابين "**كيندال**". والحقيقة أنه

لا ذنب لهما فيما حدث، فهو مما يمكن حدوثه في أي مكان. فعاد "**كانون**" للتعليق قائلاً:

– إن الموت يحيط بنا في خضم الحياة. واستطردت شقيقته:

– أعتقد انه من المهم جداً لهما ان ينجح هذا المشروع. لقد استثمرا فيه كل مايملكان. فقالت الآنسة "**ماربل**":

– إن "**موللي**" فتاة لطيفة جداً ولكنها في الآونة الأخيرة لم تكن لتبدو في خير حالاتها.

– فعلاً. لقد لاحظنا جميعًا أن أعصابها كانت متوترة. وبالتأكيد فإن أسرتها.. فقاطعها شقيقها معاتبًا:

– أظن يا "**جوان**" أن هناك بعض الأسرار التي... ولكن الآنسة "**بريسكوت**" قاطعته هي الأخرى وأردفت:

– إنها ليست أسرارًا، فالجميع يعلمونها.. إن أسرتها تعيش قريبًا من بلدتنا... كان لها عمة اتسمت بتصرفاتها الشاذة كما حدث أن أحد أعمامها خلع جميع ملابسه في إحدى محطات المترو، وأظنها كانت محطة "**جرين بارك**". عاد "**كانون**" لمقاطعة شقيقته، وقال:

– "**جوان**" إن مثل هذا الكلام لا يجب أن يقال. فتدخلت الآنسة "**ماربل**" في الحديث وقالت وهي تهز رأسها:

– إنه شيء يدعو إلى الأسف، وإن كنت أعتقد أن مثل هذه الحالة ليست من مظاهر الجنون النادرة الحدوث... إنني أذكر عندما كنت أعمل مع جيش الخلاص أن قسيسًا محترمًا كبير السن أصيب بهذا النوع من الخبال، وقد اتصلوا بزوجته تليفونيا فهرعت إلى مكان الحادث وأسرعت باصطحاب زوجها في إحدى العربات إلى منزلهما بعد أن كان الجمهور قد ستره ببطانية. فقالت الآنسة "**بريسكوت**":

– ولكن أفراد أسرة "**موللي**" الأقربين ليس بهم ما يعيبهم، وإن كانت "**موللي**" على غير وفاق مع أمها. وعلى كل حال فإنه من النادر أن تتفق فتيات اليوم مع أمهاتهن.

– إن مما يدعو إلى الأسف؛ لأن أية فتاة في الواقع لا يمكنها أن تستغني عن نصائح أمها وخبرتها.

– تمامًا. لقد كانت "موللي" على علاقة بشاب، يقال إنه لم يكن جديراً بها.

– إن ذلك يحدث كثيرا.

– وبالتأكيد فإن أسرتها لم توافق على هذه العلاقة. وعلى الرغم من أن "موللي" كانت تخفيها عنهم إلا أنهم علموا بها من الآخرين، فكان طبيعيًا أن تطلب منها أمها أن تدعو الشاب إلى المنزل لتتعرف إليه، وهو الإجراء المحترم في مثل هذه الأحوال. وقد علمت أن الفتاة رفضت هذا الطلب وقالت إن ذلك يعتبر تحقيراً للشاب فهو ليس جواداً يتطلب الأمر فحصه قبل شرائه. أطلقت الآنسة "ماربل" زفرة خفيفة، وقالت:

– إن الآباء يلزمهم قدر كبير من اللباقة في معاملة أبنائهم.

– على كل حال لقد توقفت تلك العلاقة بعد أن أصرت الأم على منعها من مقابلته.

– ولكنك لا تستطيعين أن تفعلي ذلك في هذه الأيام.. إن الفتيات يعملن وبإمكانهن مقابلة الرجال كما يحلو لهن سواء منعن من ذلك أو لم يمنعن.

– غير أنه لحسن الحظ أنها التقت بـ "تيم كيندال"، وبذلك أسدل الستار على علاقتها بالشاب الآخر، ولا أستطيع أن أعبر لك عن مدى الارتياح الذي شعرت به الأسرة لهذا التحول.

– آمل ألا يكونوا قد بالغوا في إظهار هذا الارتياح؛ لأن ذلك كفيل بأن يجعل الفتاة تحيد عن الصواب في اختيار شريك حياتها.

– الحق معك. فغمغمت الآنسة "ماربل":

– إن ذلك ليذكر المرء بأيام شبابه. ثم أخذت تستعيد إلى ذاكرتها ما حدث لها في شبابها: كانت قد التقت بشاب في إحدى مباريات الكروكية، وكان يبدو عليه أنه لطيف ومرح وأقرب إلى البوهيمية في آرائه، وفجأة رحب به والدها ترحيباً بالغًا ولم يتردد في إبداء رأيه فيه، فقد اعتبره لائقًا كل اللياقة ليكون زوجًا لابنته، وتكررت دعوة الشاب إلى منزل الأسرة عدة مرات إلى أن اكتشفت الآنسة "ماربل" أخيراً أنه كان ثقيل الظل إلى درجة لا تطاق. لاحظت الآنسة "ماربل" أن الشقيقين ظلا صامتين فقررت أن تستدرجهما برفق إلى الموضوع المهم الذي كان يشغل تفكيرها، وقالت:

– أعتقد أنكما تعرفان هذا المكان خير المعرفة.. إنكما تأتيان إلى هنا منذ عدة سنوات، أليس كذلك؟

– الواقع أننا كنا هنا في العام الماضي، ومرة أخرى قبل ذلك بسنتين. إننا نحب "**سانت أونوريه**" كثيراً لاسيما ونحن نقابل هنا قوما ظرفاء، لا من أولئك الأثرياء المتعجرفين.

– وعلى ذلك فانتما تعرفان الزوجين "**هيلنجدون**"، و"**دايسون**" معرفة جيدة؟

– أجل. سعلت الآنسة "**ماربل**" ثم خفضت صوتها، وقالت:

– كان العقيد "**بالجريف**" قد قص عليٌ قصة غريبة..

– لا غرابة في ذلك، فقد كان لديه مجموعة من القصص الغريبة، وهو على كل حال كان يسافر كثيراً فقد ذهب إلى "**إفريقيا**" و"**الهند**"، بل أعتقد أنه زار "**الصين**" أيضًا.

– أحقًا؟ ولكني لم أكن لأقصد قصص المغامرات.. كانت القصة التي رواها لي تتعلق بأحد الأسماء التي ذكرتها الآن. لم تزد الآنسة "**بريسكوت**" على أن قالت:

– أوه! وكأنها بذلك تريد أن توحي إلى الآنسة "**ماربل**" بأنها قد فهمت ما ترمي إليه، أما الآنسة "**ماربل**" فقد تعمدت أن تتجه ببصرها على طول الشاطئ إلى حيث كانت "**لاكي**" ترقد على الرمال معرضة ظهرها لأشعة الشمس، ثم قالت:

– لقد اكتسبت سمرة جميلة، ألا ترين ذلك؟ وشعرها! إنه جميل ولو أنه لا يكاد يفترق عن لون شعر السيدة "**كيندال**".

– ولكن هناك فرقًا واحداً بينهما، إن شعر "**مولل**ي" لونه طبيعي أما شعر "**لاكي**" فناتج من الصباغة. عاد القس يعترض على كلام شقيقته قائلاً:

– حقًا يا "**جوان**".. ألا ترين أنه لا يليق بك التحدث عن الناس في غيبتهم؟ فأجابت الآنسة "**بريسكوت**" بحدة:

– إنني لم أعاقب أحداً... إنني أقرر حقيقة. فقال القس:

–إن شعرها يبدو لي جميلاً.

– بالتأكيد، وهذا هو السبب في أنها تصبغه، ولكن ثق يا عزيزي بأنه لا يمكن أن يخدع امرأة أخرى، أليس كذلك يا آنسة "**ماربل**"؟ فأجابت الآنسة "**ماربل**" بتردد:

– الواقع أنني أخشى... أقصد أنه لم يتوافر لي مثل ما لديك من الخبرة، ولكنني أستطيع أن أجزم بأن لونه ليس طبيعيًا. إنك تستطيعين إدراك ذلك عندما تدققين النظر إلى منابت الشعر.. إن لونها يتغير كل بضعة أيام... تلاقت نظرات المرأتين وهزت كل منهما رأسها دلالة على التفاهم التام بينهما، أما القس فبدا كأنه عاد إلى استغراقه، فواصلت الآنسة "**ماربل**" محاولتها، وقالت:

– إن العقيد "**باجريف**" روى لي قصة عجيبة لم أستطع في الواقع أن أحدد شخصياتها... إن سمعي يخونني في بعض الأحيان، والظاهر أنه كان يحاول أن يلمح إلى.. توقفت الآنسة "**ماربل**" بخبث ولم تستكمل عبارتها، فقالت الآنسة "**بريسكوت**":

– إني أدرك قصدك... لقد كثر اللغط حول هذا الحادث في حينه.

– أتعنين عندما...

– ... عندما توفيت السيدة "**دايسون**" زوجته الأولى... لقد كانت وفاتها غير متوقعة مطلقًا، والواقع أن الجميع كانوا يؤكدون أنها ليست مريضة إلا بالوهم؛ ولذلك فعندما أصابتها النوبة وماتت هكذا فجأة، أخذ الناس يتكلمون.

– أعتقد أنه لم تنشأ عن ذلك أية متاعب في ذلك الوقت؟

– كان الطبيب يشعر بالحيرة. كان شابًا حديث العهد بمهنة الطب، ولم يكن قد اكتسب الخبرة الكافية التي تساعده على البت في الأمور بحزم، وأستطيع القول إنه كان من ذلك الطراز من الأطباء الذين يكتفون بنظرة سطحية إلى المريض دون أن يساورهم القلق نحو حقيقة ما يشكو منه، ثم يكتفون بوصف بعض الأقراص وإذا لم يتحسن المريض وصفوا له أقراصًا أخرى، وربما شرابًا. أجل... أعتقد أن الطبيب الذي فحصها كان يشعر بالحيرة، ولكن الظاهر أنها كانت تتعرض لبعض النوبات المعوية من قبل، أو على الأقل كان ذلك هو ما قرره زوجها؛ ولذا لم يكن هناك مايدعو إلى الشك في حقيقة النوبة التي قضت عليها.

– ولكنك أنت شخصيًا تظنين..

– الحقيقة أنني أحاول دائمًا ألا أتشبث بفكرة ثابتة، وإن كان ذلك لا يمنع الإنسان من الشعور بالعجب، أضيفي إلى ذلك ما كان يثرثر فيه بعض الناس... ومرة أخرى صاح شقيقها وقد اعتدل في جلسته وبدا عليه التحفز:

– "**جوان**" ! إني لا أحب أن أسمع هذه الثرثرة تتكرر أمامي.. إننا كنا دائماً نغلق آذاننا عن الاستماع إليها، فنحن لا نريد أن نسمع شرًّا أو نرى شرًّا أو نتكلم بالشر، والأهم من ذلك ألا نفكر في الشر. هذا هو ما يجب على كل مسيحي ومسيحية.

ران الصمت على الجميع بعد أن انتهى القس "**بريسكوت**" من إلقاء موعظته... وتقبلت المرأتان التأنيب بصدر رحب وحالت تربيتهما المحافظة دون الاحتجاج على "الرجل". غير أن ذلك لم يمنعهما من الشعور في قرارة نفسيهما بالضيق والحنق، وقد ألقت الآنسة "**بريسكوت**" على أخيها نظرة مليئة بالغيظ في حين تناولت الآنسة "**ماربل**" حقيبة غزلها وهمت بإخراج خيوط الصوف منها. غير أن الحظ كان حليف المرأتين، إذ إنه في تلك اللحظة تناهى إلى أسماعهما صوت صغير يصيح بالفرنسية:

– أبي!! كانت طفلة من مجموعة الأطفال الفرنسيين الذين كانوا يلعبون على حافة الماء وقد اقتربت منهم دون أن يلحظوها، ووقفت إلى جوار القس وكررت نداءها:

– أبي. انتبه القس لصوت الطفلة فأزاح حافة قبعته، ونظر إليها بحنان وابتسم وهو يقول لها بالفرنسية:

– نعم يا عزيزتي؟ ماذا حدث يا صغيرتي؟ فأخذت الطفلة تشرح له تفاصيل المشكلة التي واجهتها هي وزملاءها حيث اختلفوا فيمن هو أحق منهم باستخدام العوامة التي كانوا يلعبون بها... كان "**بريسكوت**" شغوفًا بالأطفال ولاسيما الفتيات منهم، وكان يشعر دائمًا بالسرور عندما يدعونه لفض مشاكلهم؛ لذلك لم يتردد وقام فورًا آخذا بيد الصغيرة واتجها نحو باقي المجموعة، أما الآنسة "**بريسكوت**" والآنسة "**ماربل**" فقد تنفستا الصعداء ونظرت كل منهما إلى الأخرى نظرة ارتياح. قالت الآنسة "**بريسكوت**":

– إن "**كانون**" محق في اعتراضه على الثرثرة، ولكن إذا أردت الحقيقة فإن الإنسان لا يستطيع أن يتجاهل ما يتحدث عنه الناس، وكما ذكرت لك فقد كان البعض يثرثرون في ذلك الوقت. فأجابتها الآنسة "**ماربل**" وهي تستحثها على الاستمرار:

– أحقًّا؟

- إن هذه الشابة، وأظنها كانت تدعى الآنسة "**جريتوركس**"، وإن كنت الآن لا أتذكر تمامًا، أريد أن أقول إن هذه الشابة كانت تمت بصلة قرابة للسيدة "**دايسون**" الأولى، ابنة عم أو شيء من هذا القبيل، وكانت تُعنى بها وتشرف على تمريضها. توقفت الآنسة "**بريسكوت**" لحظة وبدا كأنها تتردد في تكملة حديثها، غير أنها عندما وجدت أن الآنسة "**ماربل**" لزمت الصمت وقد اشرأبت بعنقها في انتظار سماع باقي القصة، أردفت قائلة:

- وبالتأكيد نشأت بين السيد "**دايسون**" وتلك الفتاة، الآنسة "**جريتوركس**"، علاقة وثيقة لدرجة أن كثيرين من جيرانهم لاحظوا ذلك، وأنت تدركين بالتأكيد أن مثل هذه الأشياء من السهل ملاحظتها، ولاسيما في مثل ذلك المكان. ثم كانت تلك القصة الغريبة عن بعض العقاقير التي قام "**إدوارد هيلنجدون**" بشرائها لها من الصيدلي.

- أوه، إذن فإن "**إدوارد هيلنجدون**" متورط في الموضوع؟

- أجل.. كان شغوفًا جدًا بالآنسة "**جريتوركس**" وكان الجميع يلاحظون ذلك. أما "**لاكي**" - أقصد الآنسة "**جريتوركس**" - فقد استغلت هذا الموقف لتصارع الرجلين أحدهما بالآخر، "**جريجوري دايسون**" و"**إدوارد هيلنجدون**"، كانت "**لاكي**" دائمًا ذات جاذبية جنسية لا تقاوم.

- ولكنها الآن تقدمت في السن...

- تمامًا.. ولكنها كانت دائمًا شديدة العناية بمظهرها، وإن لم يكن ذلك يبدو واضحًا عندما كانت لا تزال القريبة الفقيرة للسيدة "**دايسون**".. كانت في ذلك الوقت تبدو شديدة الإخلاص لقريبتها المريضة والتفاني في العناية بها.

- ولكن ماذا بخصوص تلك القصة عن الصيدلي، كيف عرف الناس بها؟

- لم يكن ذلك في "**جيمس تاون**" وأظن أنه حدث عندما كانوا في جزيرة "**المارتينيك**"... إن الفرنسيين كما تعلمين أقل تشددًا منا نحن الإنجليز فيما يتعلق بالعقاقير، ويغلب على الظن أن ذلك الصيدلي تحدث عن الواقعة لشخص ما وسرعان ما ذاعت القصة... إنك تدركين كيف تحدث مثل هذه الأشياء. هزت الآنسة "**ماربل**" رأسها موافقة في حين تابعت الآنسة "**بريسكوت**" قائلة:

- ذكر الصيدلي أن العقيد "**هيلنجدون**" جاءه يطلب عقارًا، وكان يبدو عليه

انه لا يعرف تمامًا حقيقة ما يريده، فقد أخرج من جيبه قصاصة وقرأ منها اسم العقار. وعلى كل حال فكما ذكرت لك، أخذ الناس يثرثرون. قطبت الآنسة "**ماربل**" ما بين حاجبيها وغمغمت بصوت منخفض كأنها تحدث نفسها:

– ولكنني لا أستطيع أن أفهم تمامًا لماذا يقدم العقيد "**هيلنجدون**" على...

– ... أعتقد أنه لم يكن أكثر من رسول أو إذا شئت مخلب قط. ومهما يكن من أمر فإن "**جريجوري دايسون**" تزوج ثانية ولم يكن قد مضى على وفاة زوجته الأولى أكثر من شهر واحد على ما سمعت. نظرت المرأتان كل منهما إلى الأخرى في حين سألت الآنسة "**ماربل**":

– ألم يثر ذلك أي شك، أقصد شكًا حقيقيًا؟

– أوه، كلا... لم يتعد الأمر مجرد الكلام، وبالتأكيد فلا يستبعد أن يكون في الأمر شيء.

– ولكن العقيد "**بالجريف**" كان يظن عكس ذلك.

– هل قال لك ذلك؟

– الواقع أنني لم أكن مصغية إليه بانتباه... إن ما يثير فضولي هو ما إذا كان قد ذكر لك الشيء نفسه.

– لقد أشار إليها ذات مرة..

– أجل.. والواقع أنني ظننت في مبدإ الأمر أنه كان يشير إلى السيدة "**هيلنجدون**"، فقد كان يضحك بمرح ويقول: "انظري إلى تلك المرأة هناك، إنها في رأيي امرأة ارتكبت جريمة قتل ولم تحاكم عليها..". وأصدقك القول لقد صدمت، وكان طبيعيًا أن أجيبه: "لابد من أنك تمزح يا سيادة "**العقيد**". فقال: "أجل، أجل، يا سيدتي العزيزة. دعينا نعتبر الأمر كله مزاحًا...". كان الزوجان "**هيلنجدون**" والزوجان "**دايسون**" في ذلك الوقت يجلسون إلى مائدة قريبة منا وقد خشيت أن يصل صوت حديثنا إلى مسامعهم إلا أن "**العقيد**" واصل مزاحه وقال: "ما كنت لأقبل دعوة إلى حفلة "كوكتيل" إذا كان هناك شخص معين هو الذي يعد لنا الشراب. إنها في هذه الحالة لا تختلف عن حفلة عشاء آل "**بورجيا**"".

– يا له من موضوع شائق! هل ذكر لك شيئًا عن صورة فوتوغرافية؟

– لا أذكر أنه فعل ذلك.. هل كانت الصورة منشورة في صحيفة؟ كانت الآنسة "**ماربل**" على وشك أن تجيبها، ولكنها تداركت بعد أن لاحظت ظلا يحجب عنها ضوء الشمس، فالتفتت نحو مصدره وشاهدت "**إيفيلين هيلنجدون**" تقف إلى جوارهما، وتقول:

– أسعدتما صباحًا. فأجابت الآنسة "**بريسكوت**":

– لقد كنت أتساءل أين كنت.

– ذهبت إلى "**جيمس تاون**" لشراء بعض الحاجات. أخذت الآنسة "**بريسكوت**" تدير بصرها فيما حولها كأنها تبحث عن شخص ما، وفطنت السيدة "**هيلنجدون**" إلى من تبحث عنه فقالت:

– أوه، إن "**إدوارد**" لم يات معي.. إن الرجال يكرهون هذه المهمة.

– هل أعجبك شيء في حوانيت القرية؟

– لم أذهب لزيارة الحوانيت، بل كنت أقصد الصيدلي. قالت ذلك وهي تبتسم، ثم حيتهما وواصلت سيرها نحو الشاطئ، في حين ظلت الآنسة "**بريسكوت**" تتبعها بنظرها وهي تقول:

– إنهما زوجان لطيفان، وإن كان من الصعب أن تعرفي "**إيفيلين**"، ألا ترين ذلك، أقصد أنها دائمًا لطيفة ولكن يصعب على الإنسان أن يدرك حقيقة ماتبطن. وافقتها الآنسة "**ماربل**" على رأيها بهز الرأس وهي تفكر، في حين أردفت الآنسة "**بريسكوت**":

– لا يمكن لأحد أن يعرف فيما تفكر.

– قد يكون ذلك أفضل للجميع.

– ماذا تقولين؟

– أوه، لا شيء في الواقع.. إني أقصد أن أفكارها قد تكون باعثة على القلق.

بدت الحيرة على وجه الآنسة "**بريسكوت**"، وقالت مترددة:

– أظن أنني أدرك ما تعنين... إن "**العقيد**" وزوجته يملكان بيتًا جميلاً في "**هامبشاير**" ولهما ابن، بل لعلهما ولدان يتلقيان دراستهما في "**وينشيشتر**".

– هل تعرفين "**هامبشاير**" جيدًا؟

– كلا، لا أكاد أعرفها.. أظن أن بيتهما أقرب إلى "**آلتون**". تمهلت الآنسة "**ماربل**" قليلاً، ثم قالت:

– وأين يقطن الزوجان "**دايسون**"، أتعرفين؟

– في "**كاليفورنيا**"، أقصد عندما يعودان إلى موطنهما... إنهما يكثران من الترحال.

– إن الإنسان لا يعرف إلا القليل عن القوم الذين يلتقي بهم خلال رحلته... إن ما أعنيه أننا لا نعرف أكثر مما يحلو للغير أن يخبرونا به عن أنفسهم، فهل تعرفين مثلاً عن يقين أن "**دايسون**" وزوجته يقيمان في "**كاليفورنيا**"؟ بدت الدهشة على وجه الآنسة "**بريسكوت**" وقالت:

– أنا واثقة بأن السيد "**دايسون**" ذكر ذلك.

– تماماً، إن هذا ما كنت أرمي إليه. الشيء نفسه بالنسبة إلى "**هيلنجدون**".. أقصد أنك عندما تقولين إنهما يقطنان "**هامبشاير**" فإنك إنما ترددين ما ذكراه لك، أليس كذلك؟ تحولت دهشة الآنسة "**بريسكوت**" إلى شيء من الاستنكار، وصاحت:

– هل تعنين أنهما لا يقيمان في "**هامبشاير**"؟

– أوه، كلا، أنا لا أعني ذلك مطلقاً. لقد ذكرت لك ذلك لمجرد التدليل على قدر صحة ما نعرفه عن الآخرين. فأنا مثلاً... لقد ذكرت لك أنني أعيش في "**سانت ماري ميد**"، وهي قرية لا يمكن أن تكوني سمعت بها، فهل تستطيعين أن تقرري عن ثقة بأنني فعلاً أعيش هناك؟ لم تشأ الآنسة "**بريسكوت**" أن تعبر عن رأيها في أن القرية التي تعيش فيها الآنسة "**ماربل**" لا تهمها مطلقاً، ويكفي أن تعرف أنها في إحدى المناطق الريفية في جنوب "**إنجلترا**"، ولكنها قالت:

– إنني أدرك قصدك؛ ولذا فإن الإنسان يجب أن يكون شديد الحرص عندما يكون بعيداً عن موطنه.

– ولكنني لم أقصد ذلك. كانت هناك عدة أفكار غريبة تدور في ذهن الآنسة "**ماربل**"، وأخذت تسائل نفسها هل هي فعلاً تعرف الحقيقة؟ هل تعرف مثلاً أن "**كانون بريسكوت**" والآنسة "**بريسكوت**" هما فعلاً "**كانون بريسكوت**" وشقيقته؟ إنهما يقولان ذلك ولا يوجد أي دليل على أنهما ليسا كذلك... إنه لمن السهل أن يرتدي الرجل الياقة البيضاء والملابس المناسبة وأن يتحدث بكلمات مناسبة... إذا كان هناك دافع لذلك... كانت الآنسة "**ماربل**"

على صلة وثيقة برجال الكنيسة في المنطقة التي تعيش فيها بجنوب "**إنجلترا**"، ولكن "**بريسكوت**" هذا يقول إنه من الشمال، من "**درهام**" على ما تعتقد. وعلى كل حال فإنه لا يخالجها أي شك في حقيقة شخصيته، ومع ذلك فالنتيجة واحدة... إن الإنسان يصدق ما يقوله الآخرون عن أنفسهم... أليس إذن من الأفضل أن يكون الإنسان أكثر حرصاً في مثل هذه الأحوال، كما قالت الآنسة "**بريسكوت**"؟ أخذت الآنسة "**ماربل**" تهز رأسها وهي تستعرض هذه الأفكار.

الفصل التاسع عشر

عاد "**كانون بريسكوت**" من حافة الشاطئ وهو يكاد يلهث، إن مجاراة الأطفال في ألعابهم لأمر شاق. وقد دعاه ذلك إلى القول إن الجو أصبح حاراً فاصطحب شقيقته وعادا معاً إلى الفندق. كانت السنيورا "**دي كاسبيرو**" تراقب هذا التصرف من القس فلم يسعها وهي تراهما عائدين إلا أن تعلق عليه قائلة:

– ولكن كيف يكون الجو حاراً على الشاطئ؟ أليس هذا عجيباً؟ انظري إلى ملابسها.. إنها تغطي ذراعيها ورقبتها.. ربما كان ذلك أفضل للجميع! إن بشرتها لفظيعة، تشبه جلد الإوزة المندوفة. كانت تلك هي الفرصة الوحيدة أمام الآنسة "**ماربل**" لتتحدث إلى السنيورا "**دي كاسبيرو**" ولكنها شعرت بالحيرة... كيف تبدأ، وأي موضوع تختار، فهي لم يسبق لها أن اختلطت بـ "**السنيورا**" أو بادلتها الحديث ومع ذلك فقد جازفت وسألتها:

– هل لديك أطفال يا "**سنيورا**"؟ فأجابتها وهي تقبل أطراف أناملها:

– نعم... إن لديَّ ثلاثة من الملائكة. لم تكن الآنسة "**ماربل**" واثقة بما إذا كانت هذه الإجابة تعني أن أطفال "**السنيورا**" يوجدون الآن في السماء أو أنها تقصد أن تشبههم بالملائكة. وهنا أبدى أحد المعجبين بـ "**السنيورا**" ملاحظة باللغة الإسبانية جعلت "**السنيورا**" تميل برأسها إلى الوراء وتطلق ضحكة رنانة، ثم قالت مخاطبة الآنسة "**ماربل**":

– هل فهمت ما قاله؟

– كلا، مع الأسف، فإني لا أعرف الإسبانية.

– هذا أفضل، فهو رجل خبيث.. ثم تلا ذلك تبادل بعض النكات بالإسبانية إلى أن صاحت "**السنيورا**" بالإنجليزية قائلة:

– إنه لأمر مخجل ألا تسمح لنا الشرطة بمغادرة الجزيرة.. لقد ثرت وصخبت وضربت الأرض بقدمي ولكن كل ما أمكنهم قوله هو: "لا، لا". أتعلمين كيف سينتهي بنا الأمر هنا؟ إننا سنقتل جميعًا. حاول المعجبون بـ"**السنيورا**" الملتفون حولها أن يهدئوا من ثورتها ولكنها أردفت:

– أجل... أقول لك إن النحس يلازم هذا المكان، كنت أعلم ذلك منذ البداية. ذلك "**العقيد**" العجوز ذو الوجه الدميم.. إن نظراته كانت تجلب النحس، وكنت أرسم علامة الصليب كلما وجدته ينظر إليّ بعينيه، ولو أن الحول الشديد الذي كان بهما لم يكن يمكنني من التأكد من أنه ينظر نحوي. فقالت الآنسة "**ماربل**" موضحة:

– كانت إحدى عينيه من زجاج، وأعتقد أنها كانت نتيجة حادثة في شبابه ولم يكن الذنب ذنبه.

– ولكني أقول لك إنه كان يجلب النحس... كانت له عين شريرة... وعلى كل حال فقد مات، ولن أضطر إلى النظر إليه ثانية... إنني لا أحب النظر إلى الأشياء القبيحة. عادت السنيورا "**دي كاسبيرو**" إلى حديثها بالإسبانية في حين أحست الآنسة "**ماربل**" بأن ما قالته "**السنيورا**" كان رثاء قاسيًا لذكرى "**العقيد**" المسكين، ثم أدارت بصرها نحو الشاطئ حيث شاهدت "**جريجوري دايسون**" يخرج من الماء، أما "**لاكي**" فقد تقلبت في وضعها على الرمال، وقريبًا منها كانت تجلس "**إيفيلين هيلنجدون**" وهي تنظر إليها بطريقة جعلت الآنسة "**ماربل**" تشعر بقشعريرة تسري في بدنها مما جعلها تحدث نفسها قائلة: لا يمكن أن يكون هذا شعورًا بالبرد، وفي مثل هذا الجو المشمس الحار. وأخيرًا نهضت من مقعدها وعادت متجهة نحو كبينتها.

التقت في طريقها بالسيد "**رافييل**" مستندًا إلى ذراع السيدة "**والترز**" وهما في طريقهما إلى الشاطئ، وقد غمز لها الرجل بعينه ولكنها لم ترد عليه بنفس الطريقة فقد كانت تستهجن مثل هذه الحركات حتى لو كانت صادرة عن رجل عجوز مثل السيد "**رافييل**". دخلت الآنسة "**ماربل**" إلى حجرتها واستلقت على فراشها وهي

تشعر بوطأة السن وبالتعب والقلق معًا. كانت واثقة بأن الوقت ضيق وأنه لا مجال لإضاعة أي جزء منه... يجب ألا يضيع منه... أي جزء... إن النهر يقترب... من نهايته.. ها هي الشمس تدنو من الأفق... إنه منظر خلاب ولكن يجب ألا تنظر إلى الشمس بعينيها المجردتين... ترى أين وضعت نظارة الشمس، تلك التي أهديت لها في إحدى المناسبات... ولكنها لن تحتاج إليها على كل حال... لقد مر خيال أمام قرص الشمس فحجبها. هل هو خيال "**إيفيلين هيلنجدون**" ؟ كلا، ليست "**إيفيلين**"... الشبح... ماذا كانت العبارة بالضبط... نعم، ها هي تتذكر ... ترسم علامة الصليب.. لتتقي شر العين، عين "**العقيد**" الشريرة. اهتزت أجفان الآنسة "**ماربل**" وفتحت عينيها. كان النعاس قد غلبها وأخذت تحلم، ولكن الخيال لم يكن حلمًا فقد كان هناك خيال فعلاً على زجاج النافذة كأن أحدًا يحاول أن يطل عليها من الخارج. لم تتحرك الآنسة "**ماربل**" وهي راقدة إلى أن مر الخيال أمام النافذة وتبعه الرجل.. إنه "**جاكسون**" . كان أول ما تبادر إلى ذهنها أن مثل هذا العمل من الرجل يعتبر وقاحة لا حد لها. ولكن ما الذي يدعو "جاكسون" إلى التلصص عليها وهي في فراشها؟ هل كان يريد التأكد من أنها بالداخل، أو أنها بالداخل ولكن نائمة؟ نهضت الآنسة "**ماربل**" من الفراش وأسرعت إلى الحمام وأخذت تنظر بحرص من خلال نافذته. كان "**آرثر جاكسون**" واقفًا عند باب الكبينة المجاورة لها، وهي كبينة السيد "**رافييل**" وقد رأته يلقي نظرة خاطفة حوله، ثم يتسلل بسرعة إلى الداخل... وبدا الأمر للآنسة "**ماربل**" غريبًا: فما الذي يدعو "**جاكسون**" إلى التلفت حوله بهذا الشكل.. إن أحدًا ما كان ليجد غرابة في دخول "**جاكسون**" كبينة مخدومه ولاسيما أن حجرته هو شخصيًا تقع خلفها، وفضلاً على ذلك فهو يدخل تلك الكبينة ويغادرها أكثر من مرة طوال اليوم. إذن لماذا تلك النظرات الخاطفة؟ لا يمكن أن يكون لها سوى سبب واحد: هذا هو ما قالته الآنسة "**ماربل**" إجابة عن تساؤلها: "إنه يريد أن يتأكد من أن أحدًا لا يراه وهو يدخل إلى الكبينة في هذه اللحظة بالذات" . كان الجميع لا يزالون على الشاطئ، فيما عدا الذين خرجوا في رحلات. وبعد حوالي عشرين دقيقة سوف يذهب "**جاكسون**" نفسه إلى الشاطئ ضمن برنامج عمله اليومي ليساعد مخدومه على الاستحمام في البحر. فإذا كان يرمي إلى القيام بعمل ما داخل الكبينة دون أن

يراه أحد، فتلك هي اللحظة المناسبة. لقد تأكد من أن الآنسة "**ماربل**" نائمة في فراشها وأنه لا يوجد أحد بالقرب من المكان يمكن أن يراقب حركاته... إذن يجب الا تتوانى هي في مراقبة هذه الحركات. جلست الآنسة "**ماربل**" فوق حافة فراشها وخلعت صندلها ثم لبست زوجًا آخر يشبه الدبابة، ولكنها سرعان ما هزت رأسها وخلعته ثم أخذت تبحث في حقيبة ملابسها حتى عثرت على زوج آخر كان كعب إحدى فردتيه قد ارتطم بمشبك باب الكبينة فوضعته في حقيبتها إلى أن تسنح لها الفرصة لإصلاحه. تناولت الآنسة "**ماربل**" الحذاء وأخذت أول أداة وجدتها في متناول يدها، وكانت مبرد أظفارها، وبحركة ماهرة عملت على أن تزيد من خلخلة الكعب. وبعد أن أتمت المهمة حملت الحذاء في يدها وخرجت إلى الشرفة حافية القدمين إلا من جوربها، وبحذر صائد الطيور الذي يقترب من فريسته.. دارت حول كبينة السيد "**رافييل**" إلى أن اقتربت من نافذتها الخلفية، وهناك وضعت إحدى قدميها في فردة الحذاء السليمة وأبقت الأخرى في يدها بعد أن أتت على ما بقي من ثبات الكعب فخلعته تمامًا ثم انحنت تحت النافذة... كانت خطتها ترمي إلى أنه إذا حدث ورآها "**جاكسون**" ما ساوره أي شك في أنها تعثرت في سيرها مما أدى إلى انتزاع كعب الحذاء وإلى سقوطها تحت النافذة، ولكن هذه الاحتياطات المطولة كانت دون داع؛ إذ كان من الواضح أن "**جاكسون**" لم يسمع شيئًا. استجمعت الآنسة "**ماربل**" شجاعتها وبمنتهى الهدوء والحذر وأخذت ترفع رأسها شيئًا فشيئًا حتى حاذت حافة النافذة، ثم أخفت رأسها خلف بعض النباتات المتسلقة وأخذت تنظر داخل الحجرة.

كان "**جاكسون**" راكعًا أمام حقيبة كبيرة، وكان غطاء الحقيبة مرفوعًا، فأمكنها أن ترى أنها كانت مجهزة بطريقة خاصة جعلت فيها أقسامًا منفصلة مليئة بالملفات والأوراق، كان "**جاكسون**" منهمكًا في فحص تلك الأوراق، وكان في بعض الأحيان يتناول أظرفًا ويخرج ما بداخلها وبعد أن يطلع عليها يعيدها إلى مكانها من الحقيبة. لم تلبث الآنسة "**ماربل**" طويلاً؛ إذ إنها عرفت كل ما كانت تريد معرفته وهو الغرض الذي كان يسعى إليه "**جاكسون**" من تسلله داخل الكبينة. أما إذا كان هذا الغرض هو البحث عن أوراق معينة أو لمجرد الفضول فهذا ما لم يكن باستطاعتها التأكد منه، إلا أن شيئًا واحدًا تأكد لها وهو أن "**آرثر جاكسون**"

كانت له مواهب أخرى خلاف ما يتظاهر به.

كانت المشكلة التي تواجهها هي كيفية الانسحاب من مكمنها، ولكنها بنفس الهدوء والحذر اللذين اتبعتهما في المجيء تمكنت من التسلل خلال حوض الزهور الممتد خلف الكبينة، ووصلت إلى كبينتها، وهناك أعادت الحذاء والكعب الذي خلعته منه إلى الحقيبة وهي تنظر إليه بعطف، فقد أتاحت لها هذه الفكرة وسيلة مبتكرة تستطيع أن تستخدمها مستقبلاً في الظروف المشابهة، وبعد أن احتذت صندلها خرجت إلى الشاطئ وهي مستغرقة في التفكير. ترقبت الآنسة "**ماربل**" فرصة نزول "**استر والترز**" إلى الماء واحتلت المقعد الذي كانت تشغله بجوار مخدومها، وقد لاحظت أن "**جريج**" و"**لاكي**" يتضاحكان ويتحدثان بضجيج وصخب مع السنيورا "**دي كاسبيرو**" غير بعيد عنها؛ ولذلك فقد تكلمت بصوت هامس ودون أن تنظر إلى السيد "**رافييل**" وقالت له:

– هل تعلم أن "**جاكسون**" يتلصص عليك؟ فأجابها السيد "**رافييل**" بالصوت الهامس نفسه:

– إن ذلك لايدهشني.. لابد أنك ضبطته متلبساً، أليس كذلك؟

– لقد تمكنت من مراقبته من خلال النافذة الخلفية دون أن يشعر بي... وكان قد فتح إحدى حقائبك وأخذ يتفحص محتوياتها من الأوراق.

– لابد أنه تمكن من صنع مفتاح لها... إنه رجل واسع الحيلة، ومع ذلك فإن محاولاته ستبوء بالفشل... إنه لن يعثر في تلك الحقيبة على أي شيء ذي أهمية له. فقالت الآنسة "**ماربل**" وهي تنظر صوب الفندق:

– ها هو آت.

– لقد حان موعد نزولي إلى الماء، أما أنت، فلا يجب أن تتورطي في أبحاثك... إننا لا نريد أن تكون جنازتك هي التالية... تذكري سنك وكوني على حذر فإنه يوجد بيننا – كما تعلمين – شخص ليست الرحمة من بين صفاته.

*****

الفصل العشرون

حل المساء وأضيئت الأنوار في شرفة الفندق وأخذ النزلاء يتناولون عشاءهم ويتبادلون الأحاديث والضحكات، وإن كان كل ذلك يجري في جو أقل صخبًا ومرحًا مما كان عليه الحال منذ يوم أو يومين. وفي الوقت نفسه كانت فرقة الموسيقى النحاسية تعزف. انتهى الرقص مبكرًا وبدأ النزلاء في التثاؤب وأخذوا يتسللون إلى حجراتهم، وسرعان ماأطفئت الأنوار وساد السكون.. لقد راح فندق "النخيل الذهبي" في سبات.

– "**إيفيلين**". "**إيفيلين**"! صدر هذا النداء الهامس بحدة وتشوق، وسرعان ماتحركت "**إيفيلين هيلنجدون**" في فراشها وتقلبت فوق وسادتها.

– "**إيفيلين**"... استيقظي، أرجوك.. وهنا انتصبت "**إيفيلين**" جالسة في الفراش وشاهدت "**تيم كيندال**" يتصدر باب الحجرة فأخذت تحملق إلى وجهه مدهوشة، وقبل أن تنطق بحرف أردف "**تيم**" قائلاً:

– "**إيفيلين**"، أرجوك أن تحضري معي. إن "**موللي**" ليست على ما يرام. لا أدري ما الذي أصابها، وأخشى أن تكون تناولت شيئًا... أدركت "**إيفيلين**" حقيقة الموقف في الحال وكان قرارها فوريا فقالت:

– حسنا يا "**تيم**".. سأحضر... عد أنت إليها وسألحق بك بأسرع ما يمكن.
اختفى "**تيم كيندال**" عائداً إلى كبينته في حين أسرعت "**إيفيلين**"، ثم ألقت نظرة على الفراش الآخر.. كان واضحًا أن زوجها لم يشعر بشيء وكان تنفسه هادئًا ومنتظمًا.. وترددت "**إيفيلين**" لحظة، ثم قررت ألا توقظه وغادرت الحجرة مسرعة متجهة نحو المبنى الرئيسي للفندق وتجاوزته إلى كبينة "**كيندال**" فأدركت "**تيم**" وهو يهم بدخولها. كانت "**موللي**" راقدة في فراشها وعيناها مغمضتان وصدرها يعلو ويهبط بغير انتظام.. انحنت "**إيفيلين**" فوقها ورفعت أحد جفنيها، ثم جست نبضها، وأخيراً التفتت نحو المائدة الصغيرة المجاورة للفراش وأخذت تفحص ما عليها من زجاجات. كان على المائدة كوب به بقايا ماء وإلى جواره زجاجة أقراص فارغة، ولما تناولت "**إيفيلين**" الزجاجة في يدها قال "**تيم**":

– هذه هي زجاجة الأقراص المنومة التي تستخدمها أحيانا.. كانت الزجاجة ممتلئة لنصفها أمس أو أول أمس... أظنها ابتلعت كل ما كان فيها.

– أسرع باستدعاء الطبيب... وفي طريقك أيقظ بعض العمال واطلب منهم أن يعدوا قدراً كبيراً من القهوة الساخنة وأن تكون مركزة بقدر الإمكان. هيا... فيم انتظارك؟ انطلق "**تيم**" مهرولاً، وما كاد يصل إلى الباب حتى اصطدم بـ "**إدوارد هيلنجدون**"، فقال له:

– أرجو المعذرة يا "**إدوارد**".

– ماذا يجري هنا؟ ماذا حدث؟

– إنها "**موللي**"... "**إيفيلين**" معها الآن.. يجب أن أسرع لاستدعاء الطبيب، وأعتقد أنه كان يجدر بي أن أستدعيه أولاً.. لم أكن واثقاً، وظننت أن "**إيفيلين**" تستطيع التصرف... إن "**موللي**" تكره الأطباء وكنت أخشى أن تثور عليَّ لو اتضح أن الأمر لم يكن يتطلب استدعاءه. تبعه "**إدوارد**" بنظره لحظة، ثم دخل إلى الحجرة وما إن رأى "**إيفيلين**" حتى سألها:

– ماذا حدث؟ هل الأمر خطير؟

– أهذا أنت يا "**إدوارد**"؟ ظننتك نائماً فلم أشأ أن أزعجك... يبدو أن هذه الفتاة المسكينة قد تناولت كمية كبيرة من الأقراص المنومة.

– هل حالتها سيئة؟

– لا يمكن الجزم بذلك إلا بعد معرفة الكمية التي تناولتها، وإن كنت أستبعد الخطر طالما أدركناها في الوقت المناسب... لقد طلبت من "**تيم**" أن يأمر بإعداد قهوة، فإذا أمكننا أن نجرعها قدراً منها..

– ولكن لماذا فعلت "**موللي**" ذلك؟ هل تظنين.. ولما توقف "**إدوارد**" عن إكمال عبارته سألته "**إيفيلين**":

– ما الذي أظنه؟

– هل تظنين أنها فعلت ذلك بسبب التحقيق، أقصد الشرطة وما إلى ذلك..؟

– هذا محتمل بالتأكيد.. إن بعض الناس لا تتحمل أعصابهم مثل هذه المواقف.

– إن "**موللي**" لم يكن ليبدو عليها أنها من ذلك الطراز.

– يصعب علينا أن نحكم بذلك.. إن أكثر الناس هدوءاً هم أقربهم استعداداً لفقد السيطرة على أعصابهم.

– أجل... إنني أذكر... ومرة ثانية لم يستكمل "إدوارد" عبارته، فقالت "إيفيلين" :

– الحقيقة أن الواحد منا لا يكاد يعرف شيئًا عن الآخرين، وحتى عن أقرب الناس إليه..

– ألا ترين أنك تبالغين كثيرًا؟

– لا أظن ذلك.. إنك عندما تفكر في الآخرين فإن تفكيرك ينصب على الصورة التي تخيلتها لنفسك عنهم.

– ولكنني أعرفك أنت.

– بل يخيل إليك أنك تعرفني.

– ليس هذا صحيحًا.. أنا واثق، كما أنك أنت أيضًا واثقة بي. نظرت إليه "إيفيلين" طويلاً ولم تعقب، ثم التفتت نحو الفراش وامسكت بـ "موللي" من كتفيها وأخذت تهزها وهي تقول:

– يجب علينا أن نفعل شيئًا وإن كنت أعتقد أنه من الأفضل أن ننتظر حضور الدكتور "جراهام". ها هو... أظن أنني اسمعهما قادمين.

*****

ابتعد الدكتور "جراهام" عن الفراش وأخذ يجفف العرق الذي تصبب على جبهته، ثم زفر زفرة عميقة وقال:

– هذا يكفي الآن. فسأله "تيم" باهتمام واضح:

– هل تظن أنها ستنجو يا سيدي؟

– أجل، أجل... لقد لحقنا بها في الوقت المناسب وعلى كل حال فمن المحتمل أن كمية الأقراص التي تناولتها لم تكن قاتلة.. ستظل تشعر بالتعب يومين أو ثلاثة ولكنها ستشفى تمامًا. قال ذلك وتناول زجاجة الأقراص واستطرد:

– من الذي وصف لها هذه الأقراص؟

– طبيب في "نيويورك".. كانت تشكو كثيرًا من الأرق.

– إنني أدرك ذلك، كما أنني أعرف أن جميع الأطباء اليوم يصفون هذه العقاقير بسخاء.. لم يعد هناك من ينصح الشباب الذين يعوزهم النوم بأن يحصوا قطيعًا من الأغنام أو يتناولوا كوبًا من الحليب (اللبن) الدافئ أو يكتبوا خطابات أو يؤدوا

بعض التمرينات الرياضية قبل أن يأووا إلى الفراش.. إن ما يطلبه الجيل الجديد هو العلاج الفوري، ويخيل إليّ في بعض الأحيان أننا نخطئ في حقهم بالسماح لهم بتناول هذه العقاقير... إنه من أسهل الأشياء أن تضع الأم المرْضَعَة في فم طفلها لتوقفه عن البكاء، ولكنه من المستحيل أن تداوم على ذلك طيلة حياته. توقف الدكتور "**جراهام**" عن محاضرته، ثم نظر إلى الآنسة "**ماربل**" وهو يضحك مستطردًا:

– أراهن أنكم لو سألتم الآنسة "**ماربل**" عمّا تفعله لو أعوزها النوم لقالت لكم إنها تحصي الغنم وهي تمر من باب الحظيرة. قال ذلك والتفت نحو الفراش حيث كانت "**موللي**" قد بدأت تتحرك.. كانت قد فتحت عينيها وأخذت تنظر إلى المحيطين بها بلا اهتمام ودون أن يبدو من نظراتها أنها تعرفهم. وتناول الدكتور "**جراهام**" يدها، وقال:

– مرحى، مرحى، يا عزيزتي.. ماذا كنت تحاولين أن تفعلي بنفسك؟ طرفت "**موللي**" بأهدابها ولم تجب، فقال "**تيم**" وهو يمسك بيدها الأخرى:

– لماذا فعلت ذلك يا "**موللي**".. لماذا؟ أخبريني بالسبب.. ولكن عينا "**موللي**" ظلتا جامدتين وإن تحركتا فإنما ليستقرا على "**إيفيلين هيلنجدون**".. كان من المحتمل أن نظراتها إليها كانت تحمل معنى التساؤل ولكن لم يكن من السهل التأكد من ذلك. وكأنما أدركت "**إيفيلين**" ما ترمي إليه "**موللي**" فقالت:

– لقد جاء "**تيم**" وأيقظني. ثم تحولت "**موللي**" بنظرها إلى "**تيم**" ثم إلى الدكتور "**جراهام**" فقال هذا:

– ستكونين بخير يا بنتي، ولكن حذار من أن تفعلي ذلك مرة ثانية. فقال "**تيم**" بهدوء:

– إنها لم تكن تقصد أن تفعل ذلك... إنني واثق تمامًا.. كل ما هنالك أنها كانت تشعر بالحاجة إلى مزيد من النوم ولما وجدت أن قرصًا واحدًا أو قرصين لم يأتيا بنتيجة ابتلعت كمية أكبر، أليس كذلك يا "**موللي**"؟ لم تجب "**موللي**" ولكنها هزت رأسها بحركة خفيفة دلالة على النفي، فصاح "**تيم**":

– أتعنين أنك فعلت ذلك متعمدة؟ وهنا تكلمت "**موللي**" لأول مرة وقالت:

– أجل..

– ولكن لماذا يا "موللي" ؟ لماذا؟ اهتزت أجفان "موللي" وقالت في صوت لا يكاد يسمع:

– كنت خائفة..

– خائفة! ما الذي يخيفك؟ فتدخل الدكتور "جراهام" وقال:

– يحسن أن نتركها لتستريح. ولكن "تيم" تجاهل هذه النصيحة وقال بإصرار:

– مم تخافين؟ أمن الشرطة؟ لأنهم كانوا يزعجونك ويكثرون من أسئلتهم؟ إن ذلك لا يدهشني، فإنه كفيل بأن يخيف أي إنسان، ولكن تلك هي طريقتهم... هذا هو كل ما في الأمر. لا يوجد شخص واحد يظن أنك.. توقف "تيم" عن إتمام عبارته بعد أن أشار إليه الدكتور "جراهام" إشارة حازمة بضرورة الكف عن الاسترسال، في حين قالت "موللي" :

– أريد أن أنام. فأجابها الدكتور "جراهام" وهو يتجه نحو الباب:

– هذا خير ما يمكنك أن تفعليه. ثم التفت إلى الباقين الذين تحركوا وراءه وقال:

– إنها ستنام جيداً الآن. فسأله "تيم" وقد بدا عليه مظهر المدرك للموقف:

– هل هناك ما يجب عليَّ عمله؟ وقالت "إيفيلين" بعطف ظاهر:

– سأبقى معها إذا شئت.

– أوه، كلا... كلا... إنها ستكون بخير.. ولكن "إيفيلين" عادت نحو الفراش ومالت نحو "موللي" قائلة:

– هل أبقى معك يا "موللي"؟ فتحت "موللي" عينيها، وقالت:

– كلا... "تيم" فقط. عاد "تيم" وجلس على حافة الفراش، ثم تناول يدها وهو يقول:

– أنا هنا يا "موللي".. هيا اخلدي إلى النوم يا عزيزتي.. لن أتركك وحدك.. تنهدت "موللي" في استرخاء وأغلقت عينيها. أما الدكتور "جراهام" فقد توقف خارج الكبينة ومعه "إيفيلين" وزوجها وكانت "إيفيلين" تقول:

– هل أنت واثق يا دكتور بأنها لن تحتاج إليَّ؟

– لا أظن.. شكراً لك يا سيدة "هيلنجدون".. إنها ستتحسن الآن مع وجود زوجها إلى جانبها، ولكن ربما احتاجت إليك غداً. فإن السيد "كيندال" مضطر إلى الإشراف على أعمال الفندق، وأظن أنه من الأفضل أن يكون هناك أحد إلى جوارها. فسأله "إدوارد" :

– هل تظن أنها ستكرر المحاولة؟ حك الدكتور "**جراهام**" ذقنه بيده بضيق وقال:

– إن الإنسان لا يستطيع أن يكون متأكداً في مثل هذه الحالات.. الواقع أن تكرار المحاولة غير محتمل، وكما لاحظتم فإن عملية الإنقاذ بالغة القسوة، ومع ذلك فإن الإنسان لا يستطيع أن يكون متأكداً تماماً، فقد يكون لديها من هذه الأقراص زجاجة أخرى تخفيها في مكان ما.

– لم أكن أتصور أن فكرة الانتحار يمكن أن تراود فتاة مثل "**موللي**".

– إن الذين يقدمون على الانتحار لا يتحدثون عن عزمهم على ذلك أو يهددون بالإقدام عليه. إنهم لو فعلوا لكان ذلك كفيلاً بالتنفيث عن مكنونات صدورهم وسرعان ما ينبذون الفكرة. فقالت "**إيفيلين**":

– إن "**موللي**" تبدو دائماً مثالاً للمرأة السعيدة.. إنني أرى من الواجب أن أخبرك يا دكتور "**جراهام**"... ترددت "**إيفيلين**" لحظة، ثم قصت على الطبيب تفاصيل الحديث الذي دار بينها وبين "**موللي**" على الشاطئ في تلك الليلة التي قتلت فيها الفتاة "**فيكتوريا**". وما إن انتهت من روايتها حتى كان وجه الدكتور "**جراهام**" قد اكتسى مسحة ظاهرة من الجدية، وقال:

– إنني مسرور جداً لأنك أبلغتني بذلك يا سيدة "**هيلنجدون**". أن ما ذكرته يدل على أن هناك جذوراً دفينة لبعض المتاعب.. أجل.. سوف أتحدث في ذلك مع زوجها في الصباح.

*****

بدأ الدكتور "**جراهام**" حديثه قائلاً:

– أريد أن أتحدث إليك جدياً بشأن زوجتك يا سيد "**كيندال**". كانا يجلسان في مكتب "**تيم**"، وكانت "**إيفيلين**" قد حلت محله إلى جوار "**موللي**" في حين وعدت "**لاكي**" بأن تأخذ دورها فيما بعد، أما الآنسة "**ماربل**" فقد عرضت خدماتها هي الأخرى، وكان "**تيم**" المسكين نهباً موزعاً بين التزاماته في إدارة الفندق وبين رعاية زوجته. أجاب "**تيم**":

– إنني لا أستطيع أن أفهم.. لم أعد أفهم "**موللي**"... لقد تغيرت... تغيرت لدرجة غير معقولة.

– لقد علمت أنه كانت تراودها أحلام مزعجة، فهل هذا صحيح؟

– نعم، نعم، لقد كانت تشكو كثيراً من هذه الأحلام.

– منذ متى؟

– لا أذكر تماماً.. أعتقد أنها بدأت منذ حوالي شهر وربما أكثر، وكنا نظن أنها مجرد أحلام عادية.

– أعرف ذلك، ولكن الخطير في الأمر أنها تبدو خائفة من شخص ما... هل اشتكت لك من ذلك؟

– أجل... الواقع أنها ذكرت ذلك مرة أو مرتين... قالت إن أشخاصاً يقتفون أثرها...

– آه.. تقصد يتجسسون عليها؟

– نعم.. لقد استخدمت هذا التعبير مرة.. قالت إنهم أعداؤها وإنهم اقتفوا أثرها إلى هذه الجزيرة.

– وهل كان لها أعداء يا سيد "**كيندال**"؟

– كلا.. إن هذا غير معقول..

– ألم تصادف مشاكل في "**إنجلترا**" قبل زواجكما؟

– أبدا.. لا شيء من هذا القبيل.. كل ما في الأمر أنها لم تكن على وفاق مع أسرتها.. لقد كانت أمها امرأة غريبة الأطوار، وربما كان من الصعب الحياة معها.. ولكن..

– هل أصيب أي فرد من أسرتها باضطراب عقلي؟ بدا "**تيم**" على وشك الإجابة عن هذا السؤال ولكنه آثر الصمت، ثم أخذ يعبث ببعض الأوراق التي أمامه على المكتب، فقال الدكتور:

– يجب أن أؤكد لك أهمية الإجابة عن هذا السؤال، وإذا كان شيء من هذا القبيل قد حدث فيحسن أن تخبرني..

– الواقع أن شيئًا مما تقول قد حدث، وإن كان يبدو لي قليل الأهمية.. إن إحدى عماتها أو خالاتها كانت أقرب إلى الخبل منها إلى التعقل، ولكنني لا أعتقد أن ذلك مما يشكل أية خطورة، فمثل هذه الحالة لا تخلو منها معظم الأسر.

– أجل، أجل... هذا صحيح... أنا لا أريد أن أفزعك، ولكن لا يسعني إلا أن أبصرك بأنه من المحتمل أن يكون بعض أفراد الأسرة عرضة للانهيار العصبي أو التهيؤات كلما واجهتهم شدة.

– الواقع أنني في حيرة، ومهما يكن من أمر فإنك لا تتوقع أن يحدثك أحد الناس بكل أسراره العائلية.

– كلا بالتأكيد.. إنك على حق.. ألم يكن لها صديق سابق، أو كانت مخطوبة لأحد قبلك، شخص ما قد تدفعه الغيرة إلى تهديدها أو مضايقتها؟

– لا أدري... لا أظن ذلك.. والواقع أن "موللي" كانت مخطوبة لرجل آخر قبل خطبتها لي، وكان والداها يعارضان تلك الخطبة معارضة شديدة، وإن كنت أعتقد أن تمسكها به لم يكن إلا لمجرد العناد والتحدي لا لشيء آخر. وللمرة الأولى ظهرت ابتسامة باهتة على وجه "تيم" وأردف قائلاً:

– أنت تدرك مشاعر الشباب... إذا وجدوا من يعارض تصرفاتهم العاطفية زاد إصرارهم عليها وتماديهم فيها. ابتسم الدكتور "جراهام" هو الآخر، وقال:

– هذا صحيح.. إن ذلك كثير الحدوث؛ ولذا فإني أرى أن الآباء يجب ألا يتشددوا في الاعتراض على ما لا يعجبهم من أصدقاء أبنائهم؛ لأن هؤلاء غالبًا ماينتبهون للحقيقة من تلقاء أنفسهم وتمر الأزمة بسلام.. وهذا الخطيب الذي أشرت إليه، ألم تصدر عنه أي تهديدات لـ "موللي"..؟

– كلا... أنا واثق بأن شيئًا من ذلك لم يحدث وإلا لكانت أخبرتني.. لقد اعترفت لي بأن انجذابها إليه لم يكن إلا نزوة من نزوات المراهقة سببها الأساسي أن الشاب كان سيئ السمعة.

– فهمت.. يبدو لي على كل حال أنه لا توجد خطورة من هذه الناحية، ولكن ثمة شيء آخر.. الظاهر أن زوجتك كانت عرضة لما وصفته بنوبات من فقدان الذاكرة أو الغيبوبة، أو بمعنى آخر فترات قصيرة من الوقت لا تستطيع أن تتذكر مافعلته في خلالها، فهل لديك علم بذلك؟ أجاب "تيم" بتمهل:

– كلا... هذه أول مرة أسمع فيها ذلك، فهي لم تحدثني به مطلقًا.. وبهذه المناسبة فإني لاحظت أنها أحيانًا تبدو في حالة ذهول و... تردد "تيم" قليلاً في التعبير عن وصفه لحالة زوجته ثم أردف:

– أجل.. إن هذا يبدو لي واضحًا... إنني لم أكن لأستطيع أن أفسر السبب فيما كان يصدر عنها أحيانًا من نسيان لأبسط الأشياء، وأحيانًا أخرى كانت لا تستطيع تحديد الوقت في خلال ساعات النهار... وكنت أعزو ذلك إلى الشرود.

– خلاصة الأمر كما يبدو لي الآن يا سيد "**كيندال**" أنني أنصح مشدداً بأن تعرض زوجتك على إخصائي نفساني. ظهر الغضب فجأة على ملامح "**تيم**"، وقال:

– أتعني طبيب الأمراض العقلية؟

– تمالك أعصابك يا سيد "**كيندال**" ولا تخدعك هذه التسميات. إن طبيب الأمراض النفسية هو المختص بعلاج الحالات التي يطلق عليها في العادة اسم الانهيار العصبي. إنني أعرف واحداً من هؤلاء الإخصائيين في "**كنجستاون**"، وهناك آخرون في "**نيويورك**" بالتأكيد. إن هناك أسباباً وراء هذه الحالة العصبية التي تشكو منها زوجتك، وهي أسباب قد لا تدركها هي نفسها؛ لذلك يجب أن تستشير إخصائيًّا يا سيد "**كيندال**". بل يجب أن تفعل ذلك بأسرع ما يمكن. أتم الدكتور "**جراهام**" كلامه، ثم نهض واقفاً وألقى بيده على كتف الشاب الجالس أمامه ثم أردف:

– إنني لا أقصد أن هناك خطراً عاجلاً على زوجتك... إن لها أصدقاء مخلصين وسوف نلاحظها جميعاً باهتمام وتفان.

– إنها لن... هل تظن أنها قد تحاول مرة ثانية؟

– أعتقد أن ذلك احتمال بعيد.

– ولكنك لست واثقاً؟

– إن الطبيب لا يمكن أن يكون واثقاً.. إن ذلك هو أول الأشياء التي نتعلمها في مهنتنا. قال ذلك ثم عاد فضغط بيده على كتف الشاب مشجعاً، واتجه نحو باب الحجرة وهو يقول:

– لا تبالغ في القلق يا سيد "**كيندال**". وما إن غادر الدكتور "**جراهام**" الحجرة حتى صاح "**تيم**" مخاطباً نفسه:

"ليس أسهل من أن يقول ذلك.. هل يظن أنني مخلوق من طينة غير طينة البشر؟!".

*****

الفصل الحادي والعشرون

قالت "**إيفيلين هيلنجدون**" وهي تخاطب الآنسة "**ماربل**" :
– هل أنت واثقة بأن ذلك لن يضايقك؟ فأجابتها الآنسة "**ماربل**" :
– كلا . مطلقًا يا عزيزتي، إنه ليسرني كثيرًا أن أكون ذات فائدة. إنك تدركين أن من كان في مثل سني يشعر بأنه أصبح عديم النفع في هذه الدنيا، خاصة إذا أقام في مكان كهذا، لا هم له فيه إلا متعته الشخصية دون القيام بأي التزام.. إنه ليسعدني جدًا أن أبقى إلى جوار "**موللي**"، ويمكنك أن تخرجي أنت إلى رحلتك. ستذهبين إلى "**بليكان بوينت**"، أليس كذلك؟
– نعم... إننا نحبها كثيرًا أنا و"**إدوارد**" ... إنني لا أمل رؤية الطيور وهي تنفض من عل لتقتنص الأسماك. إن "**تيم**" مع "**موللي**" الآن، ولكن لديه الكثير من المهام التي يجب أن يقوم بها وهو لا يحب أن يترك "**موللي**" وحدها.
– إنه على حق في ذلك، ولو كنت مكانه لفعلت نفس الشيء... إن الإنسان لا يمكنه أن يطمئن ولاسيما بعد المحاولة التي أقدمت عليها بالأمس.. حسنًا، اذهبي أنت يا عزيزتي. انصرفت "**إيفيلين**" لتنضم إلى مجموعة صغيرة كانت في انتظارها تتكون من زوجها و"**دايسون**" وزوجته وثلاثة أو أربعة آخرين. أما الآنسة "**ماربل**" فقد راجعت محتويات حقيبة غزلها لتتأكد من أنه لا ينقصها شيء ثم أسرعت متجهة نحو كبينة "**كيندال**". عندما وصلت الآنسة "**ماربل**" إلى شرفة الكبينة سمعت صوت "**تيم كيندال**" من خلال الباب الزجاجي المؤدي إلى الحجرة والذي كان مواربًا... كان "**تيم**" يقول:
– لو أنك أخبرتني لماذا فعلت ذلك يا "**موللي**"؟ ما الذي دفعك إليه؟ هل كان السبب أي تصرف صدر عني؟ لابد أن يكون هناك سبب.. توقفت الآنسة "**ماربل**" هنيهة ومضت فترة قصيرة قبل أن تتكلم "**موللي**". كان صوتها أجوف متعبًا وهي تقول:
– لا أعرف يا "**تيم**"... صدقني، فأنا لا أعرف... يخيل إليَّ أن شيئًا مبهمًا قد استولى على تفكيري. وهنا طرقت الآنسة "**ماربل**" زجاج الباب ودخلت إلى الحجرة، وما إن رآها "**تيم**" حتى صاح:
– أهذا أنت يا آنسة "**ماربل**"، إنه لتلطف منك أن تحضري..

– عفواً.. إنه ليسرني أن أقدم أية مساعدة.. هل أجلس هنا في هذا المقعد؟ إنك تبدين أحسن كثيراً يا "موللي" وإني لسعيدة بذلك. فقالت "موللي":

– إنني بخير، على خير ما يرام.. كل ما هنالك أنني لا زلت أشعر بالميل إلى النوم.

– سأكف عن الكلام، وما عليك إلا أن تسترخي وتستريحي.. سأشغل نفسي بهذا الصوف. ألقى "تيم" على الآنسة "ماربل" نظرة شكر ثم غادر الحجرة، فاعتدلت هي في مقعدها وأخذت تخرج معدات الغزل من حقيبتها. كانت "موللي" راقدة على جانبها الأيسر وقد بدا عليها الإرهاق الشديد، وبصوت لا يكاد يتعدى الهمس قالت:

– إنه لكرم منك يا آنسة "ماربل".. أظن أنني... سأنام.. قالت ذلك وهي تدير رأسها فوق الوسادة وتغلق عينيها.. كان تنفسها يقترب من الانتظام وإن كان لا يزال بعيداً عن حالته الطبيعية، أما الآنسة "ماربل" فقد كانت خبرتها الطويلة في رعاية المرضى قد جعلتها تمد يدها لتصلح من وضع ملاءة الفراش وتثبيت أطرافها تحت الحشية. وبينما هي تفعل ذلك لامست يدها شيئاً صلباً مربع الشكل، وبدافع لا إرادي سحبته إلى الخارج فإذا به كتاب.. ألقت الآنسة "ماربل" نظرة سريعة على الفتاة الراقدة أمامها فوجدتها هادئة وأغلب الظن أنها استغرقت في النوم، ففتحت الكتاب ووجدت أنه يبحث في الأمراض العصبية.. كانت الحافة العليا لإحدى الصفحات مطوية دلالة على توقف القارئ عندها، وكان موضوعها وصفاً لعقدة الاضطهاد وبعض مظاهر حالة انفصام الشخصية وما يصاحبها من أعراض.

لم يكن الكتاب مما يمكن اعتباره مرجعاً طبياً، فقد كان يخاطب القارئ العادي دون التعمق في الاصطلاحات الطبية العميقة.. وأخذت الآنسة "ماربل" تقرأ وقد اكتسى وجهها ملامح الجد والاهتمام، ولكنها لم تستمر في القراءة سوى بضع دقائق أغلقت بعدها الكتاب وأعادته إلى مكانه بحذر وهدوء. كانت الآنسة "ماربل" تشعر بالحيرة، فنهضت من مقعدها باحتراس زائد وسارت في الحجرة بضع خطوات نحو النافذة، ثم التفتت فجأة إلى الخلف وإذا بها تواجه عيني "موللي" المفتوحتين، ولكن ذلك لم يدم سوى لمحة خاطفة وأغلقت "موللي" عينيها ثانية.

وقفت الآنسة "ماربل" لحظة مترددة وأخذت تسائل نفسها عمّا إذا كانت تلك

النظرة السريعة الخاطفة وهماً، أم أن "موللي" كانت تتظاهر بالنوم طوال الوقت. قد يكون ذلك أمراً طبيعياً إذا كانت "موللي" تخشى أن تبدأ الآنسة "ماربل" في التحدث إليها إذا هي ظلت مستيقظة.. أجل إن ذلك محتمل جداً، ولكن تلك النظرة التي خيل إليها أنها رأتها في عيني "موللي"، ألم تكن لتحمل في طياتها شيئاً من المكر والخداع؟ أخذت الحيرة تشتد بالآنسة "ماربل"، وبقدر ما تعمقت في التفكير فإنها لم تستطع أن تجد للأمر تفسيراً. وأخيراً قررت أن تحاول التحدث في هذا الأمر مع الدكتور "جراهام" في أول فرصة تسنح لها، وكأنما شعرت بشيء من الراحة لهذا القرار فعادت إلى مقعدها بجوار الفراش. وبعد حوالي خمس دقائق تأكدت من أن "موللي" قد استغرقت فعلاً في النوم هذه المرة، فغادرت مقعدها ثانية.. كانت تحتذي في قدميها صندل الشاطئ وهو وإن لم يكن من طراز حديث ولكنه كان متسعاً ومريحاً لقدميها. أخذت تتجول بهدوء في أرجاء الحجرة وتأملت قليلاً عند كل من البابين الزجاجيين المؤديين إلى اتجاهين مختلفين. كان أحدهما يطل على الأرض الفضاء المحيطة بالفندق وكانت خالية تماماً، فعادت الآنسة "ماربل" إلى مقعدها وقبل أن تجلس توقفت قليلاً وقد خيل إليها أنها سمعت صوتاً خافتاً خارج الحجرة، صوتاً أشبه ما يكون بصوت احتكاك حذاء بالأرض... ترددت الآنسة "ماربل" برهة قصيرة، ثم أسرعت إلى الباب الزجاجي وفتحته قليلاً ثم خرجت إلى الشرفة وأدارت رأسها نحو الحجرة وهي تقول:

– لن أتغيب سوى لحظة قصيرة يا عزيزتي. سأذهب إلى كبينتي لإحضار النموذج الذي أغزل منه. كنت واثقة بأنني أحضرته معي ولكني لم أجده.. لا تقلقي، ستكونين بخير إلى أن أعود، أليس كذلك يا عزيزتي؟ بعد أن أتمت الآنسة "ماربل" هذه المظاهر الكلامية وهي تقول لنفسها: إن "موللي" المسكينة نائمة فعلاً، وإن ذلك سيفيدها كثيراً. سارت في الشرفة إلى أن وصلت إلى الدرج فنزلته، وانثنت إلى اليمين في الممر المحيط بالكبينة متخذة طريقها في تخف بين شجيرات الزهور التي تحف بالممر إلى أن وصلت إلى الباب الخلفي للكبينة ودلفت منه إلى الداخل. وجدت نفسها في حجرة صغيرة كان "تيم" يستخدمها مكتباً خاصاً وهي تؤدي إلى حجرة المعيشة. كانت نوافذ هذه الحجرة مغطاة جميعها بالستائر لتلطيف الجو فيها، فاتجهت الآنسة "ماربل" إلى إحداها واختبأت خلفها، ومن هذا الوضع كان باستطاعتها أن ترى أي شخص يحاول الاقتراب من حجرة نوم

"موللي" . ولبثت في مكانها بضع دقائق قبل أن ترى شيئًا..

صعد "جاكسون" في حلته البيضاء الناصعة درجات الشرفة، ثم توقف لحظة عند الباب الزجاجي لحجرة "موللي" . أخذ يطرقه طرقات خفيفة، ولما لم يتلق ردًا تلفت حوله بعجلة، ثم دلف إلى الحجرة، وهنا انتقلت الآنسة "ماربل" من مخبئها واتجهت إلى الباب المؤدي إلى الحمام الملحق بالكبينة، وتوقفت قليلاً وهي تقطب حاجبيها بدهشة مما شاهدت، ثم أسرعت خارجة إلى الممر الخلفي ومنه إلى الحمام.

كان "جاكسون" واقفًا أمام الرف الذي يعلو حوض الحمام، وما إن شعر بالآنسة "ماربل" معه حتى استدار نحوها مذعورًا وأخذ يقول متلعثمًا:

– أوه... لم أكن.. فقاطعته الآنسة "ماربل" وكأنها فوجئت هي الأخرى بوجوده وصاحت:

– السيد "جاكسون"!

– كنت أظن أنني سأجدك هنا.

– هل تبحث عن شيء؟

– الواقع أنني كنت أريد أن أعرف أي نوع من الكريمات تستخدمه السيدة "كيندال" لبشرة وجهها. لاحظت الآنسة "ماربل" أن هذه الإجابة كان لها مايعززها فقد كان "جاكسون" عندما فاجأته يمسك في يده بإحدى العلب التي تحتوي على كريم الوجه. وقد أردف قائلاً وهو يحك أنفه بيده:

– إن العطر الذي مزج بهذا الكريم له رائحة جميلة، والمادة نفسها جيدة.. إن الكريمات الرخيصة لا تلائم كل البشرات، وقد تولد بها بثورًا تشوه جمال البشرة، ونفس الشيء ينطبق على المساحيق..

– يبدو أن لديك خبرة ..

– أظن ذلك، فقد عملت فترة من الوقت في إحدى المؤسسات الكيميائية، وهناك أمكنني أن ألم بالكثير من مستحضرات التجميل.. إنك لا تستطيعين أن تتصوري مدى الرواج الذي يلقاه أي مستحضر إذا ما عبئ في إناء جذاب وأحيط بأغلفة فاخرة.. عادت الآنسة "ماربل" إلى مقاطعته بحزم، وقالت:

– أهذا هو السبب في..

– أوه كلا.. إنني لم أحضر إلى هنا للتحدث عن مستحضرات التجميل. قالت الآنسة "ماربل" تحدث نفسها: "إنه لم يجد فسحة كافية من الوقت لإعداد كذبة

مناسبة، فلنر الآن ما سيقوله". استطرد "**جاكسون**" قائلاً:

– الواقع أن السيدة "**والترز**" كانت قد أعارت أحمر شفاه إلى السيدة "**كيندال**" منذ يومين، وقد جئت لاستعادته لها. لقد طرقت باب الحجرة، ثم لاحظت أن السيدة "**كيندال**" مستغرقة في النوم؛ ولذلك خطر ببالي أنه لا ضرر في أن أدخل إلى الحمام للبحث عنه.

– وهل عثرت عليه؟ هز "**جاكسون**" رأسه وقال:

– كلا... يحتمل أن يكون في إحدى حقائب يدها، وعلى كل حال فالأمر ليس مهمًّا.. إن السيدة "**والترز**" لم تتشدد في مطالبتها به.. لقد ذكرت الموضوع عرضاً في أثناء حديثنا معًا. أخذ "**جاكسون**" يتفحص مختلف المستحضرات التي على الرف واستطرد قائلاً:

– ليس عندها الكثير.. وعلى كل حال فإن من كان في مثل سنها لا يحتاج إلى الكثير.. بشرة شابة طبيعية أليس كذلك؟ ابتسمت الآنسة "**ماربل**" وقالت:

– لابد أنك تنظر إلى النساء بنظرة تختلف عن نظرات باقي الرجال.

– أجل.. أعتقد أن تقلب الرجل في مختلف الوظائف يساعد على تغيير وجهات نظره.

– هل تعرف الكثير عن العقاقير؟

– إن لي إلماما وثيقًا بها.. إن الأسواق اليوم مليئة بالمئات منها، فهناك مثلاً العقاقير المهدئة والمنشطة والعقاقير التي تصنع المعجزات إلى غير ذلك. إن ما يوجد منها بالسوق أكثر مما يجب، وإن كنت أرى ألا ضرر منها إذا كان الطبيب هو الذي يصفها.. إن بعضها قد يكون خطراً على الحياة..

– أظن ذلك.. نعم، إن ذلك حقيقي.

– إن مثل هذه العقاقير ذات تأثير قوي في سلوك الإنسان، ويظهر ذلك جليًّا في تلك التصرفات الهستيرية التي يتسم بها شباب الجيل الجديد، فهي تصرفات غير طبيعية وسببها راجع إلى تعاطي بعض هذه العقاقير. وليس هذا بمستغرب، فإن تأثيرها معروف منذ القدم. وهناك في الشرق – ولا أدعي أنني كنت هناك – تحدث أشياء عجيبة نتيجة لتعاطي هذه العقاقير. إن الدهشة لتتولاك إذا علمت بما تقدمه بعض الزوجات هناك لأزواجهن، ففي "**الهند**" مثلاً وفي العصور الماضية، كانت الزوجة الشابة التي تتزوج برجل طاعن في السن، لا تفكر في أن تتخلص منه

لأنه إذا مات فإنها تحرق فوق نفس العرمة التي تحرق فيها جثته، وحتى إذا لم تحرق فإنها تظل منبوذة من جميع أقاربها؛ ولذا فلم تكن أية امرأة هندية لترغب في أن تصبح أرملة في تلك الأيام، ولكنها كانت تلجأ إلى إبقاء زوجها تحت تأثير العقاقير المخدرة، كالداتورة مثلاً، فإن ذلك كان كفيلاً بأن يجعله يبدو كالأبله ويصبح عرضة للهذيان والتخيلات مما يدفع به بالتدريج نحو الجنون. توقف "جاكسون" قليلاً وهو يهز رأسه مستنكراً ويقول:

– يمكنك أن تسمي ذلك بالجرائم المستترة. ولما لم تعلق الآنسة "ماربل" أردف:

– وهناك أيضاً السحرة.. إن الحكايات التي تروى عنهم تثير الاهتمام.. لماذا كانوا يضطرون دائماً إلى الاعتراف بأنهم سحرة وهم يعلمون أن جزاء الساحر هو الحرق حيًّا؟

– كانوا يعذبون؟

– ليس دائماً.. حقيقة فإن كثيراً من حالات الاعتراف ترجع إلى التعذيب، ولكن الكثيرين كانوا يتطوعون بالاعتراف حتى قبل تهديدهم بالتعذيب. والغريب في الأمر أن اعترافاتهم كانت تتسم بطابع التفاخر... أتدرين ماذا كانوا يفعلون؟ كان يدهنون أجسامهم بدهانات خاصة يدخل في تركيبها بعض المواد المخدرة مثل البلادونا والأتروبين، فإذا ما دلك بها الجسم يشعر الساحر بأنه أصبح خفيف الوزن مثل الطائر ويأخذ في الهذيان، كان يخيل إليه أنه يطير في الفضاء مثلاً. والعجيب أن أولئك المساكين كانوا يؤمنون بتلك التخيلات. ناهيك من السحرة، وتأملي مثلاً حالة الحشاشين الذين كانوا ينتشرون في العصور الوسطى في مناطق شرقي البحر الأبيض المتوسط. وكانت المادة المخدرة التي يتعاطونها هي بذور القنب الهندي وسرعان ما كانوا يسبحون في أجواء من جنات عدن التي تزخر بالحوريات وهم في ذلك يعتقدون أنهم يشاهدون ما سيحظون به بعد الموت. غير أن الأمر بالنسبة إلى تلك الفئة لم يكن سهلاً، فإنه لكي يصبحوا أعضاء في طائفة الحشاشين كان عليهم أن يؤدوا عملية قتل، وهي عملية كانت تكتسب طابعاً مقدساً.. إنني لا أبالغ، ولكن هذا هو ما يقصه علينا التاريخ.

– إن ذلك ليدل على قدر ما يمكن أن تصل إليه سذاجة الإنسان.

– أجل.. أعتقد أن هذا هو التعبير السليم.

– إن الإنسان يميل إلى تصديق كل ما يقال له. إن هذه الصفة تكاد تكون عامة. ساد الصمت بينهما لحظة قصيرة، ثم سألته الآنسة "ماربل" بشيء من الحدة:

- من أخبرك بكل هذه الروايات عن "**الهند**"، أقصد عن تخدير الزوجات لأزواجهن باستخدام العقاقير؟ وقبل أن يجيبها "**جاكسون**" صاحت به:

- أهو العقيد "**باجريف**"؟ بدت الدهشة على وجه "**جاكسون**"، وقال:

- الواقع أن العقيد "**باجريف**" هو الذي قص عليَّ هذه القصص، والكثير غيرها. وعلى الرغم من أن تلك العادات والتقاليد لا تمت لعصرنا الحديث بصلة إلا أنه كان يبدو ملمًا بها إلمامًا عميقًا.

- إن العقيد "**باجريف**" كان يتخيل أنه يعرف الكثير عن كل شيء.. إن معظم قصصه كانت تفتقر إلى الدقة. صمتت الآنسة "**ماربل**" وهي تهز رأسها مفكرة، ثم قالت:

- إن العقيد "**باجريف**" يجب أن يحاسب حسابًا عسيرًا. وهنا تناهى إلى سمعها صوت صادر عن الحجرة المجاورة، فالتفتت نحو مصدره وأسرعت خارجة من الحمام إلى حجرة نوم "**موللي**"، وهناك وجدت "**لاكي دايسون**" على وشك دخول الحمام ولكنها ما إن أبصرت الآنسة "**ماربل**" حتى قالت:

- أوه.. لم أكن أظن أنك هنا يا آنسة "**ماربل**"..

- لقد غادرت الحجرة إلى الحمام منذ برهة وجيزة.

- خطر لي أنك قد ترغبين في أن أجلس مع "**موللي**" بعض الوقت. قالت ذلك وهي تنظر نحو الفراش ثم أردفت:

- إنها نائمة، أليس كذلك؟

- أعتقد ذلك... ولكن لا داعي لوجودك.. اذهبي وتمتعي بوقتك.. أوه.. كنت أظن أنك سترافقين الآخرين إلى "**بليكان بوينت**".

- كنت أنوي ذلك فعلاً، ولكنني في آخر لحظة شعرت بصداع ففضلت البقاء لأستريح، ثم خطر لي أن أقوم بمساعدتك..

- هذا تلطف كبير منك.. لقد انهمكت في غزل الصوف، والواقع أنني لا أشعر بأي تعب. ترددت "**لاكي**" قليلاً، ثم استدارت وغادرت المكان. وانتظرت الآنسة "**ماربل**" بعض لحظات، ثم عادت إلى الحمام لتجد أن "**جاكسون**" قد انصرف من الباب الخلفي، فبادرت الآنسة "**ماربل**" إلى قدر الكريم الذي كان "**جاكسون**" يفحصه وأسقطته في جيبها.

*****

الفصل الثاني والعشرون

لم يكن الانفراد بالدكتور "**جراهام**" بالأمر السهل كما كانت تتخيله الآنسة "**ماربل**"، وقد كان يهمها ألا تبدأ حديثها معه بطريقة مباشرة؛ لأنها لم تكن لتود أن تثير اهتمامه بالأسئلة التي أعدتها له. كان "**تيم**" قد عاد للاطمئنان على "**موللي**" واتفقت معه الآنسة "**ماربل**" على أن تعود لتحل محله إلى جوار زوجته عندما تبدأ فترة الإعداد للعشاء حيث يكون وجوده ضروريًا في قاعة الطعام. وقد أكد لها "**تيم**" أن السيدة "**دايسون**" على استعداد لتقوم بهذه المهمة وكذلك فعلت السيدة "**هيلنجدون**"، إلا أن الآنسة "**ماربل**" بينت له بتصميم أن كلا من السيدتين لا تزال شابة وتحتاج إلى الترفيه عن نفسها، أما هي فتفضل على كل حال أن تتناول عشاء خفيفًا مبكرا، وعلى ذلك لم تعد هناك مشكلة، فشكرها "**تيم**" بحرارة.

خرجت الآنسة "**ماربل**" من كبينة "**كيندال**" وأخذت تحوم على غير هدى حول الفندق وفي الممرات التي تصل ما بين الكبائن ومن بينها كبينة الدكتور "**جراهام**". وفي خلال ذلك كانت قد وضعت خطتها لما ستقوم به بعد ذلك. كان ذهنها مشحونا بعدد من النظريات المتضاربة، الأمر الذي كانت الآنسة "**ماربل**" تكرهه أشد الكره. إن الأعمال الإجرامية التي وقعت في الفندق قد بدت واضحة بما أظهره العقيد "**بالجريف**" من غرام شديد برواية القصص وبعدم الحذر في أقواله التي لابد أنها وصلت إلى أسماع الشخص الذي كان يجب الحذر من وصولها إليه، ثم النتيجة المنطقية التي أدت إلى مقتله قبل مضي أربع وعشرين ساعة... وكانت الآنسة "**ماربل**" ترى أن كل شيء واضح إلى هذا الحد..

ولكن ما حدث بعد ذلك قد اضطرها إلى تغيير رأيها؛ إذ وجدت نفسها تتجه اتجاهات متعددة في وقت واحد، فإذا ما بدأنا باقتناعها بعدم تصديق كل كلمة قيلت لها وبعدم الثقة بأحد ممن حولها وبأن كثيراً من الأشخاص الذين تحدثت إليهم كانوا يشبهون أشخاصًا آخرين عرفتهم في قريتها "**سانت ماري ميد**".. إذن لما بدأنا بتلك البداية.. فإلى أين إذن يصل بها هذا الاقتناع؟ كان تفكيرها يتركز في الضحية التالية، فهناك شخص ما في طريقه إلى أن يقتل، إنه يجب عليها أن تعرف تمامًا من هو ذلك الشخص. ولكن كيف السبيل إلى ذلك؟ هناك شيء ما، لا تعرف ماهيته يتردد في ذهنها... هل هو شيء لاحظته، أم هو شيء رأته؟ إن

شخصًا ما قد أخبرها بشيء له علاقة بالأحداث أهي "**جوان بريسكوت**"؟ إن "**جوان**" قد تحدثت عن أشياء كثيرة تتعلق بأشخاص عديدين.. هل كان ذلك بشأن إحدى الفضائح، أو مجرد ثرثرة؟ ماذا قالت لها "**جوان**" بالضبط؟ هل هو "**جريجوري دايسون**" أم زوجته؟ أخذ تفكير الآنسة "**ماربل**" يحوم حول "**لاكي**"، وهي واثقة تمام الثقة النابعة من طبيعتها المتشككة بأن "**لاكي**" لها صلة وثيقة بوفاة زوجة "**جريجوري دايسون**" الأولى، فضلاً على أن كل الظواهر تشير إلى ذلك. فهل من المحتمل أن يكون الشخص الذي تخشى الآنسة "**ماربل**" أن يكون هو الضحية المرتقبة هو "**جريجوري دايسون**"؟ وأن "**لاكي**" تنوي أن تجرب حظها مرة ثانية مع زوج جديد وأنها لهذا السبب ترغب، ليس فقط في التخلص من زوجها الحالي، بل هي تطمع في أن تصبح الوريثة الوحيدة للثروة الطائلة التي سيخلفها؟ انتقلت الآنسة "**ماربل**" من هذه التأملات وأخذت تحدث نفسها قائلة:

"ولكن كل ذلك ليس إلا تخمينات... ألا ما أشد غبائي..! أجل، إنني أعترف بالغباء، فإن الحقيقة لابد أن تكون في منتهى البساطة لو أمكن فقط إزالة كل هذه الحواشي التي تحيط بها وتحجبها عن الأنظار. وهنا جفلت الآنسة "**ماربل**" فزعة على صوت السيد "**رافييل**" يقول لها:

- أتحدثين نفسك؟ لم تكن قد شعرت بمقدمه... كان يستند إلى ذراع "**استر والترز**" وهما قادمان من داخل الكبينة إلى الشرفة. فأجابته قائلة:

- لم ألحظ قدومك يا سيد "**رافييل**".

- لقد رأيت شفتيك تتحركان.. لم كل هذه الحيرة التي تبدو عليك؟

- إن الأمر لا يزال عاجلاً. والشيء الذي يحيرني ويقلقني هو أنني عاجزة عن إدراك الحقيقة على بساطتها.

- يسرني أنك تعتبرينها بهذه البساطة، وعلى كل حال إذا احتجت إلى مساعدة فيمكنك الاعتماد عليَّ. وهنا أدار السيد "**رافييل**" رأسه وقد رأى "**جاكسون**" مقبلاً نحوهم من الممر وقال:

- أهذا أنت أخيرًا؟ أين كنت بحق السماء؟ ألا يمكن أبدًا أن أجدك في الوقت الذي أحتاج فيه إليك! فأجاب "**جاكسون**" وهو يضع كتفه تحت إبط السيد "**رافييل**":

- إني آسف يا سيدي... هل ترغب في الخروج إلى الشرفة؟

- خذني إلى البار، أما أنت يا "**استر**" فيمكنك الانصراف لتغيير ملابسك،

وقابلني في الشرفة بعد نصف ساعة. انصرف السيد "**رافيل**" مستنداً إلى "**جاكسون**" في حين ألقت السيدة "**والترز**" بثقلها على المقعد المجاور للآنسة "**ماربل**" وأخذت تدلك ذراعها وهي تقول:

– إنه خفيف الوزن ومع ذلك فإني أشعر الآن بأن ذراعي مخدرة... إنني لم أرك بعد ظهر اليوم يا آنسة "**ماربل**".

– هذا صحيح... لقد كنت جالسة إلى جوار "**موللي كيندال**".. يبدو عليها تحسن كبير.

– إذا سألتني لقلت لك إن حالتها لم تكن لتشكل أية خطورة. رفعت الآنسة "**ماربل**" حاجبيها دهشة وقد لاحظت أن لهجة السيدة "**والترز**" أقرب ما تكون إلى الجفاف، ثم قالت:

– أتعنين أن محاولتها الانتحار...

– لا أظن أنه كانت هناك أية محاولة للانتحار، ولا أستطيع أن أصدق أنها تناولت جرعة قاتلة من ذلك المنوم. والدكتور "**جراهام**" يعرف ذلك جيداً.

– إنك في الواقع تثيرين اهتمامي، وإني لأعجب ما الذي يجعلك تقولين ذلك.

– لأنني أكاد أكون واثقة بأن هذا هو ما حدث... إنها حالة تتكرر كثيراً في أوساطنا، وأعتقد أنها وسيلة من وسائل اجتذاب انتباه الآخرين... إنها عادة تحدث عندما تكون المرأة مغرمة بزوجها ولكنها لا تلقى منه الاهتمام الكافي بها.

– إنك لا تظنين أن "**موللي كيندال**" مغرمة بزوجها؟ فأجابت "**استر**" بتردد:

– الواقع... وأنت؟ هل تظنينها مغرمة به؟ تمهلت الآنسة "**ماربل**" قليلاً قبل أن تجيب عن هذا التساؤل، ثم قالت:

– لقد افترضت ذلك إلى حد ما، وربما كنت مخطئة. ابتسمت "**استر**" ابتسامة ذات مغزى، وقالت:

– لقد سمعت بعض الروايات عنها وعن قصتها بالكامل.

– هل الآنسة "**بريسكوت**" هي التي أخبرتك؟ وهنا انتقلت الآنسة "**ماربل**" بتفكيرها إلى البداية... إلى العقيد "**بالجريف**"... كان ثمة شيء غامض يحاول أن يثبت وجوده في خاطرها.. شيء يتعلق بالعقيد "**بالجريف**". لو استطاعت فقط أن تزيل الغموض عن هذا الخاطر... أن تتذكر.

*****

الفصل الثالث والعشرون

وكان المساء والصباح هما اليوم الأخير... انتبهت الآنسة "**ماربل**" فجأة واعتدلت في مقعدها، ثم أخذت تتساءل عمًا إذا كانت تكلم نفسها، أم أنها قد غفت قليلاً وأخذت تحلم... إن الفرقة الموسيقية النحاسية مازالت تعزف، وإذا أمكن للإنسان أن يغفو في وسط هذا الضجيج.. فإن المعنى الوحيد لذلك هو أنها بدأت تألف هذا المكان. ولكن ما هذا الذي كانت تقوله.. نعم، إنها إحدى الفقرات التي قرأتها في مكان ما، ولكنها أخطأت في استعادة صيغتها.. اليوم الأخير؟ كلا، بل إن صحة النص هي: اليوم الأول ولكن هذا لم يكن هو اليوم الأول، ولعله لن يكون الأخير أيضًا.

أيقنت الآنسة "**ماربل**" أنها في أشد حالات التعب... الحيرة والقلق والشعور بأنها قصرت فيما كان يجب ألا تقصر فيه... إنها تعود الآن للتفكير في تلك النظرة الماكرة التي ألقتها عليها "**موللي**" وهي تتظاهر بالنوم. ترى ما الذي كان يدور بخلد تلك الفتاة؟ إن كل شيء يبدو مختلفًا عمًا رأته في مبدإ الأمر، حيث كانت ترى في "**تيم**" و"**موللي**" نموذجًا لأسعد زوجين. ليس هما فقط، بل والعقيد "**هيلنجدون**" وزوجته وما كانت تصفهما به من أنهما زوجان طيبان و"**جريج دايسون**"... الصاخب المرح، وزوجته اللطيفة "**لاكي**" التي لم تكن لتكف عن الكلام حتى يشعر المستمع إليها أنها أسعد خلق الله، وهؤلاء الأربعة وما يبدو عليهم من التفاهم والتجانس.. ثم "**كانون بريسكوت**"، ذلك الرجل الهادئ العطوف، وشقيقته "**جوان بريسكوت**"، التي تعتبر امرأة لطيفة، وعلى الرغم من لمسة الحقد التي تتخلل عباراتها، ومثل هذا الطراز من النساء لا يستغنين عن الثرثرة وهن يرغِبْن في الوقوف على حقيقة ما يجري حولهن من أحداث، وأن يكون لهن الحق في استنتاج ما يحلو لهن من واقع تلك الأحداث. إنه طراز لا خطر منه، إن ألسنتهن مفلوتة الزمام ولكنهن عادة يبدين العطف على مآسي الآخرين. أما السيد "**رافييل**".. إنه شخصية قوية.. رجل لا يمكن أن ينسى. هنا شعرت الآنسة "**ماربل**" بأنها تعرف شيئًا آخر عن السيد "**رافييل**"... إن الأطباء قد أقروا بعجزهم حياله.. لقد قال لها ذلك بنفسه، ولكنهم الآن قد يكونون أكثر ثقة... وإن السيد "**رافييل**" يعلم أن أيامه باتت معدودة، وفي هذه الحالة... هل كان هناك ما يجب

على السيد "**رافييل**" أن يفعله؟ تباطأت الآنسة "**ماربل**" في تفكيرها عندما وصلت إلى هذا التساؤل... إن الإجابة عنه قد تكون مهمة. ترى ماذا كان يقول لها، وقد علا صوته فوق العادة بلهجة الواثق بما يقول؟ إن الآنسة "**ماربل**" قد اكتسبت خبرة طويلة في تمييز لهجات الأصوات، فهي تقضي معظم وقتها في الإصغاء... إن السيد "**رافييل**" قد قال لها شيئًا ما، ولكنه لم يكن صادقًا فيما قال. تلفتت الآنسة "**ماربل**" وراحت تتأمل ما حولها: نسمة المساء المنعشة،وعبير الزهور، والموائد المتناثرة في الشرفة وما عليها من أضواء حالمة، والنساء في ملابس السهرة التي تبدي فتنتهن، ومن بينهن "**إيفيلين**" وقد ارتدت ثوبًا أزرق مطرزًا بحواشي بيضاء، و"**لاكي**" في ثوبها الأبيض الذي يكاد يلتصق بجسدها وشعرها الذهبي يلمع مع انعكاسات الأنوار الخافتة، وما بدا على الجميع من مرح وسعادة، حتى أن "**تيم كيندال**" نفسه كان يبتسم وهو يقترب من مائدتها ويقول لها:

– إنني عاجز عن شكرك لكل ما بذلته.. إن "**موللي**" تكاد الآن أن تكون في حالتها الطبيعية، ويقول الطبيب إنها تستطيع مغادرة الفراش غداً. ابتسمت له الآنسة "**ماربل**" وأبدت ارتياحها لهذا الخبر ومع ذلك فقد شعرت في قرارة نفسها بأنها وجدت مشقة في الابتسام... لا شك في أنها مجهدة تمامًا. نهضت الآنسة "**ماربل**" من مكانها وسارت بخطى بطيئة نحو كبينتها... كانت تود لو أمكنها الاستمرار في التفكير وتمحيص النتائج وفي محاولة تذكر ما غاب عنها واستجماع مختلف الحقائق والعبارات والنظرات التي مرت بها. ولكنها كانت عاجزة عن ذلك وقد أخذ عقلها المتعب يثور عليها وينادي مطالبًا بالراحة... والنوم. نعم، يجب أن تنام. خلعت الآنسة "**ماربل**" ملابسها واستلقت في فراشها. حاولت أن تقرأ بعض الأشعار من كتاب كانت تحتفظ به إلى جوار فراشها ولكنها لم تستطع فمدت يدها وأطفأت النور وهي تبتهل إلى الله وتعترف لنفسها بأن الإنسان لا يمكنه أن يفعل كل شيء بمفرده.. يجب أن يطلب العون من الآخرين، ومهما يكن من أمر فهي تأمل بل وترجو ألا يحدث شيء في تلك الليلة. استيقظت الآنسة "**ماربل**" من نومها فجأة وهبت جالسة في فراشها. كان قلبها يخفق بشدة ، فأضاءت المصباح ونظرت إلى الساعة الصغيرة الموضوعة بجوار الفراش.. كانت الساعة الثانية صباحًا، ومع ذلك تناهى إلى سمعها صوت ضوضاء في الخارج. أسرعت بمغادرة الفراش وألقت وشاحًا على كتفيها، ولفت رأسها بشال من الصوف الخفيف

وغادرت الكبينة لتستطلع كنه الأصوات التي أيقظتها... كان أول ما شاهدته عدداً من الأشباح تتحرك في الظلام وقد حمل كل منهم بطارية مضيئة، وشاهدت من بينهم "**كانون بريسكوت**"، فيممت شطره وسألته:

– ماذا يجري هنا؟

– أوه، آنسة "**ماربل**"؟ إنها السيدة "**كيندال**".. لقد استيقظ زوجها فلم يجدها في فراشها ونحن نجري البحث عنها. قال ذلك وغادرها مسرعاً في حين تبعته الآنسة "**ماربل**" على مهل.. ترى أين ذهبت "**موللي**"؟ ولماذا خرجت في مثل هذه الساعة المتأخرة من الليل؟ هل فعلت ذلك عن تدبير سابق..؟ انتظرت حتى استغرق زوجها في النوم ثم تسللت خارجة؟ كانت الآنسة "**ماربل**" ترى أن هذا الافتراض جائز، ولكن لماذا تفعل "**موللي**" ذلك؟ هل كانت "**استر والترز**" مصيبة فيما أكدته من أن هناك رجلاً آخر؟ وإذا كان الأمر كذلك فمن هو؟ أم لعل هناك سبباً آخر أكثر بشاعة؟ استمرت الآنسة "**ماربل**" في سيرها تتلفت يميناً ويساراً وتبحث بين الشجيرات، وفجأة سمعت نداء خافتاً:

– هنا... من هذا الاتجاه.. كان النداء صادراً عن مسافة قريبة فيما وراء حديقة الفندق، وخيل إلى الآنسة "**ماربل**" أنه لابد صادر عن جهة الخليج الصغير الذي يوجد عند نهاية الممر المؤدي إلى الشاطئ، فأسرعت الخطى في الاتجاه الذي قدرته. لم يكن عدد الأشخاص الذين خرجوا للبحث عن "**موللي**" كبيراً كما خيل إلى الآنسة "**ماربل**" في بداية الأمر، ولا غرابة في ذلك إذ إن معظم النزلاء نيام في حجراتهم. كان الباحثون قد تجمعوا عند حافة الخليج الصغير وبينما هي في طريقها إليهم اصطدم بها شخص يعدو لاهثاً في نفس الاتجاه كاد أن يطرحها أرضاً وقد عرفت فيه "**تيم كيندال**". وقبل أن تصل إلى الجمع سمعت صوت "**تيم**" وهو يصيح:

– "**موللي**"! يا إلهي، "**موللي**"! أسرعت الآنسة "**ماربل**" الخطى نحو الجمع فوجدته يتكون من أحد السقاة الكوبيين و"**إيفيلين هيلنجدون**" وفتاتين من خدم الفنادق الوطنيات.. كانوا قد تباعدوا عن بعضهم ليفسحوا طريقاً لـ "**تيم**"، وشاهدته وهو يجثو فوق الجسم الراقد على الأرض وهو يكرر صيحته:

– "**موللي**".. شاهدت الآنسة "**ماربل**" الجسد الملقى على حافة الخليج، وكان الوجه مغموراً تحت سطح الماء بينما تهدل الشعر الذهبي فوق الشال الأخضر المطرز

الذي كان يكسو الكتفين. وعندما مد "تيم" يده محاولا لمس الجثة بادرت الآنسة "ماربل" بهدوئها المعتاد وخبرتها بمثل هذه المواقف فصاحت به بصوت آمر:

– لا تحركها يا سيد "كيندال"... يجب ألا تحركها. رفع "تيم" وجهه نحو الآنسة "ماربل" وكأنه لا يصدق أذنيه وقال:

– ولكن... يجب... إنها "موللي".. يجب... وهنا تدخلت "إيفيلين هيلنجدون" ولمست كتفه برفق وهي تقول:

– "تيم"، تشجع.. إنها ميتة... إنني لم أحركها من موضعها ولكني جسست نبضها. فأجاب "تيم" بذهول:

– ميتة؟! "موللي" ماتت؟ أتعنين أنها... أغرقت نفسها؟

– أخشى ذلك.

– ولكن لماذا؟ ثم ندت عنه صرخة مكتومة وأردف:

– لماذا بحق السماء؟ كانت في منتهى السعادة هذا الصباح، وكنا نناقش ما سوف نفعله في الغد. كيف يمكن أن تعاودها هذه الفكرة الفظيعة.. لماذا تتسلل بهذه الطريقة في جوف الليل، وتقطع كل هذه المسافة لتغرق نفسها..؟ لماذا كل هذا اليأس من الحياة، لماذا لم تصارحني بما كان يضايقها؟ فقالت "إيفيلين" مواسية:

– لا أحد يعرف يا عزيزي... الحقيقة أنني لا أدري. وقالت الآنسة "ماربل":

– يحسن أن يذهب أحدكم لاستدعاء الطبيب كما يجب إخطار الشرطة.

فصاح "تيم" بمرارة:

– الشرطة! وما الفائدة؟

– إن الشرطة يجب أن تخطر في حالة الانتحار. نهض "تيم" واقفًا بتثاقل وقال:

– سأذهب لاستدعاء الدكتور "جراهام". ومن يدري، فربما استطاع أن يفعل شيئًا. انصرف "تيم" ميممًا شطر الفندق في حين وقفت "إيفيلين هيلنجدون" إلى جوار الآنسة "ماربل" وهما يتأملان الجثة الراقدة على حافة الماء، ثم قالت "إيفيلين":

– لا فائدة... لقد ماتت تمامًا... إن برودة جسمها تدل على أنها فارقت الحياة منذ ساعة على الأقل... يا لها من مأساة! إن هذين الزوجين كانا من أسعد الأزواج، وأنا أعتقد أن قواها العقلية لم تكن في حالة اتزان.

– كلا، لا أعتقد أن قواها العقلية كان بها أي اختلال. فنظرت إليها "**إيفيلين**" باستغراب وقالت:

– ماذا تقصدين؟ وقبل أن تجيب الآنسة "**ماربل**" انقشعت السحابة الخفيفة التي كانت تحجب ضوء القمر، وبدا القمر بدراً ينشر ضوءه على الأرض وانعكست أشعته الفضية على الشعر الذهبي الذي كان يغطي كتفي القتيلة. وما لبثت الآنسة "**ماربل**" أن أطلقت صيحة تعجب، ومالت بجسمها تدقق النظر في الجثة المسجاة أمامها ثم مدت يدها ولمست الرأس الذهبية، وقالت مخاطبة "**إيفيلين**" بصوت لا يكاد يمت بصلة لصوتها الطبيعي:

– أظن أننا يجب أن نتأكد. حملقت إليها "**إيفيلين**" بذهول وقالت مستنكرة:

– ولكنك أنت نفسك قلت لـ "**تيم**" إنه يجب عدم لمس الجثة!

– أعرف، ولكن القمر كان محتجبا، ولم أكن قد رأيت.. قالت ذلك وهي تمد يدها وتباعد بين خصلات الشعر عند منابتها، ثم مدت أصبعها تشير إليها وهي تنظر إلى "**إيفيلين**" التي ما لبثت أن صاحت:

– "**لاكي**"!! وبعد لحظة من الصمت أردفت:

– إنها ليست "**موللي**"... هذه هي "**لاكي**"! حنت الآنسة "**ماربل**" رأسها إيجابا وقالت:

– إن شعرهما لا يكاد يفترق في لونه ولكن شعر "**لاكي**" يختلف في أن منابته سوداء لأنها تصبغه.

– ولكنها تضع على كتفيها الشال الأخضر الخاص بـ "**موللي**".

– لا غرابة في ذلك، فهي قد أبدت إعجابها به، وقد سمعتها تقول إنها ستشتري واحدا مثله ولابد أنها فعلت ذلك.

– إذن فهذا هو السبب في أننا أخطأنا تمييز شخصية الجثة.. توقفت "**إيفيلين**" عن استكمال عبارتها وهي تحملق إلى وجه الآنسة "**ماربل**" التي نظرت إليها وقالت:

– يجب إخطار زوجها. لم تجب "**إيفيلين**" في الحال، ثم قالت:

– حسنا، سأفعل ذلك. انصرفت "**إيفيلين**" مخترقة أشجار النخيل في حين ظلت الآنسة "**ماربل**" لحظة في مكانها دون حراك، ثم أدارت رأسها قليلاً وقالت:

– حسنًا يا سيادة العقيد "**هيلنجدون**"؟ برز "**إدوارد هيلنجدون**" من بين الأشجار خلف الآنسة "**ماربل**" واقترب منها قائلاً:

– كنت تعرفين أنني هنا؟

– لقد رأيت ظلك. ران الصمت بينهما لحظة قصيرة، ثم تكلم "**إدوارد**" وكأنه يخاطب نفسه:

– إذن فهذه هي النهاية... لقد تحدت حظها أكثر مما يجب.

– أظنك مسرورًا لموتها؟

– وهل يفزعك ذلك؟ أجل. أنا لا أنكر أنني مسرور لموتها.

– إن الموت كثيرًا ما يضع الحلول للمشاكل المستعصية. أدار "**إدوارد**" رأسه ببطء وهو ينظر إلى الآنسة "**ماربل**" بثبات، وقال:

– إذا كنت تظنين... وهنا تقدم "**إدوارد**" خطوة نحوها وقد بدت على ملامحه أمارات الوعيد، ولكن الآنسة "**ماربل**" واجهته بثبات وقالت بصوت هادئ:

– إن زوجتك ستعود مع السيد "**دايسون**" بعد لحظات، كما أن السيد "**كيندال**" سيحضر هو الآخر ومعه الدكتور "**جراهام**". استعاد "**إدوارد**" بعض هدوئه وأدار رأسه يتأمل المرأة المسجاة على حافة الخليج، فانتهزت الآنسة "**ماربل**" هذه الفرصة وتسللت مبتعدة عن المكان وسرعان ما اتسعت خطواتها وأخذت تهرول في طريقها إلى الفندق. وقبل أن تصل إلى كبينتها توقفت فجأة وهي تنظر حولها.. إن هذا هو المكان الذي كانت تجلس فيه مع العقيد "**بالجريف**" وهو يروي لها القصة ثم يخرج محفظته ليطلعها على صورة القاتل... إنها الآن تتذكر كيف رفع بصره عن الصورة، ثم احتقن وجهه فجأة، وتراءت لها صورته في تلك اللحظة أقرب شبهًا من ذي قبل بالضفدعة المحنطة، أو كما قالت السنيورا "**دي كاسبيرو**": "إنه كان يجلب النحس. كانت له عين شريرة..". العين الشريرة... العين... العين..

الفصل الرابع والعشرون

لم يكن السيد "**رافييل**" قد شعر بشيء مما جرى في جوف الليل. كان مستغرقًا في النوم يتصاعد من فمه غطيط خفيف عندما شعر بمن يمسك بكتفيه ويهزه بعنف،

ففتح عينيه مفزوعًا وهو يصيح:

– ما هذا بحق السماء؟ فاجابته الآنسة "**ماربل**":

– أنا، وأعتقد أن قدماء الإغريق لو رأوني في هذه الحالة لشبهوني بالإلهة "**نميسيس**". رفع السيد "**رافيل**" رأسه مستنداً إلى مرفقيه بقدر ما سمحت له حالته وأخذ يحملق إلى وجه الآنسة "**ماربل**" وهي تقف إلى جوار فراشه وضوء القمر يتلألأ من خلفها، وقد لفت رأسها في وشاح من الصوف الوردي وبدت فعلاً كالإلهة التي ذكرتها، إلهة العدالة والانتقام لدى قدماء الإغريق، فقال:

– إذن فانت "**نميسيس**"؟

– آمل أن أكونها، إذا ساعدتني، ولهذا جئت إليك.

– هلا تفضلت بإخباري عم تتكلمين وماذا تفعلين هنا في جوف الليل؟

– أعتقد أننا يجب أن نتصرف بسرعة، بل باسرع ما يمكن، لقد كنت غبية... بل في منتهى الغباء.. كان يجب أن أدرك الحقيقة منذ اللحظة الأولى.. لقد كان الأمر كله في غاية البساطة.

– عم تتكلمين؟

– إنك نمت طويلاً يا سيد "**رافيل**"، وبينما أنت مستغرق في النوم عثر القوم على جثة. كنا نظن في مبدإ الأمر أنها جثة "**موللي كيندال**" ولكنها لم تكن جثتها بل جثة "**لاكي دايسون**" وقد لقت حتفها في الخليج. فبدت الدهشة على وجه السيد "**رافيل**" وزاد تنبهه ثم قال:

– "**لاكي**" غريقة في الخليج فهل أغرقت نفسها أم أن شخصًا آخر فعل ذلك بالنيابة عنها؟

– بل إن شخصًا آخر أغرقها.

– أظنني بدأت أفهم.. أليس هذا هو ما كنت تعنينه بقولك إن الأمر في غاية البساطة؟ كان "**جريج دايسون**" هو المسؤول الأول وقد صح اشتباهنا فيه. أليس هذا هو ما تظنين؟ وأنت الآن تخشين أن يفلت من القصاص. ندت عن الآنسة "**ماربل**" زفرة عميقة، ثم قالت:

– سيد "**رافيل**"، هل يمكنك أن توليني ثقتك؟ يجب أن نتعاون لمنع وقوع جريمة قتل، وليس أمامنا دقيقة واحدة نضيعها.

– ظننتك تقولين إنها وقعت فعلاً؟

– الجريمة التي وقعت لم تكن هي المقصودة، والضحية الحقيقية تقف الآن على حافة الموت؛ لذلك فلا وقت لدينا نضيعه ويجب أن نحول دون وقوعها. يجب أن نتصرف فوراً.

– من السهل عليك أن تتكلمي هكذا.. إنك تكثرين من تكرار كلمة "نحن" ... ماذا تظنينني مستطيعاً أن أفعله؟ أنت تعلمين أنني لا أستطيع مجرد المشي دون مساعدة، فكيف نستطيع "نحن" أن نمنع وقوع جريمة قتل؟ إن وزنك لا يتجاوز خمسة وأربعين كيلوجراما أما أنا فلست إلا حطاماً.

– أنا لا أريدك أنت، وإنما أقصد "**جاكسون**"... إنه لن يتردد في تنفيذ كل ماتأمره به، أليس كذلك؟

– هذا صحيح، ولاسيما إذا وعدته بحسن الجزاء... أهذا هو ما ترمين إليه؟

– نعم. هيا اطلب منه أن ياتي معي وأن ينفذ كل ما سأطلبه منه. أخذ السيد "**رافييل**" ينظر إليها لبضع ثوان، ثم قال:

– لك ذلك، وإن كنت أظن أنني مقدم على أعظم مخاطرة مرت بي في حياتي.. وعلى كل حال فلن تكون الأولى. قال ذلك، ثم رفع صوته منادياً:

– "**جاكسون**"... وفي نفس الوقت أخذ يضغط بأصبعه على زر الجرس المجاور للفراش. لم تمض ثلاثون ثانية حتى كان "**جاكسون**" يدخل مهرولاً من الباب المؤدي إلى الحجرة المجاورة وهو يقول:

– هل ناديتني يا سيدي وهل دققت الجرس؟ هل حدث شيء... بتر "**جاكسون**" كلامه وأخذ يحملق إلى وجه الآنسة "**ماربل**" وقد تملكته الدهشة لوجودها في حجرة مخدومه في مثل هذه الساعة، ولكن السيد "**رافييل**" صاح به:

– "**جاكسون**، عليك منذ هذه اللحظة ان تنفذ كل ما سأقوله لك: ستذهب مع الآنسة "**ماربل**"، ستذهب معها إلى أي مكان تقودك إليه وتفعل كل ما تطلبه منك بدقة، هل فهمت؟

– أنا...

– هل فهمت؟

– أجل يا سيدي.

– وإذا فعلت فلن تندم... سوف أجزل لك العطاء.

– شكراً، شكراً يا سيدي. فقالت الآنسة "**ماربل**" وهي تتجه إلى الخارج:

– هيا بنا يا سيد "**جاكسون**". ثم التفتت خلفها وقالت للسيد "**رافييل**":

– سوف نمر في طريقنا بالسيدة "**والترز**" ونطلب منها أن توافيك... اطلب منها أن تساعدك على مغادرة الفراش واللحاق بنا.

– ألحق بكم، أين؟

– في كبينة "**كينداك**"... أعتقد أن "**موللي**" سوف تعود إلى هناك.

*****

عادت "**موللي**" عن طريق الممر الموصل إلى البحر وكانت عيناها تحدقان إلى الفضاء أمامها وهي تغمغم بعبارات غير واضحة من وقت إلى آخر. صعدت الدرج المؤدي إلى الشرفة، وتوقفت لحظة، ثم اتجهت نحو الباب الزجاجي المؤدي إلى حجرة نومها ففتحته ودلفت إلى الداخل.. كانت الأنوار مضاءة في الحجرة، أما الحجرة فكانت خالية، فاتجهت "**موللي**" نحو الفراش وجلست على حافته. وظلت في هذا الوضع بضع دقائق لا تبدي حراكًا سوى رفع يدها إلى جبهتها بين الحين والآخر وتدليكها وهي في حالة استغراق عميق. وفجأة ألقت نظرة خاطفة حولها ثم مدت يدها تحت الحشية وأخرجت الكتاب الذي كانت تخبئه هناك، وأخذت تقلب صفحاته إلى أن عثرت على الصفحة المطلوبة، ولكن قبل أن تتمادى في القراءة تناهى إلى سمعها صوت أقدام تعدو في الخارج وهي تقترب من الحجرة، فرفعت رأسها عن الكتاب وبحركة سريعة كحركة من يفاجأ بارتكاب ذنب أخفت الكتاب خلف ظهرها. دخل "**تيم كينداك**" الحجرة وهو يلهث، وما كاد يرى "**موللي**" حتى أطلق زفرة ارتياح وقال:

– شكرًا لله، أين كنت يا "**موللي**"؟ لقد بحثت عنك في كل مكان.

– ذهبت إلى الخليج.

– إلى أين؟

– ذهبت إلى الخليج ولكني لم أستطع البقاء هناك. كان هناك شخص تحت الماء، كانت ميتة..

– أتعنين... هل تعلمين أنني ظننتك إياها.. لقد تبين لي الآن أنها "**لاكي**".

– لم أقتلها.. صدقني يا "**تيم**"، أنا لم أقتلها.. أنا واثقة بذلك.. أعني أنني لابد أن أتذكر إذا كنت قد قتلتها، أليس كذلك؟ جلس "**تيم**" على حافة الفراش وقال بصوت عال:

– إنك لم.. هل أنت واثقة بذلك؟ أوه، كلا بالتأكيد أنت لم تقتليها.. كفي عن التفكير بهذه الطريقة. إن "**لاكي**" قد أغرقت نفسها... لابد إنها أغرقت نفسها... إن "**هيلنجدون**" قد أهملها تمامًا فما كان منها إلا أن ذهبت إلى الخليج ووضعت رأسها تحت الماء.

– إن "**لاكي**" لايمكن أن تفعل ذلك، ولكنني لم أقتلها.. أقسم أنني لم أفعل ذلك.

– بالتأكيد يا عزيزتي، بالتأكيد. قال ذلك وهو يحيطها بذراعه، ولكنها أبعدته عنها ونهضت واقفة وهي تقول:

– إنني أكره هذا المكان. كان يجب أن يكون دائم البهجة ولكن الكآبة أصبحت تغمره.. إن أشباحًا شريرة تخيم عليه... أشباحًا سوداء، وهي ترفرف فوق رأسي ولا أستطيع منها فكاكًا. أخذ صوت "**موللي**" يعلو بالتدريج وهي تتكلم حتى كاد يبلغ حد الصراخ، فحاول "**تيم**" تهدئتها وهو يقول:

– أخفضي من صوتك يا "**موللي**"... بحق السماء لا تصرخي هكذا. هب "**تيم**" واقفًا وذهب إلى الحمام ثم عاد وبيده كوب، وقال وهو يقدمه لها:

– هيا... اشربي هذا... إنه سيعيد إليك هدوءك.

– لا... لا أستطيع أن أشرب شيئًا... إن أسناني تصطك.

– بل تستطيعين، هيا يا حبيبتي.. اجلسي هنا على الفراش. عاد "**تيم**" ليحيط "**موللي**" بذراعه ثم أدنى الكوب من فمها وهو يقول:

– هذه هي فتاتي العاقلة، هيا اشربي.. وهنا صدر صوت من خلف الباب الزجاجي.. كان صوت الآنسة "**ماربل**" وقد بدا واضحًا وحازمًا وهي تقول:

– "**جاكسون**"، هيا. خذ هذا الكوب وحافظ عليه جيداً.. خذ حذرك، إنه قوي ومن المحتمل أن يتحول إلى ثور هائج. كان هناك شيء ما يميز "**جاكسون**"، ذلك أنه تدرب على إطاعة الأوامر.. كان من ذلك الطراز الذي يعبد المال، وقد وعده السيد "**رافييل**" بجائزة مالية، والسيد "**رافييل**" رجل يقدس الوعود. وفضلاً على ذلك فقد كان "**جاكسون**" ذا قوام رياضي مفتول العضلات خفيف الحركة رشيقها. عبر "**جاكسون**" الحجرة في لمح البصر وامتدت إحدى يديه فأمسكت بالكوب الذي كان في تلك اللحظة يلامس شفتي "**موللي**"، وأحاط عنق "**تيم**" بذراعه الأخرى، وبحركة بارعة تمكن من ثني رسغ "**تيم**" واستخلاص الكوب من

يده. وقد حاول "تيم" التخلص من قبضة "**جاكسون**" ولكن هذا الأخير كان متمكنًا منه تمامًا، فاخذ يصيح وهو يحاول التملص منه:

– ما هذا بحق السماء! دعني. قلت لك دعني. هل جننت يا رجل، ماذا تفعل؟ فقالت الآنسة "**ماربل**":

– لا تدعه يفلت منك يا "**جاكسون**". وهنا جاء صوت السيد "**رافييل**" وهو يدخل الحجرة من الباب الخارجي مستندًا إلى ذراع السيدة "**والترز**" وهو يقول:

– ماذا يجري هنا؟ فصاح "**تيم**":

– أتسأل ماذا يجري؟ إن رجلك هذا قد أصابه الجنون... هذا هو ما يجري... مره بأن يتركني. ولكن السيدة "**ماربل**" قاطعته قائلة:

– كلا... لا تتركه يا "**جاكسون**". فالتفت السيد "**رافييل**" نحوها، وقال:

– تكلمي يا "**نميسيس**".. يجب أن تسمعينا القصة.

– لقد كنت غبية، ولكني الآن لست كذلك.. عندما يجري تحليل محتويات هذا الكوب التي كان يحاول تجريعها لزوجته فإني أراهن بكل ما هو عزيز لديَّ أنهم سيجدون فيها كمية كبيرة من المواد المخدرة. إنه نفس الأسلوب الذي ذكره العقيد "**بالجريف**" في قصته: الزوجة المكتئبة التي تحاول الانتحار، والزوج الوفي ينقذها في اللحظة الأخيرة، ولكن المحاولة الثانية تنجح وتموت الزوجة. نعم.. إنه نفس المنوال. لقد روى لي العقيد "**بالجريف**" القصة، ثم أخرج صورة القاتل ليطلعني عليها وعندما رفع بصره وشاهد... حاول السيد "**رافييل**" أن يكمل العبارة فقال:

– فوق كتفك اليمنى..

– كلا... إنه لم يشاهد شيئًا فوق كتفي اليمنى.

– ماذا تقولين؟ إنك أخبرتني..

– إن ما أخبرتك به كان خطأ.. لقد كنت مخطئة تمامًا، بل لقد أظهرت من الغباء ما لا يمكن التسامح فيه... إن العقيد "**بالجريف**" كان يبدو وكأنه ينظر فوق كتفي اليمنى، بل قل إنه كان يحملق إلى شيء ما، ولكنه لم يكن ليستطيع أن يرى شيئًا؛ لأنه كان يحملق بعينه اليسرى... وعينه اليسرى كانت هي العين الزجاجية. فقال السيد "**رافييل**":

– الآن أستطيع أن أتذكر أنه كانت له فعلاً عين زجاجية... كنت قد نسيت ذلك... أتعنين أنه لم يكن ليستطيع أن يرى شيئًا؟

– بل كان يستطيع أن يرى، ولكن بعين واحدة، وكانت العين التي يستطيع أن يرى بها هي عينه اليمنى. وهكذا فإن الشيء الذي كان ينظر إليه لم يكن وراء كتفي اليمنى بل وراء الكتف اليسرى.

– وهل كان هناك أحد خلفك من جهة اليسار؟

– أجل... كان "**تيم كيندال**" وزوجته يجلسان قريبًا منا ... كانا يجلسان إلى مائدة بالقرب من بعض أحواض الزهور وقد انهمكا في مراجعة حسابات الفندق، وهكذا فإن "**العقيد**" عندما رفع بصره عن الصورة كانت عينه اليسرى، وهي العين الزجاجية تبدو كأنها تحملق خلف كتفي اليمنى، أما ما رآه فعلاً بعينه الأخرى، فقد كان رجلا يجلس بالقرب من بعض شجيرات الزهور وكان الوجه الذي رآه في الصورة، وإن كان يبدو أكبر سنًا. لقد سمع "**تيم كيندال**" القصة كما كان يرويها لي "**العقيد**" ثم شاهد "**العقيد**" وهو يخرج الصورة ولاحظ أنه تعرف إليه؛ ولذلك فقد اضطر إلى قتله. وفيما بعد اضطر إلى قتل الفتاة "**فيكتوريا**" لأنها رأته وهو يضع زجاجة أقراص "السيرينايت" في حجرة "**العقيد**".. لم تكن الفتاة قد ساورها أي شك في مبدإ الأمر؛ لأنه كان طبيعيًا أن يدخل "**تيم كيندال**" كبائن النزلاء من وقت إلى آخر، وكان من المحتمل في نظرها أن يكون وجود "**تيم**" في حجرة "**العقيد**" هو ليعيد إليها شيئًا كان "**العقيد**" قد نسيه في الفندق، ولكنها عندما عادت للتفكير في الأمر بعد مقتل "**العقيد**" أخذت تسأله بعض الأسئلة وبذلك حكمت على نفسها بالموت، ولكن هذه المحاولة التي أفسدناها هي الجريمة الأصلية التي كان يخطط لها منذ البداية.. إن "**تيم كيندال**" هذا هو قاتل الزوجات. وهنا قاطعها "**تيم**" صارخًا:

– ما هذه السخافات، ما.. ولكنه لم يتم عبارته إذ انطلقت فجأة صرخة هستيرية مشحونة بالغضب من "**استر والترز**"، وتركت ذراع السيد "**رافييل**" بعنف كاد يؤدي إلى سقوطه، ثم اندفعت عبر الحجرة وأخذت تشد "**جاكسون**" وهي تصيح:

– دعه، دعه.. هذا غير صحيح... ليس في كل ما قيل كلمة واحدة صحيحة.. "**تيم**"، "**تيم**" حبيبي.. قل إن هذا غير صحيح.. إنك لا يمكن أن تقتل أحداً.. أنا أعرف أنك لا تستطيع.. إنها تلك الفتاة الفظيعة التي تزوجتها... إنها كانت تنشر حولك الأكاذيب... كل هذا الذي قيل كذب... إنني أثق بك وأنا

أحبك. . . لن أصدق أبداً كلمة واحدة مما قيل. . إنني. . وهنا فقد "**تيم كيندال**" السيطرة على أعصابه وصاح بها في شراسة:

– اخرسي أيتها البلهاء. . أتريدين منهم أن يشنقوني؟ فقال السيد "**رافييل**" بصوت خافت:

– يا للمرأة الغبية المسكينة. . إذن فهذا هو ما كان يجري حولنا. .

الفصل الخامس والعشرون

جلس السيد "**رافييل**" والسيدة "**ماربل**" على انفراد وكأنهما في مؤتمر خاص. . . وقال السيد "**رافييل**":

– إذن فهذا هو ما كان يجري حولنا؟ كانت "**استر**" على علاقة غرامية مع "**تيم كيندال**"، أليس كذلك؟

– من الصعب أن نسميها علاقة، وفي تصوري أنها لم تكن تتعدى اتصالاً عاطفيًا على أساس الزواج مستقبلاً.

– ماذا تقولين! أكان ينوي الزواج بعد وفاة زوجته؟

– لا أظن أن "**استر والترز**" المسكينة كانت تعرف أن "**موللي**" كانت ستموت. إن ما أتصوره أنها صدقت ما قصه عليها "**تيم**" من أن "**موللي**" كانت تحب رجلاً آخر وأن هذا الرجل يتبعها إلى هنا؛ ولذا فإني أستطيع أن أتخيل أنها كانت تتوقع أن يحصل "**تيم**" على الطلاق. إنها في رأيي لم تتجاوز حدود التحفظ واللياقة، ولكنها كانت متدلهة في حبه.

– من السهل إدراك ذلك، فهو رجل جذاب، ولكن ما الذي يجعل "**تيم كيندال**" يتعلق بها. . هل تعرفين ذلك أيضاً؟ فقالت الآنسة "**ماربل**" بتخابث وهي تبتسم:

– وأنت، الا تعرف؟

– أستطيع أن أخمن، ولكنني لا أدري كيف تمكنت أنت من معرفته، والأكثر من ذلك كيف تمكن "**تيم**". .

– الواقع أنني أستطيع أن أفسر كل ذلك باستعمال قدر معقول من الخيال، ولكن الأمر يصبح أكثر بساطة لو أخبرتني أنت.

– كلا. لن أخبرك، تخيلي ما شئت ما دمت بهذه المهارة.

– حسنًا.. إن ما أتخيله، وكما سبق أن ألمحت لك، هو أن "**جاكسون**" قد دأب على العبث بأوراقك من وقت إلى آخر.

– وكما قلت لك فإن هذا محتمل جدًا.

– أستطيع إذن أن أتصور أنه اطلع على وصيتك.

– أوه، فهمت.. أجل.. كانت لديَّ صورة من الوصية.. الآن أتذكر ذلك.

– ولقد أخبرتني بأنك لم توصِ بشيء لـ "**استر والترز**" وأنك أكدت لها هذه الحقيقة، كما أكدتها لـ "**جاكسون**".. أما أنك لم توصِ بشيء لـ "**جاكسون**"، فهذا صحيح، ولكنك تركت مالاً لـ "**استر**" ولو أنك لم تكن تنوي أن تجعلها تخمن شيئًا من ذلك.. هل هذا صحيح؟

– أجل، إنه صحيح، وإن كنت لا أدري كيف علمت أنت به.

– من الطريقة التي كنت تحاول أن تؤكد بها العكس. إن لي بعض الخبرة بالطرق التي يتبعها بعض الناس عندما يكذبون.

– إني أسلم لك بالانتصار.. حسنًا، لقد تركت لـ "**استر**" مبلغ خمسين ألف جنيه.. ستكون مفاجأة سارة لها بعد وفاتي. وأستطيع الآن أن أتصور كيف أن "**تيم كيندال**"، بعد أن عرف بهذه الحقيقة، قرر أن يتخلص من زوجته الحالية بإعطائها السم، ثم يتزوج هذه الثروة ومعها "**استر والترز**". ومن المحتمل أنه لم يكن ليجد مانعا من التخلص منها هي الأخرى في الوقت المناسب، ولكن كيف عرف هو بأنها سترث هذا المبلغ؟

– من "**جاكسون**" بالتأكيد.. لقد كان الاثنان على مودة وثيقة.. كان "**تيم كيندال**" يظهر كثيراً من المجاملة لـ "**جاكسون**" ولم يكن يرمي بذلك إلى أي غرض سيئ، ولكن في خلال المحادثات التي كانت تدور بينهما أفلت لسان "**جاكسون**" وأخبر "**تيم**" بأن "**استر والترز**" لا تعرف أنها سترث ثروة طائلة، وربما قال له "**جاكسون**" إنه يأمل أن يقنعها بالزواج به، على الرغم من أنه لم يفلح حتى الآن في اكتساب عطفها. أجل.. أعتقد أن هذا هو ما حدث.

– إن الأشياء التي تتخيلينها تبدو دائمًا معقولة.

– ولكنني كنت غبية، بل مفرطة في الغباء.. إن كل شيء يبدو الآن مطابقًا للواقع تمامًا.. كان "**تيم كيندال**" رجلاً ماهرًا جدًا وفي الوقت نفسه شريرًا جدًا. وقد ظهرت مهارته بصفة خاصة في ترويج الإشاعات... إن أغلب الروايات التي

سمعتها هنا كان هو مصدرها.. من ذلك ما سمعته من أن "**موللي**" كانت ترغب في الزواج برجل غير مرضي عنه وإن كنت أرجح أن يكون هذا الرجل هو "**تيم كيندال**" نفسه، ولو أن هذا الاسم لم يكن هو الاسم الذي كان يعرف به في ذلك الوقت.. كان أهلها قد سمعوا عنه ما لا يسر؛ ولذلك قام بإخراج تمثيلية رائعة، فرفض أن يقابل أهل "**موللي**" واتفق معها على خطة ماكرة وضعها واعتبرها نوعاً من المداعبات الفكهة فتظاهرت "**موللي**" بتمسكها بذلك الشاب وفجأة يظهر "**تيم كيندال**" معززاً بأسماء عدد من أصدقاء الأسرة، فرحبوا به واعتبروه نموذجاً للشاب الذي يستطيع أن يزيح شبح الشاب الآخر من ذهن "**موللي**"، ومما يؤسف له أنه هو و"**موللي**" قد ضحكا كثيراً لنجاح هذه المهزلة، ومهما يكن من أمر فقد تزوجها واستخدم مالها في شراء هذا الفندق وجاءا ليستقرا فيه، وأستطيع أن أتخيل أيضاً أنه لم يبق على شيء مما كانت تمتلك. وفجأة يعثر على "**استر والترز**" ويرى فيها مشروعاً جديداً دسماً. فقاطعها السيد "**رافييل**":

– لماذا لم يتخلص مني؟ تظاهرت الآنسة "**ماربل**" بالسعال، ثم قالت:

– أعتقد أنه أراد أن يتأكد أولاً من السيدة "**والترز**".. هذا من جهة، ومن جهة أخرى.. أقصد... توقفت الآنسة "**ماربل**" وهي تشعر بالحرج من إتمام عبارتها فقال السيد "**رافييل**" مكملاً:

– وأنه تحقق من أنه لن يضطر إلى الانتظار طويلاً، وأنه من الأفضل لي وله أن أموت موتة طبيعية... وفضلاً على ذلك فإن وفاة أحد أصحاب الملايين لا يمكن أن تمر بنفس البساطة التي تمر بها وفاة أية زوجة.

– أعتقد أنك على حق.. لقد كان بارعاً للغاية في إطلاق الأكاذيب.. يكفي أن ننظر إلى الأكاذيب التي جعل "**موللي**" نفسها تصدقها، بوضعه ذلك الكتاب الذي يبحث في الأمراض العقلية في متناول يدها، ثم إعطائها عقاقير تسبب لها أحلاماً وهذياناً. أتدري... إن "**جاكسون**" كان ماهراً في هذا الصدد! أعتقد أنه عرف بعض الأعراض التي كانت تبدو على "**موللي**"، وأدرك أنها مما قد ينتج من المخدرات، وهذا هو ما جعله يتسلل إلى كبينتها ويعبث بالآنية التي كانت في الحمام.. إن كريم الوجه الذي كان يتفحصه قد أوحى إليه بفكرة تربطه بالقصص القديمة التي تتعلق بالسحرة الذين كانوا يدلكون أجسامهم بالدهون المحتوية على البلادونا، وهذا العقار إذا وضع يؤدي إلى نفس النتيجة، وهي نوبات الغيبوبة

أو فقدان الذاكرة التي كانت "**موللي**" تتعرض لها.. لقد كانت تمر بها أوقات لا تستطيع أن تتذكر عنها شيئا، ثم تلك الأحلام التي كانت تتخيل فيها نفسها طائرة في الهواء. لا عجب في أن الخوف تملكها من اختلال عقلها، فإن كل هذه الظواهر تطابق بعض الأعراض المميزة لكثير من الأمراض العقلية. لقد كان "**جاكسون**" يسير في الطريق الصحيح، وربما كان العقيد "**باجريف**" هو الذي أوحى إليه بالفكرة عن طريق القصص التي كان يرويها عن استخدام النساء الهنديات للداتورة للسيطرة على أزواجهن. تمهلت الآنسة "**ماربل**" قليلاً لتلتقط أنفاسها، فقال السيد "**رافييل**":

– العقيد "**باجريف**"! يا له من رجل!

– لقد حكم على نفسه بالموت، كما حكم به على الفتاة المسكينة "**فيكتوريا**"، وكاد أن يقضي على "**موللي**". ومهما يكن من أمر فلا شك في أنه قد تعرف فعلاً إلى قاتل.

– وما الذي جعلك تتذكرين عينه الزجاجية فجأة؟

– كانت بعض العبارات التي وردت عرضًا في حديث لي مع السنيورا "**دي كاسبيرو**".. كانت تتكلم وتثرثر عن دمامة العقيد "**باجريف**" وأن له عينا شريرة، وقد حاولت أنا أن أدافع عن "**العقيد**" فقلت لها إنها مجرد عين زجاجية وأنه لا ذنب لـ "**العقيد**" المسكين في ذلك، ثم قالت هي إن عينيه تنظران في اتجاهين مختلفين في نفس الوقت لأن بهما حولا شديداً.. وبالتأكيد كان ذلك صحيحا، ثم قالت هي إن مثل هاتين العينين تجلبان النحس. لقد كنت أعرف أنني سمعت شيئا مهمًا في ذلك اليوم ولكنني لم أتمكن من تحديده حتى كانت الليلة الماضية، بعد اكتشاف جثة "**لاكي**"، حيث سطعت الحقيقة أمام عيني وأدركت لتوي أننا يجب أن نتصرف دون أي إبطاء.

– ولكن كيف حدث أن أخطأ "**تيم كيندال**" شخصية ضحيته؟

– مجرد مصادفة... أعتقد أن خطته كانت كالآتي. بعد أن أقنع الجميع، بما فيهم "**موللي**" نفسها، بأن قواها العقلية ليست متزنة، وبعد أن أعطاها جرعة كبيرة من العقار الذي كان يستخدمه معها، أخبرها بأنه باستطاعتهما وحدهما أن يميطا اللثام عن الجريمتين اللتين وقعتا في الجزيرة، وما عليها إلا أن تساعده. فبعد أن ينام الجميع يخرج كل منهما في اتجاه معين على أن يتقابلا في نقطة معينة عند

حافة الخليج الصغير. وربما أضاف أن لديه فكرة قوية عن شخصية القاتل وأنهما سينصبان له فخًا. وقد أطاعته "موللي" ولكنها كانت لا تزال واقعة تحت تأثير المخدر الذي أعطاه لها، ولذلك فقد أبطأت في سيرها نحو المكان المتفق عليه. أما "تيم" فقد وصل إليه قبلها وشاهد ما خيل إليه أنها "موللي"... الشعر الذهبي والشال الأخضر. فتسلل خلفها ووضع يده على فمها ليمنعها من الصراخ ثم غمر رأسها تحت الماء وأبقاها هناك.

– يا له من زوج ظريف! ولكن ألم يكن من الأسهل له أن يكتفي بإعطائها جرعة أكبر من المخدر وينتهي الأمر؟

– بالتأكيد كان ذلك أسهل، ولكنه كان كفيلاً بأن يثير الشك. إن كل ما كان لدى "موللي" من مواد مخدرة أو مهدئة قد أبعد عنها كما تذكر، فإذا هي حصلت على قدر آخر، فمن هو أقرب الناس لتمكينها من ذلك سوى زوجها.. أما إذا عاودتها نوبة من نوبات اليأس فلجأت إلى الانتحار بإغراق نفسها بينما يكون زوجها البريء المسكين مستغرقًا في النوم، فإن المسرحية تتم بذلك فصولاً، وما كان أحد ليفكر في احتمال أن تكون أغرقت بفعل فاعل. فضلاً على ذلك فإن القاتل عادة لا يفكر أبداً في تبسيط الأمور ولا يستطيع أن يتجنب التبحر في الخطة التي يضعها لتنفيذ جريمته.

– يبدو أنك مقتنعة تمامًا بأنك تعرفين كل ما يمكن معرفته عن القتلة.. إذن فأنت تعتقدين أن "تيم" لم يكن يعرف أنه أخطأ الضحية؟ هزت الآنسة "ماربل" رأسها وقالت:

– إنه لم يفكر حتى في النظر إليها، بل عاد مسرعًا وانتظر نحو ساعة، ثم تظاهر باكتشاف غياب زوجته ونظم مجموعة من النزلاء وخدم الفندق للبحث عنها وهو يمثل دور الزوج المفجوع.

– ومع ذلك فما الذي كانت تفعله "لاكي" بحق السماء في ذلك المكان وفي تلك الساعة المتأخرة؟ تظاهرت الآنسة "ماربل" مرة ثانية بالسعال، ثم قالت:

– أظن أنه من المحتمل أنها كانت تنتظر شخصًا ما...

– أهو "إدوارد هيلنجدون"؟

– أوه كلا.. إن ما كان بينهما قد انتهى... إنني لأتساءل عمًا إذا كان وجودها هناك هو لانتظار "جاكسون"..

– "**جاكسون**" !!

– لقد راقبتها مرة أو مرتين وهي تنظر إليه... أطلق السيد "**رافييل**" صفيراً خافتاً، وقال:

– يا لـ "**جاكسون**" الماكر! إنني لا أستبعد ذلك منه مطلقًا.. لابد أن "**تيم**" صدم عندما علم أن القتيلة ليست "**موللي**".

– بالتأكيد... لقد وجد نفسه كالفأر الحبيس في المصيدة، فها هي "**موللي**" لا تزال حية وقد تبخرت في الهواء القصة أو المسرحية التي أجهد نفسه في حبك أطرافها حول حالتها العقلية فلن تعد تجديه نفعًا ولاسيما وقد أجمع الجميع على ضرورة عرضها على طبيب نفساني. فضلاً على ذلك فإنها متى روت خبر اتفاقه معها على المقابلة عند الخليج انكشف كل ما كان يحاول تكتمه، وعلى ذلك فإن الأمل الوحيد الذي بقي أمامه لإنقاذ حياته هو القضاء على "**موللي**" بأسرع ما يمكن، ومن جهة أخرى فإن وفاتها ستبرز احتمال أنها أقدمت على إغراق "**لاكي**" وهي تحت تأثير إحدى النوبات العصبية التي تعتريها وعندما أدركت فعلتها أقدمت على الانتحار.

– وكانت تلك هي اللحظة التي قررت فيها أن تقومي بدور " **نميسيس**"؟ توقف السيد "**رافييل**" قليلاً ثم أخذ يقهقه ضاحكًا وأردف:

– لو أمكنك أن تتصوري كيف كان منظرك عندما أيقظتني من نومي وأنت تلفين رأسك بذلك الشال الوردي وتقولين لي إنك " **نميسيس**"!! إنني لن أنسى هذا المنظر طوال حياتي.

*****

الخاتمة

حان الوقت ووقفت الآنسة "ماربل" على أرض المطار في انتظار الطائرة التي ستستقلها، والتف حولها جمع غفير جاءوا لوداعها. كان "**إدوارد هيلنجدون**" وزوجته قد غادرا الجزيرة قبل ذلك في حين انتقل "**دايسون**" إلى إحدى الجزر الأخرى، وسرعان ما وصلت الإشاعة بأنه قد بدأ ينصب شباكه حول أرملة أرجنتينية، أما السنيورا "**دي كاسبيرو**" فقد عادت إلى "**أمريكا الجنوبية**". كانت "**موللي**" بين المودعين وكان وجهها ممتقعًا يبدو عليه الهزل ولكنها كانت قد استعادت ثقتها بنفسها في حين قررت الاستمرار في إدارة الفندق بمساعدة أحد وكلاء السيد "**رافييل**" الذي أبرق إليه في "**إنجلترا**". وقد وجه إليها السيد "**رافييل**" الحديث قائلاً:

– إن انهماكك في العمل سيفيدك كثيراً وسيحول بينك وبين التفكير.. إن هذا الفندق مشروع ناجح.

– ألا تظن أن جرائم القتل التي...

– الناس يحبون عادة الاستماع لقصص بعض الجرائم ولاسيما بعد كشف الستار عنها. فلا يشغلنك هذا الخاطر يا فتاتي وتشجعي، وفوق كل شيء لا تفقدي الثقة بكل الرجال لمجرد أنك قابلت واحداً شريراً. فأجابته "**موللي**":

– إنك تتكلم كما تفعل الآنسة "**ماربل**" تمامًا، فهي قد دابت أخيراً على أن تؤكد لي أن الرجل المناسب سيأتي يومًا ما. ابتسم السيد "**رافييل**" لهذه العاطفة ولم يعقب. وكان مع "**موللي**" في المطار الشقيقان "**بريسكوت**" والسيدة "**استر والترز**" التي بدت أكبر سنًا وأشد اكتئابًا، وكان السيد "**رافييل**" يوليها عطفًا ظاهراً. وكان "**جاكسون**" هو الآخر بين المودعين وكان يتظاهر بأنه يشرف على حقائب الآنسة "**ماربل**" وهو بادي الانشراح، ولا غرو فقد هبطت عليه منحة مالية لم يكن يتوقعها. وأخيراً غطى أزيز الطائرة على أصوات الحاضرين وقد أخذت تقترب من المهبط في مطار الجزيرة الصغير الذي كاد يخلو من الحركة المعتادة في المطارات. وعندما توقفت الطائرة وفتح بابها لاستقبال المسافرين تقدمت "**موللي**" من الآنسة "**ماربل**" وعانقتها في حين صافحتها الآنسة "**بريسكوت**" بحرارة وهي

تؤكد لها ضرورة زيارتهما في "**إنجلترا**"، أما القس فقال:

– لقد كان سرورنا عظيماً بالتعرف إليك يا آنسة "**ماربل**"... إنني أشارك شقيقتي بكل حماس في دعوتها لك لزيارتنا. وقال "**جاكسون**" مداعباً:

– أتمنى لك كل سعادة يا سيدتي. وإذا احتجت إلى مساعدتي مرة أخرى فما عليك إلا أن تبرقي لي فأوافيك فوراً. أما "**استر والترز**" فظلت في المؤخرة وقد أدارت وجهها متجنبة لحظة الوداع، ولم تحاول الآنسة "**ماربل**" أن تسبب لها حرجاً فمدت يدها لتقابل يد السيد "**رافييل**" الممدودة إليها وهو يقول لها باللاتينية: "سلاماً "**قيصر**"، إن الذين سيموتون يحيونك". فأجابت الآنسة "**ماربل**" ضاحكة:

– أنت تعلم أنني لا أجيد اللاتينية يا سيد "**رافييل**".

– ولكنك فهمت ما قلت... أجابت الآنسة "**ماربل**":

– أجل. ولم تزد، فقد كانت تعلم تماماً ما يريد السيد "**رافييل**" أن يقوله، ولكنها استطردت قائلة:

– لقد سعدت كثيراً بمعرفتك. ثم أخذت طريقها نحو الطائرة وهي تلوح للجميع.

تمت بعون الله